وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة
كليــة التربية للعلوم الإنسانيــة
قسم التاريخ

أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب والأندلس

(٢١ - ١٢٣هـ / ٦٤١م - ٧٤٠م)

أطروحة تقدمت بها الطالبة

زينب حمزة عباس المالكي

الى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

بإشراف الإستاذ الدكتور / جاسم ياسين الدرويش

١٤٣٧هـ ٢٠١٦م

المحتويات

المقدمـــة

الحمد لله الذي بنعمتهِ تتم الصالحات ، أحمده ُتعالى حمداً يوافي نعمه ، وأصلي وأسلّم على سيدي ومعلمي ، ُمعلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد ، وقائد الخلق إلى الحق ، الذي أرسلُه الله رحمة للعالمين ، وحجة على الناس أجمعين ، وختم برسالتهِ رسالات الأنبياء، وبشريعتهِ شرائعهم ، وأكمل له الدين ، سيدنا وإمامنا وحبيبنا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، ومن إهتدى بهديهم ، وسار على دربهم إلى يوم الدين ٠٠

ُيعد القتال في سبيل الله تعالى من المواضيع الهامة التي تستحق الدراسة ، فقد شرعهُ الله عز وجل بعد هجرةِ نبيهِ الكريم صلى الله عليه وآله الى المدينة المنورة ، وكان من أولويات هذا التشريع هو الدفاع عن النفس ، فقال تعالى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)(١)٠

بعد ذلك تحول هذا التشريع الى مراحل أخرى ، تتلائم مع ما يحقق أهداف الأمة الإسلامية ، وإعلاء كلمة الحق ، فقال تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)(٢)٠

ولا شك أن الفتوحات الإسلامية التي خاضها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، تحمل في طياتها الكثير من العبر والدروس ، التي سطرها القادة المسلمون ، من أجل إعلاء كلمة الحق ، ونشر الإسلام ٠

أن الدراسات والبحوث السابقة ، المختصة بتاريخ الإسلام العسكري ، بدءاً بحياة النبي صلى الله عليه وآله ، وحتى نهاية الدولة العباسية على أيدي المغول سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ، هي دراسات يستحق أصحابها كل الإحترام والتقدير ، لما بذلوه ُمن جهودٍ حثيثة ، في هذا الموضوع ٠

إلا أن هذهِ الدراسات ، ركزت على قادة الفتح ، وذكر بطولاتهم وفتوحاتهم ، من دون الإشارة الى العوامل الجغرافية ، حيث اشارت اليها بشكل ضمني ، وهو من الحوافز التي دفعتنا

١- سورة الحج : ٣٩ ٠

٢- سورة البقرة : ١٩٠ ٠

لدراسة الموضوع ، فلا يستطيع أحد أن ينكر مدى تأثير هذِه العوامل في المعارك الحربية ، فقد تتدخل التضاريس الأرضية ، في تغير مجريات المعارك ، فالمعروف أن المعارك البرية تتطلب وضع الخطط العسكرية للهجوم ، وإختيار الأماكن المناسبة للتعسكر ، وحفر الخنادق لصد الهجمات ، وهذِه المطالب لاتتحقق ، مالم يمتلك القائد العسكري ، وعّي كامل ومعرفة شاملة بتضاريس أرض المعركة.

ويأتي المناخ في الدرجة الثانية بعد التضاريس ، من حيث حجم وقوة تأثيره في العمليات العسكرية ، فقد يؤثر كلاً منهما على حركة الجند ، وعلى الأسلحة والمعدات ، لذلك يحسب القادة العسكريون الحساب للظروف المناخية المتوقعة ، وحالة الطقس السائدة أثناء القيام بالعمليات العسكرية.

أما المياه ، فهي ذات أهمية عسكرية قصوى ، فقد عّدتْ البلاد البحرية أو الجزرية في مأمن من الغزو ، كما تضيف البحار للدول الواقعة عليها قوة إضافية من خلال القدرة على الحركة والإنتقال وتوفير سبل إضافية للتزويد والإمداد ، ومن خلال البحار تستطيع الجيوش الوصول إلى مواقع بعيدة عن أراضيها , فضلاً عن أن الأنهار والآبار والينابيع وغيرها من مصادر المياه لايمكن الإستغناء عنها لأنها عصب الحياة , ولايمكن للجيوش السير من دون توفر المياه للجند وخيولهم , وهو ما أولاه القادة العسكريون في حسبانهم عند تحركاتهم .

ومن هنا جاء إختيار الموضوع بعنوان (أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب والأندلس ٢١هـ - ١٢٣هـ/ ٦٤١م - ٧٤٠م) ، وقد حددت الدراسة بهذا التاريخ لان الفتوحات بدأت سنة ٢١هـ وانتهت الى سنة ١٢٣هـ ، وكان التركيز على بلاد المغرب والأندلس ، لما تتسم بهِ من تباين كبير في البيئة الجغرافية لكلا الإقليمين ، وأثرها الواضح في سير العمليات العسكرية هناك .

ولقد حاولنا في كتابة البحث ، تتبع المنهج التحليلي ، الذي لايقتصر على سرد الأحداث والوقائع التاريخية ، بل الوقوف على أسباب ومسببات هذِه الأحداث ، وتحليلها ، وإستخلاص نتائجها، وأثرها ، وفق ما يلائم عنوان البحث.

وقد تطلبت مادة البحث تقسيمهُ الى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وملاحق ، وكان الفصل الأول : تحت عنوان (الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب والأندلس) ، وقسم هذا الفصل الى

مبحثين : المبحث الأول (جغرافية بلاد المغرب) ، والمبحث الثاني (جغرافية بلاد الأندلس) ، اذ تضمن المبحثين ، التسمية ، والموقع والحدود ، والتضاريس ، والأنهار ، والمناخ ، وعناصر السكان، لكلا البلدين٠

أما الفصل الثاني , فكان بعنوان (أثر التضاريس في فتح بلاد المغرب والأندلس) ، والذي تضمن بيان مدى تأثير الأشكال التضاريسية في معارك الفتح ، وأحتوى هذا الفصل على سبعة مباحث هي (الجبال ، والسهول ، والأودية ، والصحاري ، والهضاب ، والصخور ، والغطاء النباتي)٠

والفصل الثالث , جاء بعنوان (أثر المناخ في فتح بلاد المغرب والأندلس) ، والذي تضمن بيان مدى تأثير العناصر المناخية في معارك الفتح ، واحتوى على ثلاثة مباحث هي (درجات الحرارة ، والأمطار، والرياح)٠

اما الفصل الرابع , كان بعنوان (أثر المياه في فتح بلاد المغرب والأندلس) ، والذي يتضمن بيان مدى تأثير أنواع المياه في معارك الفتح ، واحتوى هذا الفصل على ثلاثة مباحث هي (البحار ، والعيون والآبار ، والأنهار)٠

أضف الى ذلك الملاحق الخاصة بالخرائط ، والتي توضح سير الجيوش الإسلامية في عمليات الفتح٠

وأما عن المصادر المعتمدة في البحث ، فقد إقتضت الضرورة ، الرجوع الى مصادر ومراجع متنوعة ، وفي مختلف الإختصاصات ، للإلمام بمفرداتِه ، فقد تم الإعتماد على كتب التاريخ ، والجغرافية ، والتراجم , واللغة ، وسأحاول إستعراض هذِه المصادر ، بالتركيز على أهمها٠

أولاً : كتب التاريخ :

حيث أنها محور الدراسة ، فمن خلالها تمكن الباحث تتبع عمليات الفتح ، وإستعراض أهم الأحداث العسكرية ، وتم إستخدامها بجميع فصول الدراسة ، ككتاب (فتوح مصر والمغرب) لابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) ، ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية ، للفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس ، فقد بدأ بالمحاولات الأولى لفتح المغرب ، وقيام

عمرو بن العاص بفتح برقة وطرابلس ، وإستمر في سرد الأحداث حتى نهاية العصر الأموي ، كما أفرد مبحثاً خاصاً عن فتح بلاد الأندلس ، وذكر البدايات الأولى لفتحها٠

وتعد المعلومات الواردة في هذا المصدر ، ذات أهمية تاريخية كبيرة ، فقد حرص المؤلف في رواية الأحداث على الإسناد ، لمن سمع منه ، أو أخذ عنه ، مثل يزيد بن حبيب (ت١٢٨هـ/ ٧٤٥م) ، وابن لهيعة (ت١٧٤هـ/ ٧٩٠م)(١) وغيرهم٠

وعلى الرغم من حرص ابن عبد الحكم على الإسناد في الرواية ، إلا أن هذا المصدر لايخلو من بعض المبالغات ، كقصة ماء الفرس ، وحديث عقبة بن نافع مع الأفاعي والوحوش(٢) ٠

وأيضاً كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة (ت٢٧٦/ ٨٨٩م) ، ويعد من المصادر المهمة التي إستخدمت في الإطروحة , وعلى الرغم من أن الكتاب تناول الخلافة وتتبع أحداثها بعد الرسول محمد (ص) مروراً بالدولة الأموية إلى العصر العباسي الثاني ، إلا أنهُ من جهةٍ أخرى تحدث عن فتوحات بلاد المغرب والأندلس ،وهذا النهج قليلاً مانجدهُ عند غيرهِ , أما بالنسبة إلى منهجيتهِ فأنه يخلو من الإسناد , اذ تتردد عبارة (وذكروا) من دون تحديد مصدرها الأساسي(٣)٠

ومن الكتب الأخرى كتاب(تاريخ إفريقية والمغرب) للرقيق القيرواني (بعد ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م) ، وقد أكتسب هذا الكتاب أهمية كبيرة لدى المؤرخين ، فقد أعتمد عليه ، ابن الأثير ، وابن الابار ، وابن عذاري ، والنويري ، وابن الشباط (٤)٠

وتحدث المؤلف في هذا الكتاب ، عن أخبار فتح المغرب ، إبتداءً من ولاية عقبة الثانية ، وذكر المدن والمواضع التي مرّ بها عقبة أثناء الفتح كما ذكر زهير بن قيس البلوي وحسان

١- فتوح مصر والمغرب / المقدمة / ك ٠

٢- فتوح مصر والمغرب/٢٦٥ ٠

٣- (المنسوب)الإمامة والسياسة /٧ ٠

٤- تاريخ إفريقية والمغرب / ك ٠

بن النعمان وحروبهم مع كسيله والكاهنة , وذكر ولاية موسى بن نصير , وفتحه للمدن الأندلسية ، كما تطرق إلى ترجمة الولاة في المغرب والأندلس ٠

وهنالك كتاب بعنوان (أخبار مجموعة) ينسب تأليفهُ الى مؤلف مجهول ، كُتب خلال عهد عبد الرحمن الثالث (٣٠٠هـ ـ٣٥٠هـ/ ٩١٢م ـ٩٦١م) ، ويُعد من المصادر المهمة في تاريخ الأندلس ، كونهُ يحتوي على معلومات تخص مجريات الفتح الإسلامي للأندلس ، فقد ذكر مجريات عبور طارق بن زياد الى شبه جزيرة أيبيريا ، وافتتاح قرطبة في عهد مغيث الرومي ، ودخول بلج الى الأندلس ، وغيرها من المعلومات ٠

وكتاب(الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، فعلى الرغم من أنهُ كتاب مشرقي ، إلا أنهُ يعد من الكتب التاريخية المهمة ، أفاد البحث ، في مختلف الفصول ، فقد أشار إلى الفتوحات في بلاد المغرب والأندلس ، اذ إستفاد المؤلف من كتابات المغاربة الذين عاصرهم , اذ تحدث عن حملات المسلمين العسكرية ٠

أما كتاب (البيان المغرب) لإبن عذاري(ت ٧١٢هـ/١٣١٢م) ، فقد أفاد فصول البحث بشكل كبير ، فهو يحتوي على أخبار الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس ، والذي زاد في أهمية هذا الكتاب ، أنه يحتوي على روايات قدامى المؤرخين ، والذي أشار إليهم المؤلف في مقدمتهِ ، كالطبري (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م) ، والرقيق القيرواني والبكري وغيرهم ، فضلاً عن روايات شفوية ، قد سمعها من شيوخ معاصرين له ، ودائما يذكر هذهِ الروايات بعبارة (يذكر أشياخنا) (١)

ثانياً : كتب الجغرافية :

وهي من المصادر التي لا يمكن الإستغناء عنها خصوصاً في هذهِ الدراسة ، نظراً لما تحويهِ من وصف الطرق والمدن ومظاهر الطبيعة , فضلاً عن التعريف بالمدن والمواضع في مناطق الفتح الإسلامي ، ومن هذهِ الكتب (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) للبكري (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ، وهو قطعة من كتابهِ الكبير (المسالك والممالك) ، والبكري جغرافي

---

١ - البيان المغرب ٢/١ ٠

أندلسي , جمع ما توفر لديه من معلومات عن بلاد المغرب ، من خلال رسائل ومؤلفات أندلسية ، وكان وصفُه للمدن المغربية في هذا الكتاب وصفاً دقيقاً , وعلى الرغم من أن كتابُه جغرافي ، إلانهُ لايخلو من مادة تاريخية عن الفتح لبلاد المغرب ·

ومن الكتب الجغرافية الأخرى ، (كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار) لمؤلف مجهول(ت القرن ٦هـ/ الثاني عشر الميلادي) , فقد لجأ المؤلف إلى كتاب قديم نجهل صاحبهُ ، فوضع له المقدمة ، ورتّب فيها منهجه ثم ختمهُ (١) ,وفي الكتاب فقرات تبيّن أن المؤلف عاش على عهد يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠هـ – ٥٩٥هـ) ، وأنه كان ينظر بعين الولاء لأحد كبار رجال الدولة حينئذ ، وهو الشيخ أبو عمران بن أبى يحيى بن وقتين ، الذي أهدي إليه الكتاب وطلب منهُ حُسن الرعاية(٢) , ويظهر أنهُ صنف الكتاب في سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م(٣)·

وتدل التفصيلات التي يمدّنا بها هذا الكتاب عن بعض المدن المغربية ، أن الكاتب كان يشغل وظيفة تمكّنهُ من الإطلاع على مجريات الأمور في ديوان الخليفة أو في بلاطِه ، عن هذِه المدن ·

أضف الى ذلك أن هذا الكتاب ، كان خليط من المعلومات التاريخية والجغرافية , وقد إستقى المؤلف معلومات مادتِه من ابن عبد الحكم والبكري , وغيرهم ، اذ تحدث في جزء خاص من الكتاب عن المدن المغربية وما إشتهرت بِه تلك المدن ·

أما كتاب (نزهة المشتاق في إختراق الأفاق) للإدريسي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م) ، فقد إمتاز عن غيرِه من المؤلفات الجغرافية الأخرى ، كونهُ ذات نظرة عامة شملت معظم أجزاء الكرة الأرضية , بالوصف والتحقيق ، المبني على المشاهدة والقياس والمقارنة ، والربط بين الأجزاء ، وقد إعتمد المؤلف في هذا الكتاب على مصادر الجغرافيين الذين سبقوه ، مثل المسعودي

١- الإستبصار : مقدمة الكتاب / ٢ ·

٢- ينظر : الإستبصار : خطبة الكتاب / ٢ ·

٣- ينظر : الإستبصار / ١٣٨ ·

و العذري والبكري وكتاب بطليموس وغيرهم ، وإنتهج نفس المنهجية التي سار عليها البكري في وصفهِ للمدن وعمارتها .

ومن الكتب الجغرافية الأخرى التي لايمكن لأي باحث الإستغناء عنها ، كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ، فقد إحتوى على مادة مهمة من خلال تعريفهِ للعديد من المدن المغربية والأندلسية .

وكتاب(الروض المعطار) للحميري(ت حوالي ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) , فهو بمثابة موسوعة جغرافية تاريخية , فقد تحدث المؤلف عن المدن المغربية والأندلسية بشكل مفصل ، وأشار الى عمليات الفتح الإسلامي في المغرب والأندلس ، وتحدث كذلك عن أبرز شخصيات وقادة هذا الفتح .

ثالثاً : كتب التراجـم :

ومنها كتاب (الولاة والقضاة) للكندي (ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م) ، فقد إحتوى هذا الكتاب على معلومات هامة عن الفتوحات الإسلامية ، كفتح عمرو بن العاص لمدينتي برقة وطرابلس ، كما ذكر دور قادة الفتح ، كعبد الله بن سعد ، ومعاوية بن حديج .

ولاتقتصر أهمية هذا الكتاب على هذهِ المعلومات ، بل إستفدنا منهُ في ترجمة بعض الشخصيات التي كان لها دور في الفتح ، فقد قسم المؤلف الكتاب لقسمين ، القسم الأول بعنوان (كتاب الولاة) ، والقسم الثاني بعنوان (كتاب القضاة) .

أما كتاب (رياض النفوس) للمالكي (ت٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) ، فهو من المصادر المهمة في تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، فقد إستفدنامنهُ في ترجمة بعض الشخصيات التي كان لها دور في الفتوحات ، فضلاً عن بعض المعلومات الخاصة بالفتح ، اذ أفرد المؤلف قصة الفتح ، من سنة ٢١هـ/ ٦٤١م ، الى عهد حسان بن النعمان سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م ، كما تحدث عن حملة عبدالله بن سعد ، وحملة معاوية بن حديج ، وولاية عقبة الثانية ، وإستشهادهِ على يد كسيلة .

رابعاً: الكتب العسكريـة :

وهي من الكتب المهمة ، ومن المتطلبات الرئيسة لأي باحث في هذا المجال ، فقد أخذ الباحث عينة من بعض النصائح والخطط العسكرية الواردة بها ، ومن ثم قام بتطبيقها على فصول البحث المختلفة ، ويأتي في مقدمة هذهِ الكتب ، كتاب (فن الحرب) ، لسون تزو (١) الذي كتبُه في القرن الخامس قبل الميلاد ، ويعد من أهم وأندر المخطوطات القديمة في تاريخ العالم ، وتعود الأهمية الفائقة لهذا الكتاب إلى بقاء معظم ما جاء فيه من مبادئ ، صالحة للتطبيق حتى يومنا هذا ، رغم مرور ما يزيد عن أكثر من ألفي عام على كتابتهِ(٢) ويشتمل هذا الكتاب على ستة آلاف جملة ، ضمن ثلاثة عشر باباً ، جسد خلالها المؤلف الأفكار العسكرية ، واحتوى كذلك على شرح وتعليق كبار القادة العسكريين الصينيين الذي تلوا سون تزو.

وكذلك كتاب (مختصر سياسة الحروب) (٣) ، وهو مختصر من كتاب كبير يسمى (الحيل في الحروب)(٤) الذي تحدث عنهُ ابن النديم تحت عنوان (الكتب المؤلفة في الفروسية وحمل السلاح وآلات الحروب والتدبير والعمل بذلك لجميع الأمم)(٥).

---

١ - وهو صيني الأصل ، وكان جندياً في مملكة (تشي) ، وبسبب ذيوع شهرتهِ في فنون الحرب والقتال ، لذلك إستعان بهِ الملك (هوو لوو) ، وشغل منصب القائد الأعلى للجيش في عهد هذا الملك ، الذي طلب منه أن يضع خلاصة خبرتهِ وتجربتهِ في هذا الكتاب. ينظر : فن الحرب : المقدمة /٣ .

٢ - فقد حرصت الولايات المتحدة الأمريكية ، في حرب الخليج الأولى ، على أن يحمل كل جندي نسخة من هذا الكتاب ، كما أن الإستيراتيجية الحربية التي كانت تحمل عنوان (الصدمة والترويع) في سنة ١٩٩٦م ، للخبير هارل مان ، كانت مبنية على مبادئ كتاب فن الحرب. فن الحرب : المقدمة /٥ .

٣ -للهرثمي الشعراني ، ألفهُ للمأمون في الحروب . ابن النديم /٣٨٢، ويبدو أن الهرثمي هذا قد يكون منسوباً بالولاء الى هرثمة ابن أعين ، الذي كان من أبرز قادة الرشيد العباسي ، فمن الجائز أن يكون المؤلف أحد أبناء هرثمة أو أحد أتباعهُ من الموالي الذي نسب إليه بالولاء. مختصر سياسة الحروب/ ٩

٤ - مختصر سياسة الحروب / ٥ .

٥ - الفهرست / ٣٨٢ .

ويبدو أن كتاب (الحيل) ، فقد أيام نكبة بغداد أثناء الغزو المغولي(١) والذي بين أيدينا هو كتاب المختصر ، الذي أفاد الباحث كثيراً ، خصوصاً وأنهُ ينقل سياسة الحروب بالطابع العربي ، وعاداتهم في المعارك ، وقد قسم المختصر الى أربعين باباً ، لكل باب اسم خاص بهِ ، حيث تحدث فيها عن آداب الحروب ، وصور العسكر ، وفتح الحصون والمدائن ، ونصب الكمائن ، وبث الجواسيس والطلائع ، وأهم ما ميز هذا الكتاب ، أنهُ ذكر بعض النصائح والتدابير الخاصة بالعامل الجغرافي ، فعلى سبيل المثال ذكر كيفية تمركز الجيوش في المناطق المناسبة ، وذكر اختيار الأوقات المناسبة للمسير ، وغيرها من النصائح التي كانت في صلب موضوع بحثنا .

خامساً : المراجـع الحديثـة:

وقد إستفدنا منها بشكل مباشر ، لما تحمله ُ من معلومات تخص موضوع بحثنا ، ومنها ، كتاب(فتح العرب للمغرب) للدكتور حسين مؤنس , وهو من الكتب المهمة ، لما يحتويهِ من مادة تحليلة للنصوص التاريخية , وتقصي الأحداث التاريخية , ومناقشة العديد من الأمور والوقائع ، التي تخص البحث ، كما قام المؤلف في هذا الكتاب بطرح العديد من الآراء ومناقشتها ، من أجل الوصول الى الحقيقة التاريخية .

وللمؤلف كتاب آخر بعنوان (فجر الأندلس) ، والذي لايقل أهمية عن كتابهِ السابق ، وتكمن أهمية هذا الكتاب في طرح القضايا الخاصة بفتوحات المسلمين للأندلس ، ومتابعتها بالتحليل والتمحيص للوقوف على الحقيقة التاريخية .

ومن الكتب الحديثة الأخرى ، كتاب (قادة فتح المغرب العربي) وكتاب(قادة فتح الأندلس) لمحمود شيت خطاب ، فهذان الكتابان أمدا البحث بمادة تاريخية عن القادة المسلمين ، ودورهم في الفتوحات , وذكر سياستهم العسكرية التي إتخذوها في حروبهم , وتكمن أهمية ملاحظاتهُ ، لأنه كان عسكرياً , ثم تفرغ للبحث في التاريخ العسكري .

أما كتاب (فن الحرب) للعسلي ، فقد أفرد المؤلف الجزء الثاني منالكتاب وخصصه ُ للفتوحات الإسلامية في المغرب والأندلس ، وتحدث في هذا الجزء عن الإستراتيجية العسكرية

١ - مختصر سياسة الحروب/٦ .

التي سلكها قادة الفتح إثناء الفتوحات , وتطرق كذلك الى دور العوامل الجغرافية ، وأثرها في نتائج معارك ٠

وبعد هذا الموجز عن أهم المصادر المعتمدة في البحث ، فأن هناك بعض الصعوبات التي واجهتنا خلال كتابة البحث ، ويمكن إجمالها بالنقاط التالية:

١- إتساع الرقعة الجغرافية ، فالدراسة عن بلدين مختلفين ، أضف الى ذلك لم تكن هنالك مساحة جغرافية محددة وثابتة ٠

٢- قلة وندرة الدراسات والبحوث عن هذا الموضوع ، بإستثناء دراسة تحت عنوان (أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الإسلامية) للمؤلف أحمد محمد حسونة ، ومما يؤخذ على هذه الدراسة ، أن المؤلف تناول العوامل الجغرافية بصورة عامة ، وأقتصر على بعض أنواعها التضاريسية والمناخية ، وقد كانت إشارة المؤلف الى بلاد المغرب والأندلس ، إشارات طفيفة ، فعلى سبيل المثال إقتصر على دور الصحاري في بلاد المغرب ، ودور التركيبة السكانية في بلاد الأندلس ، ولم يسلط المؤلف الضوء على عوامل جغرافية أخرى كان لها دور في الفتوحات الإسلامية في هذين البلدين , فضلاً عن أن الكتاب كان مجموعة محاضرات للمؤلف تم طبعها في كتاب صغير٠

٣- التنوع في مراجعة المصادر ، فلم يقتصر الباحث على المصادر التاريخية ، فقد كان لزاماً عليه الرجوع الى المؤلفات الجغرافية المتخصصة بهذا الموضوع ، للإستعانة بها في تعريف بعض المصطلحات والعبارات والمفاهيم الجغرافية ، وعلى الرغم من هذه المصاعب، وبتوفيق من الله ، بذلنا جهدنا في الوصول الى الحقيقة , ولاندعي الكمال لأنهُ لله وحده ٠

تُعد الجغرافية التأريخية من أهم فروع علم المكان ، بسبب شمول هدفها الرامي الى دراسة التغيير الذي يحدثُه النشاط البشري في فعالياتهِ على الوسط الطبيعي من خلال البعد الزمني ، إذ توجد علاقة وثيقة بين الزمان والمكان يصعب التفريق بينهما ، فهنالك الكثير من الأحداث التأريخية يصعب على المؤرخ فهمها بمعزل عن العامل الجغرافي(١) لذا إرتأينا في هذا الفصل تسليط الضوء على هذا المفهوم فيما يخص بلاد المغرب والأندلس ، وكلاً على حده:

المبحث الأول : جغرافية بلاد المغرب

أولاً : التسميـــة

عرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة ، فقد أطلق اسم ليبيا (٢)على القسم الشمالي من إفريقية الآهل بالسكان البيض ، وأُطلقت تسمية الليبيين على من سكن تلك المناطق(٣) , وأشتق الفينيقيون(٤) , لفظ (إفري) من إفريقية (٥) , وأطلقوهُ على سكان

---

١ - جباوي : الجغرافية التاريخية /٣٥ ٠

٢ - ذكرت النصوص الهيروغلوفية أن الشعوب القاطنة غرب نهر النيل عرفت باسم (الليبو) , كما ذكر اسم الليبيين في التوراة , وعرف الاغريق لفظ ليبيا والليبين ، والجدير بالذكر أن اسم (ليبيا) يطلق على جميع القارة و(الليبين) هم السكان القاطنون فيها ٠ ينظر : مهران : المغرب القديم / ٢١ ٠

٣ - جوليان : تاريخ شمال إفريقيا /٧ ٠

٤ - هم أحد الشعوب السامية القديمة التي سكنت سوريا ولبنان وفلسطين ، وأنشأت ممالك صغيرة في عكا وجبيل وصور, وفي الحقبة مابين (١٠٠٠-٧٠٠ق٠م) ، أنشأوا مستعمرة لهم في قرطاج وكانوا قوة مهيمنة في العالم القديم حتى سقوط قرطاج سنة ١٤٦ق٠م ٠ عصفور : المدن الفينيقية / ١٤ ٠

٥ - إختلف المؤرخون في أصل لفظة إفريقيا ولهم اراء عدة حول أصل التسمية فقالوا : سميت إفريقية أي صاحبة السماء بإسم أهلها وهم الأفارقة , والأفارقة هم ولد فارق بن مصريم , وقيل سميت بإفريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية فطوري , وقيل إن إفريقش بن إبرهه بن ذي القرنين لما غزا بلاد المغرب حتى انتهى الى طنجة , فافتتحها وقتل ملكها ، فسميت بإسمه وقال لأهلها ما أكثر بربرتكم فسموا بربر , وقيل اسمه إفريقيس بالسين المهملة فعربتها العرب بالسين المعجمة ٠ ينظر : البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ٢١؛ ابن أبي دينار : المؤنس / ١٥ ٠

البلاد الأصليين ، ومنهم أخذ اليونان هذهِ اللفظة ، لكن سرعان ماتغيرت هذه التسمية بعد سقوط قرطاجنة(١) أثر الحرب البونية الثالثة(٢) وإعلان السيادة الرومانية ، التي أطلقت لفظة إفريقية على المناطق التي كانت تبعيتها مباشرة لقرطاجنة (٣)٠

وفي العصر البيزنطي إتسع مدلول كلمة (إفريقية) ، وأصبح يشمل كل المناطق الممتدة من برقة (٤) الى طنجة (٥) وأخذ العرب هذهِ التسمية منهم ، وأرادوا بها كل مايلي مصر غرباً حتى ساحل المحيط الأطلسي(٦)٠

١- وهي مدينة تابعة الى بلاد الإفرنجة أيام الرومان , وهي جزء من تونس ، التي تبعد عنها عشرة أميال، وتعتبر من أشهر وأّجل المدن الإفريقية , وتقع على ساحل البحر , ولها مرسى , ٠ابن خرداذبة : المسالك والممالك/ ٨٧ ؛ الحميري : الروض المعطار / ٤٦٢ ٠

٢- وقيل البونيقية , وهي آخر حرب وقعت بين روما وقرطاجنة سنة ١٤٩-١٤٦ ق٠م , وانتهت بإنتصار روما واحتلال قرطاجنة ٠ ينظر : مهران : المغرب القديم /٢٨٠؛ المدني : قرطاجنة في أربعة عصور /٦٩ ٠

٣- مؤنس : فتح العرب للمغرب /٢؛ لقبال: المغرب الاسلامي /١٣ ٠

٤- اسم صقع كبير يشتمل على عدة مدن ممتدة بين الإسكندرية وافريقية , واسم مدينتها إنطابلس، وتفسيره الخمس مدن، ويحيط البربر بها , بينها وبين الإسكندرية مسيرة شهر ، وقيل من الفسطاط إلى برقة مائتان وعشرون فرسخاً ، وهي مما أفتتح صلحاً ، صالحهم عليها عمرو بن العاص وألزم أهلها من الجزية ثلاثة عشر ألف دينار ٠ ينظر: الحموي : معجم البلدان ١/ ٣٨٨ ٠

٥- مدينة قديمة بالمغرب تقع على ساحل البحر , وقيل هي آخر حدود إفريقية بالمغرب , بينها وبين سبتة ثلاثون ميلاً في البر , وتعرف طنجة بالبربرية وليلي , وهي مساكن صنهاجة ٠ ينظر : البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ١٠٤؛ مؤلف مجهول : الإستبصار / ١٣٩؛ الحميري , الروض المعطار / ٣٩٥ ٠

٦- لقبال : المغرب الاسلامي /١٤ ؛ مؤنس : فتح العرب للمغرب / ٢ ٠

ثم أخذ لفظ (إفريقية) يضيق شيئاً فشيء ، ويبدأ لفظ (المغرب) بالظهور ، فأقتصر على مايلي مصر غرباً(١) حتى (بجاية)(٢) وتتضمن حالياً البلاد الليبية(برقة وطرابلس(٣) وفزان(٤)) ، وتونس والجزائر والمغرب ، وهو مفهوم إفريقية العام ، الذي يكاد يعادل مفهوم المغرب , أما مفهوم إفريقية الخاص ، فهو يعني الأجزاء الشرقية من المغرب ، التي تعادل إفريقية الأصلية ، أي البلاد التونسية (٥).

وقد ذهب ابن خلدون(٦) الى أن لفظة (المغرب) ، اسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بإضافتهِ الى جهة الشرق ، لأن العرف في إعتقادهِ يخصص هذه الأسماء بجهات معينة وأقطار مخصوصة , كالمشرق والمغرب ،وهذا ما يعتقدهُ (غوردو)(٧) الذي يرى أن لفظة المغرب تعني الجهة التي تغرب منها الشمس .

ويبدو أن المراد بلفظة المغرب في أول الأمر كان تحديداً جغرافياً ، أراد بهِ الذين إتخذوهُ كل مايلي المشرق من البلاد(٨) وبعد مجيء العرب المسلمين أطلقوا لفظة بلاد المغرب ، حتى

١- مؤنس : فتح العرب للمغرب /٢ .

٢- مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب ، بينها وبين جزيرة بني مزغنّاي أربعة أيام ، كانت قديماً ميناء تركب منها السّفن وتسافر إلى جميع الجهات، ثم بنيت المدينة ، وبينها وبين ميلة ثلاثة أيام. ينظر : الحموي : معجم البلدان ١/ ٣٣٩ .

٣- وتسمى إطرابلس و إياس ، وهي من مدن إفريقية ، على ساحل البحر ، وتبعد عن جبل نفوسة ثلاثة أيام. الحموي : معجم البلدان ٤/٢٥؛ الحميري : الروض المعطار / ٣٨٩ .

٤- اسم فزان يطلق على المنطقة الواقعة بين طرابلس شمالاً وتبستي جنوباً ، وتشتهر بكثرت واحاتها ، والتي تعد إمتداداً لواحات القسم الأوسط من الصحراء الكبرى. ينظر : الحميري : الروض المعطار/٤٤٠ .

٥- خطاب : قادة فتح المغرب ١/ ١٤ .

٦- تاريخ ٦/ ١٢٨ .

٧- الفتح الإسلامي للمغرب/ ٩ .

٨- ابن أبي دينار : المؤنس/١٥ .

تتم المقابلة بينهُ وبين البلاد الأخرى أي بلاد المشرق ، فقد أشار ابن الأثير(١) الى أن الإمام علي عليه السلام أثناء إستعدادهِ في الكوفة لحرب معاوية في الشام ، خاطب جيشهُ بقولهِ : " جهزوا للمسير الى عدوكم من أهل المغرب " ٠

١ - الكامل في التاريخ ٢/ ٦٨٩ ٠

ثانياً: الموقع والحدود

إن دراسة موقع بلد من البلدان ، لايقصد بهِ التحديد المجرد الذي يربط بين الأرض ومعالمها ، وإنما هو إبراز القيمة الفعلية لهذا الموقع ، فهو يؤثر في مدى قوتها وعليه تتوقف الكثير من القرارات العسكرية(١)٠

تقع بلاد المغرب في شمال القارة الإفريقية ، اذ تظهر على شكل رباعي غير منتظم (٢) يحدها من الشمال البحر المتوسط ، ومن الجنوب الصحراء الكبرى ، ومن الغرب المحيط الأطلسي ، ومن الشرق مصر ، وقد أكسبها هذا الموقع أهمية إستراتيجية ، فهي تنتمي إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وتشكل الجزء الشمالي من قارة إفريقية ، وهذا ساعدها على أن تكون حلقة ربط بين المنطقتين (٣)٠

إلا أن المؤرخين والجغرافيين المسلمين إختلفوا في تحديد موقع بلاد المغرب ، ووضع حدود جغرافية واضحة لها ، وهذا الإختلاف جاء نتيجة التفاوت الزمني بين المصادر العربية ، فعلى سبيل المثال ، ذكر ابن عبد الحكم " أن قرطاجنة كانت مستقر سلطان إفريقية ، تغلب عليها جرجير ، وكان نفوذهُ يمتد من إطرابلس الى طنجة " (٤) وهذا ما ذهب إليهِ البكري ، الذي يرى أن "إفريقية تمتد شرقاً حتى برقة ، وغرباً الى طنجة الخضراء "(٥)٠

في حين نجد بعض الجغرافيين ، كالإصطخري(٦) يتسع في تحديد تلك الحدود ، فقد جعل

---

١ - رينوفان : مدخل الى تاريخ العلاقات الدولية / ٢٨ ٠

٢ - حارش: التاريخ المغاربي القديم /١٣ ٠

٣ - الصغير : مواقع وحضارات ماقبل التاريخ في بلاد المغرب القديم /٩ ٠

٤ - فتوح مصر والمغرب / ٢٤٦ ٠

٥ - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك/٢١ ٠

٦ - مسالك الممالك/٣٦ ٠

بلاد الأندلس ضمن حدود بلاد المغرب ، ويتضح ذلك من خلال قولهِ " إن المغرب نصفان يمتدان على بحر الروم، نصف من شرقيهِ ، ونصف من غربيهِ ، فأما الشرقي فهو برقة وتونس٠٠٠ وأما الغربي فهو الأندلس " ، وتبعهُ في هذا الحموي(١) ونسبهُ الى بعض الجغرافيين ، ولم يذكر اسمائهم ، فقال " قال بعضهم: حدّها من مدينة مليانة(٢) وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس (٣) التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس"٠

في حين يرى آخرون ومنهم ابن حوقل(٤) والمقدسي(٥) أن مصر ضمن حدود بلاد المغرب ، وهم بهذا الراي خالفوا الرواية التي ذكرها البلاذري(٦) والتي فصل بها بين مصر والمغرب ، فقال " لما فتح عمرو بن العاص(٧) الإسكندرية سار في جندهِ يريد المغرب حتى قدم برقة ٠٠٠)٠

ويبدو مما تقدم ، أن لفظ المغرب إنتهى عند المؤرخين والجغرافيين الى أن يشمل كل

---

١ - معجم البلدان ٥/ ١٦١ ٠

٢ - مدينة في آخر إفريقية ، بينها وبين تنس أربعة أيام، وهي مدينة رومية قديمة٠ ينظر : الحموي : معجم البلدان ٥/ ١٩٦ ٠

٣- بلدة بالمغرب , فيها مدن وبساتين كثيرة , يسقيها نهر عظيم ٠ ينظر : الحموي : معجم البلدان ٢٨١/٣ ٠

٤ - صورة الأرض١/٦٤ ٠

٥ - أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم / ٢١٦ ٠

٦ - فتوح البلدان / ٢٢١ ٠

٧- بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، وأمه سبية من عنزة تسمى النابغة ، وهو داهية قريش ويضرب به المثل في الدهاء وكان شاعراً ، أسلم مع خالد بن الوليد سنة ٨هـ، قبل فتح مكة ، نزل المدينة وسكن مصر ومات سنة ٤٢هـ وقيل ٤٣هـ ٠ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٤٢/٧؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤

مايلي مصر غرباً الى ساحل المحيط الأطلسي(١) وعلى هذا النحو يمكن تقسيم بلاد المغرب الى أربعة أقسام هي :

أولاً : برقة وطرابلس : وهما أول كورة بالمغرب من جهة الشرق(٢) وبعض الكتاب يدخلهما ضمن إفريقية (المغرب الأدنى)(٣) بينما بعضهم يفصل برقة عن المغرب ويضع طرابلس ضمن حدود بلاد المغرب (٤)٠

ثانياً: المغرب الأدنى : وتمتد من طرابلس شرقاً الى بجاية(٥)غرباً(٦) وأطلق عليها المسلمون هذهِ التسمية ، لأنها أقرب الى بلاد العرب ودار الخلافة في الحجاز والشام(٧) وعرفت كذلك بإسم إفريقية (٨) وقاعدتها مدينة القيروان(٩) وتشمل حالياً تونس (١٠)٠

١- مؤنس : فتح العرب للمغرب /٤ ٠

٢- مؤلف مجهول : الإستبصار /١١١؛ مؤنس : معالم تاريخ المغرب والاندلس /٢٦ ٠

٣- الزهري : الجغرافية/ ١٠٦ ٠

٤- ابن خلدون : تاريخ ١٣٣/٦؛ السلاوي : الإستقصا١٢٧/١ ٠

٥- وهى مدينة عظيمة في المغرب ، تقع على ضفة البحر٠ ينظر :الحميري :الروض المعطار/ ٨٠ ٠

٦- سالم : المغرب الكبير ٢/ ١٢٦ ٠

٧- السلاوي : الإستقصا١٢٧/١ ٠

٨- الزهري : الجغرافية / ١٠٧؛ ابن خلدون : تاريخ ١٣٥/٦؛ السلاوي : الاستقصا١٢٧/١ ٠

٩- القيروان معّرب وهو بالفارسية كاروان ، وهي مدينة عظيمة بإفريقية , وليس بالغرب مدينة أجلّ منها , بناها عقبة بن نافع سنة ٥٠هـ/٦٧٠م ٠الحموي : معجم البلدان ٤٢٠/٤ ٠

١٠- ابن خلدون : تاريخ ١٣٥/٦؛ السلاوي : الإستقصا ١٢٧/١ ٠

ثالثاً: المغرب الأوسط : ويمتد من بجايه شرقاً الى وادي ملويه غرباً (١) وينقسم الى قسمين شرقي ويسمى تاهرت(٢) وغربي ويسمى تلمسان(٣) ويشمل مناطق وسط وغرب الجزائر(٤)٠

رابعاً : المغرب الأقصى : ويمتد من وادي ملويه شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً ، وجبال درن جنوباً(٥) , وقاعدتُه مدينة فاس(٦) , وسمي بالأقصى لأنُه أبعد أقسام المغرب الى دار الخلافة (٧)٠

ويتضح مما تقدم أن بلاد المغرب ، كانت تتمتع بموقع إستراتيجي مهم ، كونها واقعة من

١- ابو الفدا : تقويم البلدان / ١٢٢ ٠

٢- مدينة من مدن المغرب الأوسط ، على طريق المسيلة من تلمسان , وهى مدينة قديمة وكبيرة، عليها سور صخر، ولها قصبة منيعة على سوقها تسمى المعصومة ، تقع هذه المدينة على سفح جبل يسمى قرقل أو قزقل ٠ مؤلف مجهول : الإستبصار /١٧٨؛ الحميري :الروض المعطار / ١٢٦ ٠

٣- مدينة قديمة فيها أثار الأول , كانت قديماً تحمل إسم قيصرية عندما كانت تابعة للروم, وهي دار مملكة زناتة وقبائل كثيرة من البربر، يحدها غرباً وادي مجمع ، أما جنوباً فيحدها نهر ملوية , والوادي الكبير وصحراء صنهاجه , بينها وبين مهران مرحلتين. مؤلف مجهول , الإستبصار/١٧٦؛ الحميري : الروض المعطار/١٣٥ ٠

٤- مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس /٢٧ ٠

٥- ابن خلدون : تاريخ ٦/ ١٣٣ ٠

٦- مدينة مشهورة كبيرة على برّ المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجلّ مدنه , قبل أن تختطّ مرّاكش ، وتتميز بكثرة مياهها ، يدور عليها سور عظيم ، وبين المدينتين قناطر كثيرة ، وتطرد فيها جداول ماء لا تحصى، تخترق كلتى المدينتين تسمى بالسوانى٠ الحموي : معجم البلدان ٤/ ٢٣٠ ؛ مؤلف مجهول : الإستبصار / ١٨٠؛ ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب /٥٥ ٠

٧- السلاوي : الإستقصا ١/ ١٢٧ ٠

جهة الشمال على البحر المتوسط ، وتمتد غرباً الى المحيط الأطلسي ، أضف الى ذلك أنها كانت وفيرة المياه وكثيرة الخيرات ، مما جعلها محط أنظار وأطماع العديد من القوى ، كالروم والوندال(١) وغيرهم .

---

١ - أمة جرمانية صقلبية , إستقرت في أوروبا مابين نهري الفستول والأودوا , ويطلق عليهم الوحشيين , وقد إحتلوا بلاد الغال وتقدموا نحو شبه جزيرة أيبيريا ، واستقروا في جنوبها , كما إحتلوا إفريقيا الشمالية , واستقروا بقرطاج وجعلوا منها عاصمة لأول مملكة من مماليك البربر . المدني : قرطاجنة في أربعة عصور / ١٢٢ .

ثالثاً : التضاريس

كان للأشكال التضاريسية فى بلاد المغرب تأثيراً كبيراً في التاريخ السياسي للمنطقة ، فقد شكلت الصحراء مساحة واسعة منها ، واحتلت الجبال مكانة هامة في المجال التضاريسي ، إضافة الى الهضاب التي تتخللها الوديان (١) , وقد ظهر هذا التأثير واضحاً فى عمليات الفتح الإسلامى للمغرب ، والذي إستغرق نحو سبعين سنة ، خلافاً لبلاد المشرق الذي تم فتحها في عشر سنوات تقريباً (٢) وبذلك أصبحت بلاد المغرب جزءاً مميزاً عن بقية أجزاء القارة الإفريقية ، وكما قال ابن خلدون(٣) " إن أهل الجغرافيا المعتنين بمعرفة هيئة الأرض٠٠عرفوا بلاد المغرب بأنها قطر واحد مميز بين الأقطار٠٠" ، وعلى هذا يمكننا تقسيم تضاريس بلاد المغرب الى:

١ - الجبال

إكتسبت بلاد المغرب أهمية تاريخية من خلال السلاسل الجبلية ، والتي عرفت بجبال الأطلس أو(جبال درن)(٤) وتبتدئ من ساحل المحيط الأطلسي ، وتتجه شرقاً لتنتهي في أرض برقة (٥) وتتسع في المغرب الأقصى ، ويزيد عرضها في جنوبِه(٦) وتبلغ أعلى قممها ٤١٦٥م ، وهي قمة التوبكال ، في جنوب غرب المغرب ، ويحد هذهِ السلسلةكلاً من البحر

---

١ - موسى : النشاط الإقتصادي في المغرب الاسلامي / ٤٩ ٠

٢ - حسن : المغرب الاسلامي ٦/١ ٠

٣ - تاريخ: ٦/١٢٨ ٠

٤ - اليعقوبي : البلدان / ١٩٨؛ البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك/١٦٠؛ ابن خلدون : تاريخ ٦/٢٩٨ ٠

٥ - ابن خلدون : تاريخ ٦/٢٩٨ ٠

٦ - مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس / ٢٥ ٠

المتوسط شمالاً ، والمحيط الأطلسي غرباً ، والصحراء الكبرى جنوباً(١) , وتتجلى أهميتها بكونهاتُقسم بلاد المغرب الى منطقتين تختلف كل منهما عن الأخرى (٢) وهما :

القسم الشمالي : يتكون من سلسلتين جبليتين ، تمتدان من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ، وهما السلسة التلية في الشمال ، والمتمثلة بجبال الريف(٣) في المغرب ، والمرتفعات التلية الجزائرية والتونسية(٤)٠

القسم الجنوبي: وهو سلسلة الأطلس الصحراوي ، وتمتد من المحيط الأطلسي غرباً الى تونس شرقاً ، وتتكون من جبال الأطلس الكبير والأوسط والصغير بالمغرب الأقصى ، ويستمر إمتدادها شرقاً في الجزائر وتونس(٥) وهي موازية للسلسلة التلية (٦)٠

ولم تقتصر تضاريس بلاد المغرب على جبال هذين القسمين فقط ، بل كانت هنالك جبال

١- الفاسي : التعريف بالمغرب / ١٠ ؛ علوش: الوطن العربي /١٧ ٠

٢- مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس / ٢٥ ٠

٣- وهي جبال تمتد في أقصى شمال المغرب من شرقِه الى غربِه على شكل قوس ، جوفهُ يواجه البحر المتوسط ، وقممِه لاتبلغ في علوها جبال الأطلس ، وأعلى قمة فيه جبل تدغين ، والتي تتصف بأنها صعبة المسالك ، وهي بمثابة حصون منيعة في الحروب٠الفاسي : التعريف بالمغرب /٩ ؛ جاد الرب : جغرافية العالم العربي / ٧٢ ٠

٤- الزوكة : جغرافية العالم العربي / ٥٠-٥١ ٠

٥- وتعرف داخل حدود الجزائر بأطلس التل أو الأطلس البحرية ، وهي جبال مرتفعة , وتنحدر السفوح الشمالية لأطلس التل بإتجاه البحر المتوسط شمال الجزائر ، وتستمر في إمتدادها بإتجاه الشرق لتدخل الأراضي التونسي عند جبل خمير٠ الزوكه: الوطن العربي/ ٥٦ ؛ علوش : الوطن العربي / ٦٤ ٠

٦- المدني : قرطاجنة في أربعة عصور / ١٠ ٠

أخرى فرعية لها علاقة بسلسلة جبال الأطلس ، كونها متصلة بها(١) ومنها جبل الأوراس(٢) وجبل نفوسة(٣) وجبل مديونة(٤) وجبل زغوان(٥) وجبل غمارة (٦) وجبل ونشريش(٧) وجبل كزولة(٨) والجبل الأخضر(٩)٠

---

١ - البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك/ ١٦٠ ٠

٢ - وهي كتلة جبلية شاهقة وتقع على بعد ثمانين ميلاً من بجاية ، وستين ميلاً من قسنطينة ، وهي مفصولة عن الجبال الأخرى , تتزاخم الأوراس جنوب صحراء نوميديا, وشمالاً بلاد مسيلة وسطيف ونكاوس وقسنطينة ٠ الوزان : وصف إفريقيا ٢/ ١٠٢ ٠

٣ - وهي أحد الجبال البارزة في ليبيا ، وهو إمتداد لجبال الأطلس , و يبدو على شكل كتلة منفردة قريبة من الساحل ،على شكل مثلث قعدتهُ في الغرب ورأسه في الشرق ، وطوله من المشرق إلى المغرب ستة أيام؛ وبينه وبين القيروان ستة أيام، وفيه مدن كثيرة ، وفى هذا الجبل مواضع كثيرة فيها آثار قديمة للأول٠ البكري , المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٩؛ مؤلف مجهول : الإستبصار / ١٤٤ ؛ الحموي: معجم البلدان٥/ ٢٩٦ ٠

٤ - وهو جبل مشهور ببر العدوة في شرقي مدينة فاس ، والذي يمتد جنوباً حتى يتصل بجبل درن٠ ابن سباهي : أوضح المسالك /١٠٠ ٠

٥ - وهو جبل عظيم يقع بالقرب من جزيرة شريك في تونس٠ الحميري : الروض المعطار/٢٩٤ ٠

٦ - وهو جبل في المغرب ، وركن على البحر المتوسط ، ويعتبر من أخصب الجبال ، يسكنه قبائل كثيرة من غمارة وهم أمم لا تحصى ، وفى هذا الجبل مدن قديمة، وآثار كثيرة للأوائل، وطولهُ مسيرة ستة أيام وعرضه نحو ثلاثة أيام٠مؤلف مجهول : الإستبصار /١٩٠؛ القلقشندي : صبح الأعشى ج٥/ ١٧٣ ٠

٧ - يقع في تلمسان وهو جبل شاهق , يتصل بجبل يسر من شرقهِ ، جيد التربة كثير العيون والينابيع, تسكنه قبيلة زناته ٠القلقشندي : صبح الأعشى ٥/ ١٧٤ ٠

٨ - ويسمى أيضاً جبل جزولة ، ويبدأ من المحيط الأطلسي ، ويمتد شرقاً ، وبه مدينة تسمى تاعجست اليعقوبي: البلدان/ ١٩٨؛ القلقشندي : صبح الأعشى٥/١٧٣ ٠

٩ - وهو جبل شاهق يقع بجوار نهر أم الربيع , ويمتد غرباً الى تلال هسكرة, وهو جبل وعر ، كثير الأشجار٠ الوزان : وصف إفريقيا ١/١٦٠ ٠

ويتضح مما تقدم أن تضاريس بلاد المغرب ، معقدة وتمتاز بكثرة السلاسل الجبلية فيها, حيث كانت تلك الجبال أحد الأسباب التي جعلتها شبه مغلقة أمام التأثيرات الخارجية ، وشكلت عائقاً أمام تقدم المسلمين أثناء عمليات الفتح ، فكانت سبباً في تأخر المسلمين في فتحها، أضف إلى ذلك أن المناطق الجبلية كان لها تأثيرات واضحة على سكان بلاد المغرب ، فقد جعلت منهم هذهِ الطبيعة الجغرافية رجالاً أشداء أقوياء , يمتازون بالعناد والمقاومة.

٢ - الصحاري

ويمتد هذا الإقليم إلى الجنوب من جبال الأطلس الصحراوي (١)من واحات برقة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً(٢) ويشكل الجزء الأكبر من مساحة بلاد المغرب(٣) ويمتاز بقلة المياه ، فنادراً ما يشهد تساقط أمطار قليلة غير منظمة ، لذلك إعتمد سكان هذهِ المناطق على المياه الجوفية وعلى الآبار والعيون(٤) ويضم أشكال تضاريسية مختلفة منها:

أ- الأحواض والمنخفضات : وهي مساحات واسعة تغطيها الكثبان الرملية ، و ساعد وجودها على ظهور الواحات ، وذلك لسهولة الحصول على المياه الباطنية فيها (٥) , ومن أشهر

---

١ - حارش : التاريخ المغاربي القديم/١٣ .

٢ - السامرائي : تاريخ المغرب العربي /١٣ .

٣ - الجوهري : شمال إفريقيا/٢٤ .

٤ - الجوهري : شمال إفريقيا / ١٩ .

٥ - الجوهري : شمال إفريقيا/٢٤ .

الواحات في بلاد المغرب ، واحة بسكرة(١) وأوجلة (٢) وغدامس(٣) في ليبيا (٤)٠

ب- الهضاب الصحراوية : وهي نوعان ، الهضاب الجيرية وتدعى الحمادة ، بها مياه جوفية وتحيط بها المرتفعات الصخرية ، ومن أمثلتها حمادة الحمراء غربي ليبيا(٥) والهضاب الرملية ، وتدعى الدق ، وهي التي حفرتها الرياح عن طريق النحت ، وتندر بها المياه(٦)٠

ج- الكتل الجبلية : وتشغل مساحة قليلة من الصحراء ، وهي عبارة عن صخور بلورية وبركانية ، ومنها جبل العوينات في ليبيا(٧)٠

وعلى الرغم من أن الصحراء تبدو فاصلة لبلاد المغرب عن القارة الإفريقية ، إلا أنها شكلت عائقاً أمام تقدم المسلمين أثناء عمليات الفتح ، ولهذا تحاشى المسلمون التقدم في عمق الصحراء , وسلكوا الطريق الساحلي , وفي بعض الأحيان سلكوا الصحراء بأعداد محدودة من القوات (٨)٠

١- وهي مدينة بالمغرب ، بينها وبين باغاية أربعة أيام ، وهي مدينة كبيرة وعامرة٠ينظر : البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ٥١ ؛ مؤلف مجهول : الإستبصار / ١٧٣ ٠

٢- مدينة في جنوبي برقة نحو المغرب ضاربة إلى البر، من أعمال إجدابية ، وهي عامرة كثيرة النخل٠مؤلف مجهول : الإستبصار / ١٤٧؛ الحموي: معجم البلدان١/٢٧٦ ٠

٣- وهي مدينة في جنوب المغرب في الصحراء ، ضاربة لبلاد السودان ، إشتهرت بأنواع الجلود ٠ مؤلف مجهول : الإستبصار / ١٤٥؛ الحموي : معجم البلدان ٤/١٨٧ ٠

٤- مؤلف مجهول : الإستبصار /١٤٧؛ ١٨٥ ٠

٥- الجوهري : شمال إفريقيا / ٢٥؛ الزوكة : جغرافية الوطن العربي/٥٣ ٠

٦- الجوهري : شمال إفريقيا / ٢٥ ٠

٧- السعيد : الزراعة في بلاد المغرب القديم / ١٩ ٠

٨- ينظر : خطاب : قادة فتح المغرب العربي ١/ ١٠١

٣- الهضاب

تعد الهضاب من أشكال التضاريس الأرضية في بلاد المغرب ، وهي تنحصر بين سلاسل الأطلس المتمثلة بهضبة الميزيتا المراكشية غرباً ، والحوض الأعلى والأوسط لوادي سبو شمالاً ، وتمتد في مقاطعة وهران(١) الجزائرية ، وقد قاومت هذهِ الهضبة بحكم صلابتها الضغوط التي تعرضت لها خلال الحركة الإلبية(٢) كونها عبارة عن حافة قديمة تغطيها تكوينات رسوبية تكونت بفعل عوامل التعرية (٣)٠

وهنالك نوع آخر من الهضاب يدعى الشطوط(٤) وسميت بهذهِ التسمية نسبة الى الشطوط المنتشرة حول سطحها ، وتنحصر هذهِ الهضبة بين أطلس التل ، وأطلس الصحراء , لذا تتخذ شكل المثلث تقريباً , وهي محدودة الإرتفاع ، حيث يبلغ إرتفاعها ٣٢٨٠ قدماً (٥)٠

٤- السهول

احتوت بلاد المغرب على بعض أنواع السهول ، فإمتداد الجبال في الشمال والغرب والجنوب ، لايعني غياب السهول على طول الساحل(٦) فعند خليج قابس(٧) تندمج الجبال

١- مدينة على البر الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان مسير ليلة، ومنها إلى تنس ثماني مراحل، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر٠ينظر : الحموي :معجم البلدان ٥/٣٨٥ ٠

٢- وهي إحدى الحركات التكوينية ، التي تعرضت لها التضاريس الأرضية ، وسميت بهذا الاسم نسبة الى جبال الألب التي تنتمي إليها٠ ينظر : شرف : المقدمات في الجغرافيا الطبيعية / ١٣٨ ٠

٣- الزوكة : جغرافية العالم العربي / ٥٩ ٠

٤- شرف : المقدمات في الجغرافيا الطبيعية/١٩٦ ٠

٥- جاد الرب : جغرافية العالم العربي /٦٧ ٠

٦- حارش : التاريخ المغاربي القديم / ١٤ ٠

٧- مدينة بين طرابلس وسفاقس على ساحل البحر، بينها وبين طرابلس ثمانية منازل من أعمال إفريقية في الإقليم الرابع ٠البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك/ ٧١ ٠

مع الهضبة مكونة سهل ساحلي عرضه لايزيد على ٤٨كم ، حيث كان حلقة الإتصال بين المغرب ومصر ، وكان مطمع أنظار المستعمرين للسيطرةِ عليه منذ القدم ، وسلك المسلمون هذا الطريق أثناء فتح المغرب ، كونهُ مستوياً سهل الإجتياح(١)٠

وسهول المغرب تقع غالباً على ساحل المحيط الأطلسي وساحل العدوة والبحر المتوسط ، وأشهرها السهول الساحلية الغربية الواقعة بالمغرب الأقصى , أما السهول الواقعة بالمغرب الأدنى فتكاد تكون ضيقة , بسبب إقتراب الجبال من الساحل(٢) والسهول العليا الجزائرية المغربية التي تظهر على شكل أحواض مغلقة(٣) وسهل السوس الذي يفصل مرتفعات أطلس العظمى عن مرتفعات أطلس الداخلية(٤)٠

---

١ - حسونة : أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الإسلامية / ٥٣ ٠

٢ - سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي / ٤٥ ٠

٣ - حارش: التاريخ المغاربي القديم / ١٤ ٠

٤ - ابو العلا : جغرافية العالم العربي / ٢٥٠

رابعاً : الأنـهار

تحتوي بلاد المغرب على مجموعة من الأنهار ، وهي على نوعين ، النوع الأول وهي الأكثر، التي تصب في المحيط الأطلسي ، والنوع الثاني القليلة التي تصب في البحر المتوسط(١) وأهم تلك الأنـهار:

١- نـهر ملوية : وهو من أنهار المغرب الأقصى(٢) ويصب فيهِ نـهر سجلماسة (٣) الذي ينبع من جنوبها بمسافة مئة ميل(٤) حتى يصبحان نـهراً واحداً, يصبان في البحر المتوسط(٥) ٠

٢ - نـهر سبو : ويسمى بالنـهر الأعظم(٦) ينبع من جبال الأطلس الأوسط , وجبال الريف ويسير في ممر تازة (٧) مروراً بنواحي جبل القلعة(٨) ويكون محاذي لمدينة فاس من الجهة الشرقية(٩) حتى يصب في المحيط الأطلسي (١٠)٠

١- المدني : قرطاجنة في أربعة عصور/ ١٠ ٠

٢- الحميري : الروض المعطار / ٥٤٣؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٥/ ١٧٤ ٠

٣- مدينة عظيمة بالمغرب, واقعة في طرف الصحراء , قليلة المياه٠ الحميري : الروض المعطار / ٣٠٥ ٠

٤- الميل يساوي ٢ كم ٠ هينتس : المكاييل والأوزان الإسلامية / ٩٤ ٠

٥- ابن سعيد : الجغرافيا /١٤٠؛ مؤلف مجهول : الإستبصار /١٩٣؛ ابن سباهي : أوضح المسالك / ٧٢ ٠

٦- الزهري : الجغرافية /١١٥ ٠

٧- علوش : الوطن العربي / ٦٤ ٠

٨- وهي مدينة عامرة في المغرب , فيها آثار للأول ٠البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٧٧ ٠

٩- الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/٢٤٧؛ الزهري : الجغرافية /١٤٠؛ المراكشي : المعجب / ٤٤٩ ٠

١٠- المراكشي : المعجب /٤٤٩ ٠

٣- نهر سيرات : وهو نهرٌ كبير ، يقع عند مدينة أرزاو(١) ويسقي فحص(٢) سيرات , الذي تسكنهُ قبائل كثيرة من البربر(٣) ويصب في المحيط الأطلسي(٤)٠

٤- نهر السوس : وهو نهر يجري من الجنوب والشرق من جبل لمطة(٥) ويصب في المحيط الأطلسي(٦)٠

٥- نهر أم الربيع : وهو نهر عظيم يقع بالقرب من أزمور(٧) بين سلا (٨) ومراكش(٩) ينبع من جبل في صنهاجة , ويصب في المحيط الأطلسي (١٠)٠

٦- نهر المجردة : يقع عند مدينة تونس ويقال عند مصبهِ الذي يسمى المفزع (١١) وينتهي

١- وهي مدينة رومية قديمة , خالية من الآثار ٠ البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب /٧٠ ٠

٢- الفحص هو كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً ، بشرط أن يزرع٠الحموي : معجم البلدان ٤/ ٢٣٦

٣- مؤلف مجهول : الإستبصار /١٧٨ ٠

٤- موسى : النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي/ ٥٧ ٠

٥- مدينة كبيره في أول صحراء المغرب , وسميت بهذا الإسم نسبة الى قبيلة لمطة التي تسكنها ٠ مؤلف مجهول : الإستبصار /٢١٣؛ ابن سباهي : أوضح المسالك / ٧٢ ٠

٦- مؤلف مجهول : الإستبصار /٢١٣ ٠

٧- الزهري : الجغرافية / ١١٥؛ المراكشي : المعجب / ٥٥٠ ٠

٨- مدينة قديمة تقع في المغرب الأقصى على ضفة النهر ٠ الحموي : معجم البلدان ٣/٢٣١ ٠

٩- مدينة طيبة بالمغرب ماؤها عذب , كثير الزرع والضرع , مؤلف مجهول : الإستبصار/٢٠٩ ٠

١٠- الزهري : الجغرافية /١١٥ ٠

١١- ابن سعيد : الجغرافيا /١٤٣ ٠

الى المحيط الأطلسي (١)٠

ولم تقتصر بلاد المغرب على هذهِ الأنهار ، بل كانت هنالك أنهار آخرى صغيرة ، كنهر الرمل ، الواقع في أقصى بلاد المغرب ، ويمتاز بسرعة جريانهِ(٢) ونهر فاس ، وهو نهر متوسط يشق مدينة فاس(٣) ونهر سهر ، الذي تقع عليه مدينة المسيلة(٤) ونهر شلف(٥) ونهر يسر (٦)٠

أضف الى ذلك أن بلاد المغرب لاتخلو من العيون والآبار ، التي كانت تشغل مساحة واسعة من المناطق الجبلية ، كون هذهِ المناطق تتجمع بها الثلوج في فصل الشتاء ، وتتحول فيما بعد الى مياه(٧) ومنها عيون فاس(٨) فقد إشتهرت هذهِ المدينة بكثرت عيون المياه

---

١ - المراكشي : المعجب / ٤٤٩ ٠

٢ - ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب / ٢٦١ ٠

٣ - الزهري : الجغرافية / ١١٤؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٥/١٧٥ ٠

٤ - البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٥٩ ، ومدينة المسيلة ، من مدن بلاد الزاب ، واقعة على أرض منبسطة كثيرة الزرع ، شديدة البرودة٠ مؤلف مجهول : الإستبصار/١٧١

٥ - اليعقوبي : البلدان /١٩٧؛ ابن سعيد : الجغرافيا /١٤٢ ٠

٦ - ابن سعيد : الجغرافيا /١٤٠ ٠

٧ - موسى : النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي / ٥٩ ٠

٨ - مؤلف مجهول : الإستبصار/١٨٠؛ ابن سعيد :الجغرافية /١١٤ ٠

فيها ، والتي بلغ عددها بعدد أيام السنة(١) وعيون قفصة(٢) وعيون باجة(٣) وعيون ميلة (٤) وعيون تلمسان (٥) وعيون المسيلة (٦) وعيون طبنة(٧) وعيون قسنطينة(٨) أما

---

١ - الزهري : الجغرافية/١١٤ ؛ ابن سعيد : الجغرافيا /١٤١ ٠

٢ - وهي بلدة صغيرة في طرف إفريقية , من ناحية المغرب , من عمل الزاب الكبير بالجريد, بينها وبين القيروان ثلاثة أيام ٠مؤلف مجهول : الإستبصار/١٥٢؛ الحموي : معجم البلدان ٤/٣٨٢ ٠

٣ - وهي مدينة كثيرة الأنهار تقع على سفح جبل ٠البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٥٦؛ مؤلف مجهول : الإستبصار /١٦٠ ٠

٤ - مدينة أزلية فيها آثار للأول , وهى الآن عامرة آهلة كثيرة الخصب رخيصة السعر٠ مؤلف مجهول : الإستبصار /١٦٦ ٠

٥ - الزهري : الجغرافية /١١٣؛ مؤلف مجهول : الاستبصار /١٧٧ ٠

٦ - البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٥٩؛ مؤلف مجهول : الاستبصار /١٦٧ ٠

٧- بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب ,على ضفة الزاب ٠ البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٦٠؛ الحموي : معجم البلدان ٤/٢١ ٠

٨ - وهي مدينة كبيرة عامرة قديمة ، حصينة ، وكان لها ماء مجلوب يأتيها على بعد على قناطر تقرب من قناطر قرطاجنة ٠ البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٦٣؛ مؤلف مجهول : الإستبصار /١٦٥ ٠

الآبار فمنها ، آبار تلمسان (١) وآبار مليانة (٢) وآبار تهودا(٣)٠

١ - البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٧٦-٧٧؛ الإدريسي: نزهة المشتاق ١/٢٥٥ ٠

٢ - البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٦٩؛ الحموي : معجم البلدان ١٦١/٥ ٠

٣ - وهي مدينة كبيرة , مبنية من الحجر، من بلاد الزاب ٠ البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٧٢ ٠

خامساً : المناخ

لاشك أن للعوامل الجغرافية دوراً وتأثيراً على مناخ بلاد المغرب ، فهي واقعة تحت تاثير ثلاثة عوامل ، من الشمال البحر المتوسط ، ومن الغرب المحيط الأطلسي ، ومن الجنوب الصحراء الكبرى ، ونتيجة لتباين هذهِ العوامل الثلاثة ، يكون مناخ المغرب مضطرباً ومتبايناً(١) , فالمناطق القريبة من البحر المتوسط يمتاز مناخها بأنهُ حار جاف صيفاً , بارد ممطر شتاءً (٢) حيث يسيطر على البحر المتوسط ضغط هوائي مرتفع في الشتاء ، فتهب الرياح الغربية محملة برطوبة المحيط الأطلسي , في حين يخفّ الضغط الهوائي صيفاً , وبذلك تنتقل مراكز الرياح شمالاً مع حركة الشمس الظاهرية ، فتسود المنطقة الرياح القبلية الجافة(٣) , أما المناطق القريبة من المحيط الأطلسي ، فتمتاز بالطقس المعتدل وتكثر فيه الأمطار(٤) في حين يمتاز المناخ الصحراوي بالحرارة والجفاف وقلة المياه(٥)٠

كما أثرت العوامل الجغرافية أيضاً في كميات الأمطار الساقطة في بلاد المغرب ، فقد إختلفت نسبة تساقطها من مكان لآخر(٦) فالأراضي التي تقع شمال إفريقية تعاني نقصاً حاداً في الأمطار , مثل تونس والجزائر ، بينما كانت بلاد المغرب الأقصى الواقعة في نفس المجال ، تنعم أراضيها بالأمطار ، والسبب في ذلك يعود الى تأثير المحيط الأطلسي فيها(٧)٠

١- حارش: التاريخ المغاربي القديم /١٤ ؛ العسلي : فن الحرب ٢/١٣٠

٢- ملر : علم المناخ / ٢٤٩ ٠

٣- ملر : علم المناخ / ٢٥٤ ؛ موسى : النشاط الإقتصادي / ٥٣ ٠

٤- المدني : قرطاجنة في أربعة عصور / ١٠-١١ ٠

٥- فايد : جغرافية المناخ والنبات / ٣٣٣ ٠

٦- ابو العلا : جغرافية العالم العربي/ ٢٦٥ ٠

٧- مؤلف مجهول : الإستبصار /٢٠١؛ حارش: التاريخ المغاربي القديم / ١٥ ٠

سادساً: عناصر السكان

يتفق الجغرافيون على وجود مجموعة من العوامل الجغرافية تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في التوزيع السكاني , لكنهم يختلفون في درجة تأثيرها على السكان (١) , والذي يهمنا في هذا المبحث مدى تأثير هذهِ العوامل في التركيبة السكانية لبلاد المغرب العربي ، فقد كان سكان بلاد المغرب عبارة عن خليط من الشعوب ، كلاً منهم إختار مكان مناسب لهُ للإستيطان ، ومنهم :

١ - الأفارقــة : وهم من السكان الأصليين ، وقد تنوعت أصولهم العرقية ، فمنهم من ينتسب الى قرطاجنة ، ومنهم من ينتسب إلى السلالة الآرية ، وهم بقايا الرومان واليونان(٢) لذلك يطلق عليهم اسم عجم إفريقية ، أو الأعاجم(٣) , وقد تأثر العنصر الإفريقي بالحضارة الرومانية ، وإكتسبوا بعض العادات والتقاليد من هذهِ الحضارة ، نتيجة التزاوج والمصاهرة معهم ، حتى إعتنقوا النصرانية(٤) , وكانوا يستقرون في المناطق الساحلية(٥) والسهلية العامرة التابعة للدولة البيزنطية(٦) في إفريقية البروقنصلية (٧) وقابس(٨)٠

---

١ - سعيد : أسس الجغرافية البشرية والإقتصادية /٥٥ ٠

٢ - لقبال : المغرب الاسلامي / ١٦ ٠

٣ - ابن خلدون : تاريخ ٦/١٤٤ ٠

٤ - السامرائي : تاريخ المغرب العربي / ٢٣ ٠

٥ - البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /١٧ ٠

٦ - رحماني : الأوراس في العصر الوسيط /٢٤ ٠

٧- وهو مصطلح أطلق على المناطق التي كانت تبعيتها مباشرة للقرطاجيين , ومنها نوميديا للدلالة على المنطقة المتوسطة , وموريطانيا للدلالة على المنطقة الغربية منها ٠ لقبال : المغرب الاسلامي /١٣ ٠

٨- الحموي : معجم البلدان ٤/٢٨٩ ٠

٢ - الروم : وهي تسمية أطلقها العرب منذ القدم على الشعوب اليونانية ، التي كانت تسكن الإمبراطورية الشرقية , ونتيجةً لهجرة الوندال الى إمبراطوريتهم ، لذلك سارع الرومان بإحتلال جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وإستقروا في سواحل بلاد المغرب(١) كطنجة وسبتة(٢) وطرابلس (٣)٠

٣ - البربر: وقد إختلف المؤرخون في نسبهم (٤) ويتضح من خلال قول ابن خلدون(٥) أنهم أقوام إستوطنوا في بلاد المغرب ، فقال "هم سكان المغرب القديم ملئوا البسائط والجبال من تلولهِ وأريافهِ وضواحيهِ وأمصارهِ ، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر ٠٠٠٠" ، فقد سكنت قبائل مطماطة(٦) في مدينة مدكرة (٧) وسكنت قبائل أوربة وجراوة وهم فروع كبيرة من زناته ، جبال الأواس (٨)٠

---

١ - المدني : قرطاجنه في أربعة عصور / ١٣٥ ٠

٢ - بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب , ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بّر البربر تقابل الجزيرة الخضراء على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البّر والجزيرة ، وهي مدينة حصينة ضاربه في البحر ٠ مؤلف مجهول : الإستبصار/ ١٣٧ ؛ الحموي : معجم البلدان ٣/١٣٨ ٠

٣ - طه : الفتح والإستقرار / ٤١ ٠

٤ - فقيل إنهم من بقايا ولد حام بن نوح (ع) ، من بني حمير من أهل اليمن، وقيل إنهم ينتسبون إلى بر بن قيس عيلان ، وهذان القولان ضعيفان ، فلا توجد علاقة تربطهم بحمير ، كما لايوجدلقيس إبن إسمهُ بر ٠للمزيد ينظر: ابن حزم : جمهرة أنساب العرب /٤٩٥؛ السلاوي : الإستقصا١/١١٦ ٠

٥ - تاريخ ٦/١١٦ ٠

٦ - وهم شعوب كثيرة من بطون تمصيت ، وقيل إن اسم مطماط مصكاب، ومطماط لقب له ، وهم مفرقون في بلاد المغرب ، فمنهم من نواحي فاس من قبلتها في جبل هنالك معروف بهم ما بين فاس وصفروى، ومنهم بجهات قابس والبلد المختط على العين الحامية من جهة غربها، منسوب إليهم٠ابن خلدون : تاريخ٦/١٦١

٧ - اليعقوبي : البلدان / ١٩٦؛ ابن خلدون : تاريخ ٧/١٣ ٠

٨ - اليعقوبي : البلدان/١٩٨ ٠

أما منطقة قسنطينة فقد سكنتها قبائل مكناسة وكتامة ولواتة ونفزة (١) , كما سكنت قبائل كتامة(٢) المناطق التي تمتد على شاطئ البحر المتوسط(٣) , وكانت الغالبية العظمى من البربر ومنهم قبائل صنهاجة (٤) الذين زاولوا حرفة التجارة ، قد إستوطنوا في الصحراء (٥) وقد أطلق قسم من البربر ممن سكنوا بلاد المغرب على أنفسهم اسم الأمازيغ(٦) أي الأحرار(٧)٠

والجدير بالذكر أن إستيطان الروم البيزنطيين في المناطق الساحلية ، كان لهُ دور وتأثير واضحين على سير عمليات الفتح الإسلامي في بلاد المغرب ، فقد قاموا بعدة أعمال إحترازية لحماية سواحلهم وتحصينها ، ويتضح ذلك من خلال إعادة نظام خطوط التحصينات الذي يرجع للعهد الروماني ، وأعادوا التحصينات التي دمرها الوندال ، وبنوا تحصينات جديدة ، مما أدى الى إعاقة تقدم المسلمين في تلك المناطق ، فيما يبدو في بعض الأوقات ، لكن سياستهم التعسفية التي إتخذوها تجاه البربر ، كانت سبباً في تشكيل إتحادات بربرية ، قامت بعدة ثورات للتخلص من هذهِ السيطرة(٨)٠

---

١ - اليعقوبي : البلدان/١٩٨؛ ابن حوقل : صورة الارض/٨٧ ٠

٢ - ابن حوقل : صورة الارض /٩١ ٠

٣ - اليعقوبي : البلدان /٦٣ ٠

٤ - مؤلف مجهول : الاستبصار /١٧٩ ٠

٥ - البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك/١٠-١١؛ العروي : مجمل تاريخ المغرب /١١٢ ٠

٦ - شفيق : ثلاثة وثلاثون قرناً من تاريخ الأمازيغ/٨ ٠

٧ - حقي : البربر في الأندلس / ٢٨ .

٨ - ينظر : طه : الفتح والإستقرار / ٤٣؛٦٣ ٠

المبحث الثاني : جغرافية بلاد الأندلس

أولاً : التسميـــة

أطلق على بلاد الأندلس قديماً عدة تسميات ، ومنها (أيبيرية) ، نسبه الى الشعوب القديمة التي عمرت هذهِ المنطقة ويقال لهم الأيبير(١) , ولم يعرف قبلهم أمة أخرى(٢) , كما سميت (إباريه) نسبة الى وادي الإبرو , و(باطقه) من وادي بيطي (٣) وقيل إن أول من سكنها قوم يعرفون بالأندلش , بشين معجمة فسميت بهم , ثم عربت بسين مهملة (٤) , والنصارى يسمون الأندلس أشبانية , نسبة الى شخص كان يملكها إسمه أشبان(٥) , ويرى مؤنس(٦) أن لفظة (أسبانيا) من أقدم الأسماء التي عرفت بها هذهِ المنطقة , فهي مذكورة في كتابات الفينيقيين ، قبل سنة ١١٠٠ قبل الميلاد , أي قبل تأسيس مدينة قادس(٧).

كما سميت بجزيرة الأندلس , لأنها جزيرة ذات ثلاثة أركان (٨) على شكل مثلّث ، قد أحاط

---

١ - هم أقدم أمة في غربي أورية , سيطرت على شبة الجزيرة الإيبيرية أي أسبانيا والبرتغال ، وقسماً من بلاد الغال أي جنوبي فرنسه وبعض شمال إيطالية . أرسلان : الحلل السندسية١/ ٣٤ .

٢ - أرسلان : الحلل السندسية ٣٢/١ .

٣ - البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا / ٥٧ ؛ الحميري : الروض المعطار /٣٣ .

٤ - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٣٥/٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٢١١/٥:المقري : نفح الطيب ١٣٣/١ .

٥ - الحميري : الروض المعطار /٣٣ .

٦ - الجغرافية والجغرافيون /٣٣٤ .

٧ - جزيرة بالأندلس عند مدينة طالقة ، طولها من القبلة الى الجوف ١٢ ميلاً وعرضها في أوسع المواضع ميل , كثيرة الأشجار والمياه. ابن غالب : فرحة الأنفس /٢٥ ؛ ابن سعيد : الجغرافيا /١٣٩ .

٨ - ابن غالب: فرحة الأنفس / ١٢ .

بها البحران المتوسط والمحيط الأطلسي (١) ركنها الأول عند صنم قادس(٢) , وركنها الثاني بين مدينة نربونة(٣) وبرذيل(٤) وركنها الثالث عند مدينة برطانية(٥).

وإختلفت الآراء حول أصل وإشتقاق اسم الأندلس ، فقد ذهب الحموي(٦) الى أنها كلمة أعجمية لم يستعملها العرب قبل الإسلام ، وإنما عرفوها في الإسلام ، ويعلل ذلك بقولِه " لو كانت عربية لجاز أن يدّعى لها أنها على وزن أنفعل" ، فقد إشتقوا اسمها من كلمة (فاندالوسيا) وهو إسم مأخوذ من قبائل الوندال الجرمانية التي إجتاحت أوروبا ، في القرن الثالث والرابع ، وحتى القرن الخامس الميلادي , وإستقرت في السهل الجنوبي(٧).

ويرى آخرون أنها سميت بذلك نسبة إلى أندلس بن طوبالٍ بن يافثٍ بن نوحٍ، لأنّهُ نزلها، وسميت العدوة المقابلة لها بإسم سبتة ، نسبة الى أخاهُ سبت بن يافثٍ (٨).

١- الحموي : معجم البلدان ٢٦٢/١ ؛ الحميري : الروض المعطار ٣٢/ .

٢-ويقال أنهُ طلسم يمنع المراكب أن تدخل بحر برطانية الى بحر الروم ، ويقع هذا الصنم في وسط مدينة قادس ، لذلك سمي باسمها.ابن سعيد : الجغرافيا ١٣٩/؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر ٢٤٤/ .

٣- وتسمى أربونة , وبونة , وهي من مدن الأندلس, وثغورها مما يلي بلاد الإفرنجة . الحميري : الروض المعطار / ٢٤ .

٤- من مدن الإفرنج , وتقع جنوب غرب فرنسة . القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ٥٧٩/ .

٥- المقري : نفح الطيب ١٣٠/١؛ في الأصل بريطانية , وتشمل المنطقة المحيطة بمدينة لاردة. العذري : نصوص عن الأندلس ١٦٠/

٦- معجم البلدان :٢٦٢/١

٧- مصطفى : الأندلس في التاريخ / ٦

٨- مؤلف مجهول : فرحة الأنفس ١٢/؛ المقري : نفح الطيب ١٢٥/١ .

ولم يقتصر مدلول (الأندلس) على البقعة الجنوبية المقابلة للمغرب فحسب ، بل إتسع هذا المدلول ، وشمل كل مناطق أسبانيا الإسلامية ، وكل الجزيرة الإيبيرية (أسبانيا والبرتغال حالياً) , وجميع مافتحهُ المسلمون من البلدان بعد أن عبروا مضيق جبل طارق(٣)٠

١ - البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا /٥٩ ٠

ثانياً : الموقع والحدود

تقع شبه الجزيرة الإيبيرية في الجنوب الغربي من قارة أوروبا(١) , وهي على شكل مثلث غير منتظم (٢) ويكون معظمها في الإقليم الخامس , وبعضها في الإقليم الرابع (٣) ويذكر أن المعمور من الأرض مقسوم الى سبعة أقاليم , وأن بلاد الأندلس هي آخر الإقليم الرابع , آخذه في العرض الإقليم الخامس والسادس من الأقاليم السبعة (٤)٠

أما بالنسبة الى حدودها ، فيحدها من الشرق البحر المتوسط , ومن الغرب المحيط الأطلسي (٥) وتتصل ببلاد الإفرنجة(٦) من جهة الشمال(٧) ويفصلها من الجنوب عن البر الإفريقي المغربي , ممر ضيق سهل الإجتياز , وهو الذي يربط بين شبه الجزيرة وبين البر المغربي (٨) وعبر المسعودي(٩) عن قرب المسافة بين العدوتين بقولِه "ان الناس يعبرونهُ من غدوة الى الظهر" ، ونظراً لأهمية هذا المضيق من الناحية الإستراتيجية والإقتصادية

١- حتاملة : إيبيريا قبل مجئ العرب المسلمين/١٨ ٠

٢- أرسلان : الحلل السندسية١/٣٦ ٠

٣- ابن غالب: فرحة الأنفس / ١٢ ؛ ابن صاعد : طبقات الأمم/ ٨٥؛ العمري : مسالك الأبصار ١/ ٥٠٩ ٠

٤- مؤلف مجهول : تاريخ الأندلس / ٢٩ ٠

٥- مؤلف مجهول : فرحة الأنفس /١٢ ٠

٦- وهم أقوام استقروا في القرن الرابع الميلادي داخل الإمبراطورية الرومانية , ويعتبر كلوفس المؤسس الحقيقي لدولة الإفرنجة , وكانت ديانتهم النصرانية , وكانت مملكتهم قبل ظهور الإسلام , تشمل إفريقية , وجزيرة صقلية , وجزيرة اقريش ٠ البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا / ١٣٧؛ عاشور : أوروبا في العصور الوسطى١/٧٩ ٠

٧- مصطفى : الأندلس في التاريخ /٧ ٠

٨- مصطفى : الأندلس في التاريخ /٧ ؛ كحيلة : الخصوصية الأندلسية/١٠ ٠

٩- مروج الذهب ١/١٣٥ ٠

والعسكرية ، لذلك نشب الصراع بين العدوتين للسيطرة عليه(١)٠

كما تحيط البحار منطقة شبه الجزيرة الإيبيرية من جميع جهاتها, عدا حدودها مع بلاد الغال التي تفصل بينهما جبال البرت(٢) ويكون العبور الى جهتها الشمالية الغربية أمراً صعباً ، بسبب وعورة مسالكها , ووجود قبائل البشكنس (٣) الذين كانوا يتصدون لأي محاولة خارجية للعبور إليها (٤)٠

يتضح مما تقدم أن شبه الجزيرة الإيبيرية , كانت تتمتع بموقع إستيراتيجي مهم ، كونها واقعة شمال إفريقية , وغرب أوروبا , بحيث أصبحت حلقة وصل بين المنطقتين , وبمثابة جسراً بين العدوتين , أضف الى ذلك ، أن وقوعها على البحرين , البحر المتوسط والمحيط الأطلسي , أكسبها أهميه كبيرة من خلال سيطرتها على الطرق البحرية فيها ٠

---

١ - مصطفى : الأندلس في التاريخ /٨ ٠

٢ - تعد هذه الجبال بمثابة الحاجز بين بلاد الإسلام وبلاد الغال٠ البكري : جغرافية الاندلس واوروبا/ ٨٥ ٠

٣ - وأطلقت عليهم عدة تسميات ، منها البسكنس وبشكونس والبشاكسة والبشكنس , هم سكان بلاد نافارا , وكانت بنبلونة عاصمة لهم , وهو إقليم يمتد عبر جبال البرتات الغربية مابين فرنسا وأسبانيا حتى شاطئ خليج بسكاي , ويغطي الإقليم مساحة تقدر ب(٢١كم٢) منها , ثلاثة آلاف تقع في أراضي بلاد الغال (فرنسا) , و(١٨كم٢) في أراضي أسبانيا ٠ ينظر: العلياوي : البشكنس دراسة تاريخية في أحوالهم العامة في الأندلس حتى سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م / ١١-١٢ ٠

٤ - كحيلة : الخصوصية الأندلسية/١٠

ثالثاً : التضاريس

تحتوي تضاريس بلاد الأندلس على جبال وهضاب ووديان ، وهي تشبه الى حدٍ ما تضاريس بلاد المغرب ، أكثر من شبهها بأوربا(١) , ومثلما كان لتضاريس بلاد المغرب دور في الفتوحات الإسلامية ، كذلك كان لتضاريس بلاد الأندلس الدور نفسه ، ولايمكننا معرفة مدى هذا التأثير ، مالم نسلط الضوء على أهم الأشكال التضاريسية فيها:

١ - الجبال :

تضم شبه الجزيرة الإيبيرية مجموعة من السلاسل الجبلية , ونقل مؤنس(٢) عن الرازي قوله " إن في الأندلس جبال تقطعُه مستعرضة من البحر الى البحر ، لايقطعها نهر في أي موضع من مواضعها , وفي هذه الجبال حصون منيعة ، كل حصن يشتمل على الأراضي الكثيرة الواسعة " ، ومن هذِه الجبال :

أ - جبال سيرانيفادا : وتعني الجبال الثلجية(٣) وقيل إنها تعني باللغة الأسبانية (المنشار) , وسميت بذلك كونها سلسلة تشبه في تعاقبها أسنان المنشار(٤) وهي متصلة بالبحر المتوسط ، منتظمة بجبل ريّة (٥) ولاصقة بالجزيرةِ الخضراء(٦) مع البحر(٧) , وتمتد من إقليم مدينة

---

١ - مصطفى : الأندلس في التاريخ/٨ ٠

٢ - الجغرافية والجغرافيين /٦٤ ٠

٣ - المقري : نفح الطيب ١/١٤٨ ٠

٤ - كولان : الأندلس / ٥٢ ٠

٥ - كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء وهي قبلي قرطبة، وهي كثيرة الخيرات، ولها مدن وحصون ورستاق واسع٠ الحموي : معجم البلدان ٣/١١٦ ٠

٦ - تقابل مدينة سبته متصلة بأعمال شذونة , وقبليها تقع قرطبة ٠ الحموي : معجم البلدان٢/١٣٦ ٠

٧ - البكري : جغرافية الأندلس وأوربا / ٨٤ ٠

غرناطة(١) الى إقليم المرية(٢) بطول ١٥٠ كم ، وعرض ١٥-٣٠كم (٣).

ويطلق عليها أيضاً عدة تسميات منها ، جبل الثلج (٤) وذلك لأ الثلج لا يفارقهُ صيفاً ولا شتاءاً(٥) , وجبل البيرة (٦) وجبل شلير(٧) أي المشمس، لإنعكاس أشعة الشمس على ثلوجه(٨) كما أطلق عليه (جبل شكير)(٩) و(جبل سمكير)(١٠) وهو من أهم جبال هذهِ السلسلة, ذات إرتفاع عالي،وطوله يومان(١١) يقع في شمالهِ وادي اش(١٢) وغرناطة ,

---

١- وتعني الرمانة بلسان أهل الأندلس , وتدعى في تاريخ الأمم السالفة بسنام الأندلس , وتدعى قديماً قسطيلية , وهي أقدم مدن كورة البيرة , كثيرة الأنهار والاشجار. الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/ ٥٦٩ ؛ الحموي : معجم البلدان ٤/ ١٩٥؛ الحميري : الروض المعطار /٤٥ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ١/٩١ .

٢- مدينة عظيمة على ساحل البحر. مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس /٧٧ .

٣- كولان : الأندلس / ٥٤ .

٤- البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا / ٨٤؛ مؤلف مجهول : فرحة الأنفس /٣٩ .

٥- الرشاطي : الأندلس من إقتباس الأنوار / ٣٦؛ المقري, نفح الطيب ١/١٤٨ .

٦- البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا/ ٨٤؛ والبيرة : كوره في الأندلس متصلة بأراضي كوره قبرة , بين القبلة والشرق من قرطبة , أرضها أرض أشجار وأنهار . الحموي : معجم البلدان ١/٢٤٤ .

٧- أبن سعيد : الجغرافيا /٩٣ ؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر /٢٤٢ ؛ المقري : نفح الطيب ١/١٤٨ .

٨- ابن الخطيب : الإحاطة ١/٩٦؛ المقري :نفح الطيب ١/١٤٨ .

٩- القلقشندي : صبح الأعشى ٥ / ٢١٥ .

١٠- ابن الوردي : خريدة العجائب / ٦٨ .

١١- أرسلان : الحلل السندسية ٢/ ١٢٧ .

١٢- ويقال لها مدينة الآشتات , وهي من أعمال كورة البيرة, كثيرة السقيا . الرشاطي : الأندلس من إقتباس الأنوار /١٩٥ .

وفي أسفلهِ برجة(١) ودلاية (٢) من ناحية البحر(٣)٠

ب- جبال البرت :وتسمى أيضاً جبال أطريجوش(٤) وهيكل الزهرة(٥) وهي السلسلة الجبلية التي تبدأ من البحر المتوسط المجاور لطرطوشة (٦) وتنتهي الى المحيط الأطلسي غربي مدينة جليقية (٧) وتعد هذهِ الجبال الحد الفاصل بين الأندلس وبلاد الغال (٨) واشتهرت هذهِ الجبال بحسن ثمارهِ وكثرتها(٩) وفيها أربعة أبواب(١٠) وهي عبارة عن ممرات ضيقة تسمح

١- وهي من أعمال المرية بينها وبين المرية مرحلة ٠ الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/٥٦٣ ٠

٢- من أعمال المرية بينها وبين برجة ثمان مراحل ٠ الرشاطي : الأندلس من إقتباس الأنوار /١٣٩ ٠

٣- الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/ ٥٧٠ ٠

٤- الزهري : الجغرافية /٨٠ ؛ ويسمى أيضاً اطرنجش ٠مؤلف مجهول : تاريخ الأندلس / ٤٠ ٠

٥ وسمي بهذا الإسم ، لأنهُ يوجد في وسطهِ هيكل ، كان يعبدهُ أهل تلك الجبال قبل النصرانية٠ الإدريسي نزهة المشتاق ٢/٧٣٠ ؛ ابن سعيد : الجغرافيا /١٨٠ ٠

٦- مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية , تقع في شرقيها, قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر إبرة ٠ الحموي : معجم البلدان ٤/٣٠ ٠

٧- مؤلف مجهول: تاريخ الأندلس / ٤٦ ٠ وجليقية : مدينة واقعة على ساحل المحيط الأطلسي ، من ناحية شمال الأندلس في أقصاه ، من جهة الغرب ٠الحموي: معجم البلدان ٢/١٥٧ ٠

٨- البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا /٥٨ ؛ أبن سعيد : الجغرافيا /١٨٠ ٠

٩- الزهري : الجغرافية /٨٠ ٠

١٠- الأول في ناحية برشلونة ويسمى برت جاقة ، والثاني يسمى برت أشبرة ، والثالث يسمى برت شيزروا ، والرابع يسمى برت بيونة٠ الإدريسي نزهة المشتاق ٢/٧٣٠ ٠

بالعبور إليه ، يدخلها الفارس بعد الفارس(١) , وقد عبر المسلمون من خلالها أثناء توسعهم خلف جبال البرت (٢) وهذِه الجبال مائلة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي , و يزداد عرضها كلما تقدمنا نحو المحيط الأطلسي (٣)٠

ت- جبل قرطبة(٤) (سيراmورينا): والمعروف بجبل العروس (٥) فكأن قرطبة عروس وهو تاجها (٦) , ويبدأ هذا الجبل من ساحل البحر المتوسط الذي بساحل بلنسية (٧) , وينتهي عند مدينة باجة (٨) وأشكونية (٩) عند المحيط الأطلسي (١٠)٠

ث- جبل الشارات : ويقع وسط الأندلس , ويقسمها قسمين شمالي وجنوبي (١١) , ويمتد

١- الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/٧٣٠؛ ابن سعيد : الجغرافيا /١٨٠ ٠

٢- حتاملة : إيبيريا قبل مجيء العرب /٢٠ ٠

٣- أرسلان : الحلل السندسية ٢/ ١٠٨ ٠

٤- مدينة عظيمة مسورة بالحجارة ، واقعة في وسط الأندلس٠ابن حوقل : صورة الأرض ١/١٠٧

٥- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس / ١٠؛ مؤلف مجهول : تاريخ الأندلس / ٤٥ ٠

٦- الزهري : الجغرافية / ٩٨ ٠

٧- وهي قاعدة بلاد الأندلس , واحدى كورها , وتقع شرقي الأندلس ٠ العذري : نصوص عن الأندلس /١٧؛ الحميري : الروض المعطار/٩٧ ٠

٨- وهي من أقدم مدن الأندلس , بنيت في أيام الأقاصرة , في عهد يوليوش جاشر, وهو الذي أطلق عليها باجة , ومعناها الصلح ٠ الحميري : الروض المعطار / ٧٥ ٠

٩- من كورة تدمير ، كثيرة المياه والأشجار ٠ الحموي : معجم البلدان ١/١٩٩ ؛ الحميري : الروض المعطار/٦٢

١٠- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس /١٠ ؛ ابن غالب : فرحة الأنفس /٢٧ ٠

١١- الإدريسي : نزهة المشتاق ٢ / ٥٣٦؛ مؤلف مجهول : تاريخ الأندلس / ٤٦ ٠

من شرقها الى غربيها (١) من ظهر مدينة سالم (٢) ويمر بمدينة قلمرية (٣) أخر مدينة في البرتغال (٤) , وتقع مدينة طليطلة(٥) جنوب هذا الجبل (٦)٠

ج- جبل كالبي : وكان يسمى مع جبل أتيلا المقابل لهُ بأعمدة هرقل ، وعندما دخل المسلمون الى شبه جزيرة أيبيريا ، أطلقوا عليه جبل طارق(٧) ويقع هذا الجبل جنوب الأندلس ، ويمكن مشاهدتهُ من سبتة , وتقع الجزيرة الخضراء بالقرب منه(٨)فهي تبعد عنهُ ستة أميال ، ويمتاز بأنهُ منقطع عن الجبال مستدير في أسفلهِ من ناحية البحر(٩) ويبرز كالعنق على شكل صخرة مرتفعة وهي صخرة جبل طارق (١٠)٠

ولم تقتصر تضاريس بلاد الأندلس على هذهِ الجبال ، بل كانت هنالك جبال أخرى لاتقل

---

١ - ابن سباهي : أوضح المسالك / ١٠٢ ٠

٢ - وهي قاعدة الثّغر الأوسط , من شرقّي الأندلس٠ الحموي : معجم البلدان ١٧٢/٣ ٠

٣ - مدينة تقع في غربّي الأندلس، في البرتغال حالياً٠ الحموي : معجم البلدان ٣٩١/٤ ٠

٤ - الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/ ٥٥٢؛ الحميري : الروض المعطار /٤٧١ ٠

٥ - مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس ,يتّصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس وتقع غربي ثغر الروم ٠ الحموي : معجم البلدان ٣٩/٤ ٠

٦ - الإدريسي : نزهة المشتاق٢/٥٣٦ ٠

٧- الحجي : التاريخ الأندلسي /٤٩؛ عنان : الأثار الأندلسية الباقية /٢٨٤ ٠

٨ - ابن سعيد: الجغرافيا / ١٣٩ ؛ ابن سباهي: أوضح المسالك / ١٠١ ٠

٩ - الإدريسي : نزهة المشتاق ٥٤٠/٢ ٠

١٠ - حتامله : أيبيريا قبل مجيء العرب /٢٤ ٠

أهمية عن الجبال المذكورة آنفاً ومنها , الجبل الذي يقع عند مدينة شقورة(١) وسمي بجبل شقورة نسبة إليها ، وهو جبل عظيم كثير الخصب (٢) , والجبل الذي يعلو مدينة مالقة(٣), ويدعى جبل فارة(٤) , وجبل ألإثمد الذي يقع شمال جبل شلير (٥) في مدينة بسطة (٦) , وجبل قاعون (٧) وهو جبل عظيم شكله مستدير , يقع بالقرب من مدينة دانية (٨)٠

---

١ - وهي مدينة بالأندلس تقع شمالي مرسية٠الحموي : معجم البلدان ٣/٣٥٥ ٠

٢ - الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/٥٦٠ ؛ الزهري : الجغرافية /٩٨ ٠

٣ - مدينة بالأندلس عامرة ، منأعمال ريـّة تقع على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية٠ابن غالب : فرحة الأنفس / ٢٥؛ الحموي : معجم البلدان ٥/٤٣ ٠

٤ - الإدريسي : نزهة المشتاق ٢ /٥٧٠ ٠

٥ - الزهري : الجغرافية /٩٦ ٠

٦ - مدينة بالأندلس , من أعمال جيان , تقع بالقرب من وادي أش , حسنة البناء ٠ الحموي : معجم البلدان ١/٤٢٢؛ الحميري : الروض المعطار /١١٣ ٠

٧ - الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/٥٥٧ ٠

٨ - تقع شرق الأندلس، من أعمال بلنسية على ضفّة البحر , مرساها عجيب يسمى السمان , لها رساتيق واسعة , كثيرة الأشجار ٠ الحموي : معجم البلدان ٢/ ٤٣٤ ؛ البغدادي : مراصد الاطلاع ٢/٥١٠ ٠

٢ - الهضاب :

تشكل نواة شبه الجزيرة الأيبيرية هضبة كبرى يطلق عليها الميزيتا الوسطى ، كونها واقعة في وسطها(١) اذ تغطي خُمس مساحتها ويبلغ إرتفاعها (١٩٣٥) قدماً(٢) , وتقع بين جبال كانتبريان من الشمال ، وجبال سيرانيفادا من الجنوب (٣) , وتمتد هذهِ الهضبة شرقاً حتى تشرف على السهول الساحلية في الشرق والجنوب , وتنحدر تدريجياً من جهة الغرب ، اذ تشكل حافتها الحدود السياسية بين أسبانيا والبرتغال (٤) , وتقسم الى قسمين :

أ- الميزيتا الشمالية : تبلغ مساحتها (١٢٥٠٠٠) كم٢(٥) ويتراوح إرتفاعها مابين (٧٠٠-١٠٠٠م) ، ومن أبرز ملامحها التضاريسية ، الخوانق النهرية لنهر دويره (٦)٠

ب- الميزيتا الجنوبية : وتبلغ مساحتها(١١٥٠٠٠كم٢) , ومتوسط إرتفاعها(٦٠٠م) (٧) ومن أبرز مظاهرها التضاريسية ، السهول المتموجة في الجهة الجنوبية الشرقية منها ، ومناطق متقطعة الى عدد من الحواف والوديان غير المنتظمة ، كما هو الحال في جبال طليطلة(٨)٠

---

١ - حتامله : إيبيريا قبل مجيء العرب / ٢٨ ٠

٢ - كولان : الأندلس/ ٦٢ ٠

٣ - حتامله : إيبيريا قبل مجيء العرب / ٢٨ ٠

٤ - الخشاب : النمط الجغرافي للعالم القديم/ ٢٢٩ ٠

٥ - حتامله: إيبيريا قبل مجيء العرب /٢٩ ٠

٦ - عسل : أوروبا دراسة في جغرافية القارة / ١٩٦ ٠

٧ - حتاملة : إيبيريا قبل مجيء العرب / ٢٩ ٠

٨ - عسل : أوروبا دراسة في جغرافية القارة / ١٩٦ ٠

٣- السهول :

تحتوي شبه الجزيرة الأيبيرية على مناطق سهلية , واسعة , وصفها ابن خرداذبة(١) بقولهِ : " مسير أكثر من شهر في شهر , وهي خصبة , كثيرة الخير كثيرة الفواكهة " , كما وصفت بأنها " بلدان عريضة كثيرة المدن , خصبة واسعة "(٢) , وهي على نوعين :

١- السهول الساحلية : وتشمل

أ- السهول الساحلية الشرقية : وتبلغ غاية إتساعها في حوض نهر الإبرو الأوسط ، أما فيما عدا ذلك فهي ضيقة , بسبب إقتراب الجبال من السواحل ، حتى تكاد أن تكون متصلة(٣) ومن أشهرها سهل طركونة (٤) الواقع شمال طرطوشة ، وسهول لشبونة (٥)٠

ب- السهول الساحلية الجنوبية : وتطل هذه السهول على ساحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي من الجهة الجنوبية (٦) مثل سهول المرية الملاصقة لجبال سيرانيفادا(٧)٠

ت- السهول الساحلية الغربية : وتشرف هذه السهول على ساحل المحيط الأطلسي , أي

١- المسالك والممالك /٩٠ ٠

٢-الإصطخري : المسالك والممالك / ٤١ ٠

٣- الخشاب : النمط الجغرافي للعالم القديم/ ٢٣٩ ٠

٤- القزويني : آثار البلاد /٥٤٥ ؛ وهي مدينة اولية على شاطىء البحر , تتصل بحوز طرطوشة توسطت بين طرطوشة وبرشلونة ٠ ابن غالب : فرحة الانفس / ١٧؛ الحموي : معجم البلدان ٣٢/٤ ٠

٥- القزويني : آثار البلاد /٥٤٤ ؛ وهي مدينة قديمة قريبة من البحر غربي قرطبة ٠ الحموي : معجم البلدان ١٦٦/٥ ٠

٦- البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا / ٨٤ ٠

٧- الإدريسي : نزهة المشتاق ٥٦٢/٢ ٠

الأراضي الواقعة على نـهر تاجه (١) ومن أشهرها سهول قلمرية (٢)٠

٢ - السهول الداخلية ويشمل الأراضي الواقعة على نـهر الوادي الكبير , أي الواقعة بين جبال سيرانيفادا , وسهول سيرامورينا (٣) وهو سهل زراعي تحيط به الغابات ، ومن مدنهِ قرطبة(٤) وغرناطة (٥)٠

---

١ - حتامله : إيبيريا قبل مجيء العرب /٥٢ ٠

٢ -الحميري : الروض المعطار/ ٤٧١ ٠

٣ - الخشاب : النمط الجغرافي للعالم القديم / ٢٣٨ ٠

٤ - مدينة تقع غرب النهر الكبير ، شرقي أشبيلية ، وجنوب طليطلة ، وهي حصينة مسورة بسور من الحجر ، ولها سبعة أبواب٠القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد / ٥٥٢ ٠

٥ - حتامله : إيبيريا قبل مجيء العرب /٥٢ ٠

رابعاً : الأنهار

على الرغم من أن الجزء الأكبر من شبه الجزيرة الإيبيرية ينتمي الى منطقة شبه جافة ، كونها قليلة الأمطار (١) إلا أن بلاد الأندلس إمتازت بكثرة أنهارها ، ويتضح ذلك من خلال قول الزهري(٢) في وصفها " يشقها أربعون نهراً ، لايوجد هذا في معمور الأرض إلا فيها ٠٠ولايمشي الإنسان فيها فرسخين دون ماء٠٠" ٠

ويمكن تقسيم أنهار بلاد الأندلس الى قسمين : الأول ، الأنهار التي تصب في المحيط الأطلسي , والثاني ، الأنهار التي تصب في البحر المتوسط , وهذا التقسيم يتماشى مع ما ذكرهُ المؤرخون (٣)٠

القسم الأول : الأنهار التي تصب في المحيط الأطلسي:

أ- نهر الوادي الكبير : وقد أطلق على هذا النهر عدة تسميات ، ففي حكم الروم كان يطلق عليه نهر (توفير) أو (توبير)(٤) ، وسمي كذلك بنهر قرطبة(٥) , ونهر أشبيلية (٦) ، ويسميه أهل الأندلس النهر الأعظم(٧) , والوادي الكبير ، تسمية عربية ، أطلقت عليه في

١- حتامله : إيبيريا قبل مجيء العرب / ٧٢ ٠

٢- الجغرافية / ٨٠ ٠

٣- ينظر : المقري : نفح الطيب ١/ ١٣ ٠

٤- الزهري : الجغرافية / ٩٨ ٠

٥- اليعقوبي : البلدان / ١٩٤؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/٥٦١؛ الزهري: الجغرافية /٤٦؛ مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس/ ١١؛ ابن الوردي : خريدة العجائب /٦١ ٠

٦- البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا / ١٠٩؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر / ٢٤٦؛ واشبيلية : مدينة عظيمة في الاندلس , بها قاعدة ملك الروم , قريبة من البحر ٠ الحموي : معجم البلدان ١/١٩٥ ٠

٧- ابن سباهي: أوضح المسالك /٧٣ ٠

حكم بني أمية(١) إذ يقول الزهري(٢) : " ليس في بلاد الأندلس نهر يسمى باسم عربي ، إلا هذا ٠٠" ٠

وينبع هذا النهر من جبل شقورة (٣) من مكان يدعى (فتح الديلم)(٤) على بعد ستة أيام من قرطبة(٥) , وينماز بصغر حجمِه عند منبعِه ، ويزداد حجمُه تدريجياً بفعل الأنهار والأودية التي ترفد إليه (٦) اذ يخرج من جبل (شلير) خمسة وعشرين نهراً ، سبعةً منها تصب في الوادي الكبير(٧) وبإستمرار جريانِه يغور تحت الجبال ، ويخرج أعظم مما كان عليه ، فيتصل جريانُه غرباً بمدينة أبدة(٨) ثم الى أسفل مدينة بياسة(٩) ثم الى قرطبة(١٠)٠

ولهذا النهر أهمية كبيرة في حياة سكان الأندلس ، فهو يروي أكثر أراضي السهل الجنوبي(١١) وأقيمت على ضفافِه الكثير من المشاريع الزراعية(١٢)٠

---

١ - الزهري : الجغرافية / ٩٨ ٠

٢ - الجغرافية / ٨٦ ٠

٣ - الإدريسي : نزهة المشتاق ٥٦١/٢ ٠

٤ - وهو الفج المشرف على كورة قيجاطة الأندلسية ٠ الزهري : الجغرافية/٩٧ ٠

٥ - المسعودي : التنبيه والإشراف /٦٠ ٠

٦ - الزهري : الجغرافية/٩٨ ٠

٧ - الزهري : الجغرافية/٩٤ ٠

٨ -مدينة بالأندلس من كورة جيّان، تعرف بأبّدة العرب٠الحموي : معجم البلدان ٦٤/١ ٠

٩ -مدينة كبيرة بالأندلس ، في كورة جيّان، بينها وبين أبّدة فرسخان٠الحموي : معجم البلدان ٥١٨/١ ٠

١٠ - الإدريسي : نزهة المشتاق ٥٦١/٢ ٠

١١ - هيكل : الأدب الأندلسي / ١٨ ٠

١٢ - الإدريسي : نزهة المشتاق ٥٦٩/٢ ٠

ب- نهر تاجه : ويسمى كذلك نهر(باجة)(١) ونهر طليطلة (٢) كونُه يمر بهذهِ المدينة(٣) وتقع عليه مدن آخرى ، مثل طلبيرة (٤) ولشبونة(٥)٠

وينبع هذا النهر من ناحية الجبال المتّصلة بالقلعة (٦) فينزل ماراً باتجاه الغرب الى المدن المذكورة (٧)٠

ت- نهر يانه: وهو نهر كبير ، يسمى (النهر الغؤور) ، لأنه يكون في موضع يحمل السفن ثم يغور تحت الأرض ، فلا يرى منه شيء (٨) ويسمى أيضاً نهر ماردة(٩) ونهر آنه (١٠)٠

١- ابن الوردي : خريدة العجائب / ٦٤ ٠

٢- الإدريسي : نزهة المشتاق٢/ ٥٤٧ ٠

٣- البكري : جغرافية الأندلس وأوربا/٨٧ ٠

٤- البكري : جغرافية الأندلس وأوربا/٨٩ ٠وطلبيرة مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة , كبيرة قديمة البناء ، وكانت حاجزا بين المسلمين والأفرنج ٠ الحموي : معجم البلدان ٤/٣٧ ٠

٥- الإدريسي : نزهة المشتاق٢/ ٥٤٧ ؛ أرسلان : الحلل السندسية ١/٩٢ ٠

٦- المقصود بها: قلعة كبريال ، وهي إلى الشمال الغربي من الفنت التي يسميها الأسبان (البونت)٠ ينظر: أرسلان: الحلل السندسية ١/١٠٤

٧- أرسلان: الحلل السندسية ١/١٠٤

٨- الإدريسي : نزهة المشتاق٢/٥٤٥

٩- الإدريسي : نزهة المشتاق٢/٥٤٢؛ - وهي إحدى القواعد التي بناها ملوك العجم ، وهي كورة واسعة لها حصون وقرى، بينها وبين قرطبة ستة أيام ٠الحميري : الروض المعطار / ٥١٨

١٠- شيخ الربوة : نخبة الدهر /٢٤٦ ؛ القزويني : آثار البلاد /٥٠٥

وينبع من غربي جبل شلير(١) من موضع يعرف (بفج العروس)(٢) ويصب في المحيط الأطلسي بالقرب من جزيرة شلطيش(٣) , وتقع مدينة بطليوس(٤) على هذا النهر(٥)٠

ث- نهر دويره : ويسمى أيضاً نهر الجوفى ، ونهر دورو ، أي الغزير(٦) , ينبع من جبال جليقية ويمر بمدينة شنت برية(٧) وجزيرة شقر(٨) ويصب في المحيط الأطلسي ، فيما بين قلمرية والبرتغال(٩)٠

القسم الثاني : الأنهار التي تصب في البحر المتوسط :

أ- نهر الإبرو : يقع في شمال شرق شبه الجزيرة الإيبيرية ، عند مدينة طرطوشة ، ويصب في البحر المتوسط (١٠) ولهُ منبعان ، الأول يقال لهُ (هيجار) ، في جبل كورد ، والثاني

١- الزهري : الجغرافية / ٩٧

٢- القزويني : آثار البلاد /٥٠٥

٣- بلدة بالأندلس تقع غربي إشبيلية على المحيط الأطلسي٠الحموي : معجم البلدان ٣/٣٥٩

٤- مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة ، تقع غربي قرطبة٠الحموي : معجم البلدان١/٤٤٧

٥- الإدريسي : نزهة المشتاق٢/٥٤٥؛ الزهري : الجغرافية/ ٨٩

٦- أرسلان : الحلل السندسية ١/٣١٨

٧- مدينة بالأندلس شرقي قرطبة، متصلة بمدينة سالم ، كثيرة الخيرات٠الحموي : معجم البلدان ٣/٣٦٦

٨- مؤلف مجهول : تاريخ الأندلس /٤٨

٩- شيخ الربوة : نخبة الدهر / ٢٤٦ ؛ مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس / ١٢

١٠- البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا /٥٧ ؛ مؤلف مجهول : تاريخ الأندلس / ٤٨ ؛ ذكر بلاد الاندلس/١١

يقال لهُ (رينوزه) في الجبال المتفرعة من البرت(١) , وكانت مملكة أراغون(٢) وبلاد نافار ، يرتويان من هذا النهر(٣) وتقع عليه مدينة بريشتر(٤)٠

ب- النهر الأبيض : ويسمى أيضاً نهر مرسية(٥) ويتفق مع نهر أشبيلية ، كون منبعهما واحد من جبل شقورة ، لكنهما يختلفان في المصب ، حيث يمر نهر إشبيلية مغرباً ، ويصب في المحيط الأطلسي ، في حين يمر نهر مرسية مشرقاً ، ويصب في البحر المتوسط (٦)٠

ت- نهر العسل : وهو الذي يخترق الجزيرة الخضراء , وسمي بهذا الإسم كون مياههُ حلوة وعذبة ، ومنه شرب أهل الجزيرة ، ولهم على هذا النهر بساتين بكلتا ضفتيهِ (٧)٠

ث: نهر شقر : وهو النهر الذي يشق جزيرة شقر(٨) وتقع عليه مدينة بلنسية(٩) وهو

١- أرسلان : الحلل السندسية ٢/ ٦٨ ٠

٢- وهي أخر معقل من معاقل الأندلس , مما يلي الإفرنج بألف ميل٠ابن خرداذبه : المسالك والممالك/٨٩ ٠

٣- أرسلان : الحلل السندسية ٢/١١٤ ٠

٤- البكري : جغرافية الاندلس واوروبا /٩٢ و بريشتر من أعمال بريطانية ، تقع شرقي الأندلس٠الحموي : معجم البلدان ١/ ٣٧٠ ٠

٥- مدينة بالأندلس من أعمال تدمير٠ الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/٥٥٧؛ ٥٥٩ ؛ الزهري : الجغرافية / ٤٦

٦- مؤلف مجهول : تاريخ الاندلس / ٤٧؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٥/ ٢٣٥ ٠

٧- الادريسي : نزهة المشتاق ٢/٥٣٩ ٠

٨- جزيرة في شرقي الأندلس٠الحموي : معجم البلدان ٢/ ١٣٧ ٠

٩- الزهري : الجغرافية /١٠٢ ٠

العامل الأساسي لشهرة هذهِ المدينة بالمزارع والبساتين(١)٠

والجدير بالذكر أن شبه الجزيرة الإيبيرية إحتوت على أنهار أخرى ، أثرت بشكل كبير في طبيعتها الجغرافية ، ومنها (نهر لاردة)(٢) الذي يمتاز بكونهِ يحتوي على معادن الذهب(٣) , و(نهر برباط) (٤) و(نهر بكة)(٥) أو(لكة) ، الواقع شرقي أشبيلية(٦) , و(نهر بنبلونة) وينبع من جبال البة(٧) ويصب في المحيط الأطلسي(٨) , و(نهر بلون) الذي يبعد عن مدينة جيان(٩) مسافة ميل (١٠) , و(نهر جلق) والذي تقع عليه مدينة سرقسطة(١١)٠

١- الإدريسي : نزهة المشتاق ٥٥٦/٢ ٠

٢- مدينة مشهورة بالأندلس ، تقع شرقي قرطبة ، وتتصل أعمالها بأعمال طّركونة٠الحموي : معجم البلدان ٧/٥ ٠

٣- البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا / ١٢٩ ؛ الزهري : الجغرافية/٨٢ ٠

٤- الإدريسي : نزهة المشتاق ٥٤٠/٢؛ الحموي : معجم البلدان ٣٦٨/١؛ أرسلان : الحلل السندسية ٨٢/١

٥- الإدريسي : نزهة المشتاق ٥٤٠/٢ ٠

٦-الزهري : الجغرافية/٨٩ ٠

٧- وهي مدينة تجاور أرض الروم ٠ الادريسي : نزهة المشتاق ٢م/٥٨٤

٨- ابن غالب : فرحة الأنفس / ٣٩

٩- كورة واسعة بالأندلس , تتصل بالبيرة ، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً٠ الحموي : معجم البلدان١٩٥/٢

١٠- الإدريسي : نزهة المشتاق ٥٦٨/٢

١١- أرسلان : الحلل السندسية ١١٦/١ ٠وسرقسطة بلدة مشهورة بالأندلس تتصل بأعمال تطيلة٠ الحموي :معجم البلدان ٢١٢/٣

ولم تقتصر بلاد الأندلس على مياه الأنهار ، بل كان هنالك عدد من العيون والآبار, والتي تعد مصدراً مهماً في تغذية مياه الأنهار ، وقد إستفاد سكان الأندلس منها في سقي مزارعهم , ومنها عيون غرناطة (١) ، وعيون إستجة(٢) وعيون بلشر (٣) وعيون أرشذونة (٤) وعيون مرسية (٥) وإمتازت مدينة مالقة بكثرة آبارها(٦) كما عثر على مجموعة من الآبار تبعد عن مدينة طليطلة خمسة وعشرين ميلاً (٧)٠

---

١ - القزويني : آثار البلاد /٥٤٧ ٠

٢ - مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس /٢٠ ٠ وإستجة كورة بالأندلس متصلة بأعمال رية ، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ ٠الحموي : معجم البلدان ١/ ١٧٤ ٠

٣ - وهو أحد أقاليم سرقسطة ، وفيه حصن المنستير ، ويعرف بسد بني خطاب ، وتمتاز مياه العيون بهِ بغزارتها ٠ العذري : نصوص عن الأندلس /٢٤ ٠

٤ -الحميري : الروض المعطار /٢٥ ٠ وأرشذونة مدينة بالأندلس من أعمال رية ، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً ٠ الحموي : معجم البلدان / ١٥٢ ٠

٥ - الزهري : الجغرافية /٩٨ ٠

٦ - الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/٥٦٥ ٠

٧ - الحميري : الروض المعطار /٣٩٥ ٠

خامساً : المنـاخ

ذكرنا فيما سبق ، أن شبه الجزيرة الإيبيرية مختلفة الأقاليم والتضاريس ، وقد أثر ذلك بصورة مباشرة ، أو غير مباشرة ، على طبيعتها المناخية ، فقد تختلف مدنها مناخياً ،تبعاً لقرب الموقع وبعدِه عن المرتفعات والمنخفضات(١) , وهذا ما عبر عنهُ الرازي بقولِه " الأندلس أندلسان في إختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها ، أندلس غربي ، وأندلس شرقي، فالغربي منها ما جرت أوديتهُ إلى البحر المحيط الغربي ، ويمطر بالرياح الغربية٠٠ والحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى، وتجري أوديتهُ إلى الشرق، وأمطارهُ بالريح الشرقية٠٠"(٢)٠

وعلى هذا يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من المناخ في شبه الجزيرة الإيبيرية ، الأول : المناخ الدافئ ، الذي يسود في القسم الجنوبي ، كونهُ بعيد عن الهضبه الداخلية , ومتأثر بالرياح القادمة من المحيط الأطلسي (٣) , والثاني : المناخ الرطب ، ويسود في القسم الشمالي الغربي ، بسبب موقعهُ البحري(٤) ، والثالث : المناخ الشبه الصحراوي ، الذي يسود في القسم الجنوبي الشرقي(٥)٠

والجدير بالذكر أن تساقط الأمطار في الأندلس تمتاز بالتذبذب ، فهي لاتتوزع بشكل متساوي على جميع الأراضي ، وتنقسم من حيث تساقط الأمطار الى قسمين ، المطيرة والجافة(٦) , فالشمال الغربي يمتاز بغزارة الأمطار ، موزعة على مدار السنة ، أما الأجزاء

---

١ - كحيلة : الخصوصية الاندلسية /٣٥ ؛ هيكل : الأدب الأندلسي/٢٠ ٠

٢ - المقري(نقلاً عن الرازي) : نفح الطيب ١/ ١٣١ ٠

٣ - كولان : الأندلس /٦٤؛ حتاملة : إيبيريا قبل مجيء العرب / ٦٢ ٠

٤ - السامرائي : الثغر الأعلى / ٤٧ ٠

٥ - كولان : الأندلس /٦٤؛ حتاملة : إيبيريا قبل مجيء العرب / ٦٢ ٠

٦ - كولان : الأندلس /٦٤ ٠

الوسطى والجنوبية ، فهي شبه جافة(١) بسبب تفاوت سقوط الأمطار فيها(٢)٠

أما بالنسبة لدرجات الحرارة , فإن شمال وغرب شبه الجزيرة الإيبيرية والسواحل المطلة على المحيط الأطلسي ، تتمتع بطقس معتدل نسبياً ، نتيجة الرطوبة وغلبة السحب(٣) , فجميع هذهِ الجهات تمتد بين خطي عرض (٣٥ و ٤٥)شمالاً ، اذ تبلغ أقصى إرتفاع لها ، في شهر آب ، وأدنى إنخفاض لها في شهر كانون الثاني (٤)٠

---

١ - كحيلة : الخصوصية الاندلسية /٣٦ ٠

٢ - كولان : الأندلس /٦٤ ٠

٣ - كولان : الأندلس /٦٥ ٠

٤ - حتاملة : إيبيريا قبل مجيء العرب /٦٣ ٠

سادساً : عناصر السكان

عاش سكان شبه الجزيرة الإيبيرية قبيل الفتح الإسلامي ، عيشة القبائل المتفرقة ، وباعدت العصبية بين هذهِ المجموعات ، والسبب في ذلك إنعزال أجزائها بعضها عن بعض ، كما إحتلت شعوب آخرى هذهِ المنطقة(١) ومنها :

١- الروم : إن الوجود الروماني في شبه الجزيرة الإيبيرية , بدأ بالحملة التي أرسلتها روما إلى هذهِ البلاد , إثناء حرب روما مع قرطاج سنة ٢٠٧ ق٠م ، حيث بسطت روما سيطرتها على شبه الجزيرة الإيبيرية , وأصبحت مقاطعة رومانية , ولاسيما بعد إحتلال قادس سنة ٢٠٦ ق٠م , وأخراج القرطاجيين من شبه الجزيرة الإيبيرية ، وإتخذوا من مدينة ماردة عاصمة لهم ، فضموا المناطق المحيطة بشبه الجزيرة الى ممتلكاتهم ومنها غالة , كما بسطوا نفوذهم على مناطق شمال إفريقية (٢)٠

لكن الروم لم يحافظوا على الأماكن التي سيطروا عليها في جنوب وشرق شبه جزيرة أيبيريا , بسبب الحملات المتكررة التي شنها القوط عليهم ، والتي تمكنوا من خلالها الإنتصار على الروم ونفي وإخضاع بعضهم لحكم القوط (٣) , وإستغل الأخير هذا الخضوع ، وأصبح العنصر الروماني يمتهن حرف مختلفة ، كالزراعة والرعي والصيد والتجارة , وإنخرطت أعداد كبيرة منهم في سلك الجيش القوطي(٤)٠

١- حسونة : أثر العوامل الجغرافية / ٧٨ ٠

٢- حتامله: إيبيريا قبل مجيء العرب /١٦٩ ٠

٣- طه : الفتح والإستقرار /١٨ ٠

٤- دوزي : المسلمون في الأندلس /٣٧-٤٠ ٠

٢ - القـوط : وهم شعوب نزلت بلاد الأندلس ، وإتخذت من مدينة طليطلة عاصمة لها(١) بعدما قاموا بطرد الوندال ، وذلك في أوآخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي (٢)٠

وكانت شبه الجزيرة الإيبيرية حين غزاها القوط الغربيون(٣) على مذهب الرومان ، والسبب في ذلك يعود الى كون طبقة الأعيان وأصحاب الأملاك الكبيرة كانوا من أصول رومانية (٤)٠

وقد عانى الشعب الأسباني أثناء حكم القوط ، من الظلم والإستبداد (٥) نتيجة السياسة التعسفية التي إتبعها حكام القوط تجاههم ، فعمت الفوضى والصراعات الطبقية في شبه الجزيرة (٦)٠

---

١ - الحميري : الروض المعطار / ٥١٨؛ المقري : نفح الطيب ١/١٤٧ ٠

٢ - الحجي : التاريخ الاندلسي /٢٩ ٠

٣ - من المعروف أن القوط كانوا منتشرين في حدود منتصف القرن الثاني الميلادي , شمال البحر الأسود , وينقسمون الى قسمين , القوط الشرقيون , الذين انتشروا في سهول روسيا الجنوبية ، وكانت أعدادهم قليلة ، أما القوط الغربيون ، فقد اتجهوا نحو داشيا والبلقان وأحتكوا بالعالم الروماني , وأعتنقوا المسيحية , ثم توجهوا تحت ضغط قبائل الهون في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي غرباً , وأصطدموا بالإمبراطورية الرومانية الغربية , وأستطاعوا بقيادة زعيمهم (واليا) من فرض سلطانهم على مناطق واسعة من شبه الجزيرة الايبيرية ، بعدما قاموا بطرد الوندال الذين نزحوا نحو الجنوب , وأستمروا في حكم البلاد حتى الفتح الإسلامي ٠مؤنس : فجر الأندلس/ ١٦-١٧؛ عاشور : تاريخ أوربا في العصور الوسطى/ ٨٣-٨٨ ٠

٤ - مؤنس: فجر الأندلس / ١٥ ٠

٥ - زبيب : الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس / ٢٧٩ ٠

٦ - مؤنس: فجر الأندلس /٣٤

٣- اليهود: وهم من العناصر السكانية المهمة في شبه الجزيرة الإيبيرية ، ويعود تاريخ استيطانهم في هذهِ المنطقة إلى زمن بعيد , فقد انتشروا في مناطق عديدة من البلاد ، لكنهم تركزوا بالدرجة الأولى في المراكز الحضرية المتقدمة ، مثل العاصمة طليطلة، وفي مناطق الجنوب، وعلى طول ساحل البحر المتوسط في شرق أسبانيا، ولم تكن حياتهم المعيشية التي قضوها في شبه الجزيرة متساوية ، بل كانت تختلف من فردٍ الى آخر ، فمنهم من كان يعمل بالتجارة داخل البلاد وخارجها ، في حين كان الآخرون فقراء لا يمتلكون أي شيء (١) نتيجة للاضطهاد القوطي بحقهم ، اذ أصدر القوط عدة قرارات تعسفية تجاه اليهود ، ومنها إجبارهم على الدخول في الديانة النصرانية وترك الديانة اليهودية ، ويعاقب بالجلد والنفي ومصادرة ممتلكاتهُ ، كل من لم يلتزم بهذا القرار ، كما صدر قرار آخر ، إعتبر فيه أن اليهود رقيقاً ، وتم توزيعهم على المسيحين(٢) ناهيك عن الضرائب الكبيرة المفرضة عليهم (٣).

ونتيجةً لذلك إتصفت العلاقات القوطية اليهودية ، بأنها علاقات متوترة ، فقد حاول اليهود التربص والكيد للتخلص من الحكم القوطي ، كما أن سوء هذهِ العلاقات كان سبب في وقوف اليهود الى جانب المسلمين ومدّ يد المساعدة لهم أثناء الفتح الإسلامي للمنطقة(٤).

يتضح مما تقدم أن المجتمع الأسباني , كان مزيجاً من عناصر مختلفة ، لكل منها ديانة ومذهب خاص بهِ ، والسبب في ذلك كما ذكرنا في بداية المبحث يعود للطبيعة الجغرافية لشبه الجزيرة الإيبيرية ، التي يسرت لنشوء هذهِ العناصر السكانية المختلفة ، ومن التساؤلات المثيرة ، إذا كانت شبه الجزيرة تتصف بهذهِ الصفة الجغرافية ، وأنها ذات حواجز طبيعية

١- ابن الخطيب :الإحاطة ١/ ١٠٧ ؛ السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس /١٨ .

٢- مؤنس : فجر الأندلس / ٥٤٣ ؛ دوزي : المسلمون في الأندلس /٣٩ .

٣- الفقي : تاريخ المغرب والأندلس /٣١ .

٤- مؤنس : فجر الأندلس / ٥٤٣-٥٤٤ ؛ للمزيد عن علاقة القوط باليهود ينظر : الخالدي : اليهود في الدولة العربية الاسلامية / الفصل الأول ، المبحث الثالث .

يصعب إقتحامها ، فكيف تمكن المسلمون من دخولها في فترة وجيزة ؟ ولماذا لم يستغل أهل إيبيريا هذِه الطبيعة للوقوف والتصدي للمسلمين ؟

وقد نعزو الإجابة عن هذِه التساؤلات الى عدة أمور ، منها : أن القوط أثناء حكمهم لشبة الجزيرة الإيبيرية ، لم يتصلوا بالسكان الأصليين ، ولم يشكلوا قوة موحدة تستطيع التصدي للأخطار الخارجية ، بل عزلوا أنفسهم ، وإنشغلوا بإمتلاك الأراضي الواسعة ، وكان الأحرى بهم التدرب على فنون القتال ، كما كان المجتمع الأندلسي عبارة عن طبقات، ومنها رجال الدين، والأحرار ، والعبيد ، وهذِه الطبقات كانت متفككة غير متحدة فيما بينها ، لذلك لم يستغل سكان شبه الجزيرة ، العوامل الجغرافية لصالحهم والتصدي للعرب المسلمين(١)٠

١ - حسونة : أثر العوامل الجغرافية / ٨٢ ٠

تُطلق تسمية التضاريس على مختلف الأشكال الطبوغرافية لسطح الأرض ، من جبال وسهول وصحاري وأودية وهضاب ونبات طبيعي ، وسطوح ذات مستويات إيجابية أو سلبية، واستعمل هذا المصطلح كمصطلح عام في الجغرافيا الطبيعية ، للإشارة إلى موقع الأرض، وعادة ما يعبر عنه من حيث الإرتفاع والإنحدار وإتجاه الخصائص التضاريسية(١)٠

ويعد فهم التضاريس أمراً بالغ الأهمية عسكرياً ، لأنها تحدد قدرة الجيش في الإستيلاء على الأرض والسيطرة عليها ونقل القوات والمواد إلى المناطق والمرور عبرها ، ففهم التضاريس هو أمر أساسي للإستراتيجية الدفاعية والهجومية على حد سواء ، وأكد الهرثمي(٢) على أهمية الإستفادة من العوامل الطبيعية في المعارك ، بقولهِ " لاتنزلن من عدوك منزلاً أبداً حتى تعرفُه ٠٠٠وتحر أن تسند ظهور أصحابك الى الجبال والتلول " ٠

وفيما يلي أهم المظاهر التضاريسية وأثرها في سير المعارك والحروب في بلاد المغرب والأندلس٠

المبحث الأول: الجبال

هي المناطق التي تتميز بالإرتفاع الشاهق عن مستوى سطح الأرض المحيطة بها كالسهول والهضاب والتلال ، وتكون أما على شكل سلاسل تمتد إمتداداً طولياً أو في إتجاهات مختلفة أو متوازية(٣)٠

وتسعى الجيوش للسيطرة على القمم الجبلية المرتفعة التي توفر قوة تكتيكية(٤) كبيرة

---

١ - الشامي: إستخدام الأرض دراسة جغرافية / ٧٣ ٠

٢ - مختصر سياسة الحروب / ٣١ ٠

٣ - إسماعيل: الجغرافيا العامة / ٦٥ ؛ أبو حجر: المعجم الجغرافي/ ٢١٨ ٠

٤ - القوة التكتيكية : هي فن وضع الخطط العسكرية ، وأسلوب ووسيلة في التنظيم حسب خطة مرسومة تؤدي الى نجاح المهمة، يقال إستخدم الجيش تكتيكاً ناجحاً لدحر العدو٠تزو: فن الحرب/٣ ٠

للمدافع ، وسيطرة ميدانية على مسرح العمليات ، لما تمنحه من مواقع مراقبة جيدة، الأمر الذي يؤدي إلى رفع معنويات المقاتلين ، فقد يشعر المدافع بالقوة والسيطرة والتفوق ، في حين ينتاب المهاجم للمناطق الجبلية شعوراً بالضعف والإنكشاف لوقوعهِ أسفل المرتفعات(١)٠

والتراث العربي الإسلامي حافلاً بالكثير من جوانب جغرافية عسكرية تشير إلى موروث عسكري عريق يعتد به ويشهد له ، فمن وصايا الإمام علي عليه السلام للجند " فليكن معسكركم في قبيل الأشراف(٢) أو سفاح الجبال٠٠ واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال(٣)٠٠ لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو آمن٠٠"(٤)٠

كما أورد مؤرخين مشهورون كابن عبد ربه(٥)(ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) أحداثاً وأقوالاً يستدلُ بها على بعض من هذا الموروث ، فقال " ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الحروب ومدار أمرها، وقود الجيوش وتدبيرها، وما على المدبّر لها من أعمال الخدعة، ٠٠٠ واجتناب المضايق" ٠

ويبدو أن النص أكد على أهمية المضايق ، والثغرات في حاجز أو سلسلة جبلية ، الممر

١- تزو: فن الحرب/ ٤٩ ٠

٢- جمع شرف وهو العلو والعالي يقال أشرف الشيء ، أي علا وارتفع ، وجاءت هنا بمعنى أمام المرتفعات٠ابن منظور : لسان العرب ٩/ ١٧١(مادة شرف)٠

٣- أي أطرافها العالية٠الطريحي : مجمع البحرين ٢/ ٦٤٩ ٠

٤- الشريف الرضي : نهج البلاغة ١٢/٣ ٠

٥- العقد الفريد١/ ٨٥ ٠

منها كعنق زجاجة ، يملك المسيطر عليها ميزة بالغة على خصمهِ، إذ يمتلك القدرة على منعهِ أو إعاقتهِ من الوصول إلى غايتهِ(١)٠

والجبهة المغربية كانت من أعنف جبهات القتال وأصعبها في حركة الفتوحات الإسلامية ، فقد استغرقت عمليات الفتح فيها حوالي سبعين سنة متوالية (٢١هـ ـ٩٠هـ/٦٤١م ـ ٧٠٨م) وهذه المدة الزمنية تعد طويلة إذا ما قورنت بالمدة القصيرة التي تم فيها فتح مناطق أخرى، ومن أهم الأسباب في ذلك هي الطبيعة الجبلية التي إمتازت بها هذهِ البلاد، وكان لهذهِ الطبيعة أثر عميق في حياة السكان ، حيث طبعتهم بطابع الخشونة والشجاعة ، وأكسبتهم حدة المقاومة ، والصبر على القتال والمواجهة (٢)٠

فعندما فتح المسلمون مدينة برقة بقيادة عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/٦٤١م ، توجه بعدها لفتح مدينة طرابلس سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م (٣) , وأثناء حصارهِ لها أرسل في سنة ٢٣هـ/٦٤٣م ، قوة عسكرية للسيطرة على جبل نفوسة ، كونهِ ذو موقع جغرافي مهم ، فهو إمتداد لسلاسل جبال أطلس ، ويحيط بمدينة طرابلس على شكل هلال جعلهُ حاجزاً بينها وبين الصحراء في فزان التي تمثل الحد الجنوبي لجبل نفوسة، لذلك كان إتصال فزان ببرقة ، وتونس، والجزائر أسهل من إتصالها بطرابلس(٤) , فضلاً عن ذلك أن أهل طرابلس إستغاثوا بالقبائل البربرية التي كانت تسكن في جبل نفوسة ، لذلك أراد عمرو بن العاص السيطرة على هذا الجبل لقطع الإمدادات عن هذهِ المدينة(٥)٠

---

١ - العزيزي: مقالة بعنوان (صور من الجغرافيا العسكرية في التراث العربي) ٠

٢ - أبو عُبيَّة :موجز عن الفتوحات الإسلامية/ ٤٠ ٠

٣ - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢ /٤٠٨ ٠

٤ - الشرقاوي: التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة/ ٢٣-٢٩ ٠

٥ - سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي/ ٦٠ ٠

وقد أسهم هذا الموقع الجبلي في تغيير سير العملية العسكرية ، فقد سارع عمرو بن العاص بفتح المدن التابعة لهذا الجبل ، مدينة تلو الأخرى ، والتي من أهمها مدينة شروس(١) وهذا يعني إتمام فتح جبل نفوسه ، و نهاية مرحلة الفتح العربي الأول لإفريقية(٢)٠

وعندما تولى معاوية بن حديج السكوني(٣) قيادة الجيوش الإسلامية لبلاد المغرب , غزا إفريقية في سنة ٤٥هـ/٦٦٥م (٤) إختار مدينة قريبة من القيروان فوق جبل يسمى القرن (٥) ويدعى بجبل وسلات (٦) حاليا"(٧)وإبتنى بهِ بيوتاً وإتخذه ُ مقراً له ، وذلك لأنهُ أكثر

---

١ - مدينة كبيرة آهلة بالسكان من مدن جبال نفوسة وأهمها , وتقع في وسطه ، وتسمى أيضاً (أم القرى) ، ذات مياه وزروع٠ ابن حوقل : صورة الأرض/٩٢ ؛ البكري :المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ٩؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ١/ ٢٧٩ ٠

٢ - الشرقاوي : التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة/ ٣٠ ٠

٣ - ابن جفنة بن قتيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر ، يكنى أبا النعيم ، وقيل ابا عبد الرحمن , شهد معركة اليرموك، ولي مصر في عهد معاوية، مات بمصر سنة ٥٢هـ/٦٧١م٠ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب/٢٦٠؛ الكندي : الولاة والقضاة/ ١٥-٢٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧؛ الدباغ : معالم الإيمان /١٤١ ٠

٤ - المالكي : رياض النفوس ١/٢٨؛الذهبي : تاريخ الاسلام ٢/٣٨٨؛ السلاوي : الاستقصا ١/١٣٣؛ سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي /٩٦ ٠

٥ - الدباغ : معالم الإيمان /١٤٢؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١/ ١٥ ٠

٦ - وهو أحد الجبال المنيعة في إفريقية ، إشتهر أهله ُ بقطع الطرقات٠إبن الأثير : الكامل في التاريخ ٦١٦/٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٢٠/١١ ٠

٧ - دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٤٨/٢ ٠

حصانة من الوهاد (١) كما أن وقوعهُ في مكان عالي يكون في مأمن من الهجمات المحتملة عليه ، وبذلك إتبع أسلوب البربر في بناء المقرات على الجبال (٢) , لكن هذا الأمر لم يلقِ إستحسان عقبة بن نافع(٣) الذي رغب في بنائها مستندةً الى جبل يحتمي بهِ المسلمون في حالات الضرورة(٤)٠

والراجح أن موقع القيروان أفضل من موقع القرن ، فالمسلمون أعتادوا على بناء معسكراتهم في المناطق المنبسطة ، ولم يفضلوا الإقامة في الأماكن العالية ، وبذلك إنتهج عقبة ما سار عليهِ قادة فتح العراق ، الذين شيدوا البصرة والكوفة وتركوا القلاع الساسانية العالية(٥) , ولعل نزولهم القرن كان المرحلة الأولى للتقدم نحو إفريقية ، لكونها أمنع وأحصن ، فلما فتحوا مناطق أخرى ، فضلوا الإستقرار في القيروان لأنها أرحب وأوسع٠

أضف الى ذلك أن من أهم الأهداف لبناء القيروان ، هو جعلها مأوى للإستراحة ، وتضميد الجرحى ، وإعادة تنظيم الجيش ، بعد الإنتهاء من المعارك ، وضمان وصول الإمدادات العسكرية ، وهذهِ الأهداف تتلاشى في حالة بنائها على قمة جبلية يصعب الوصول إليها خاصة في حالة التقهقر والإنسحاب٠

١- الوهاد: جمع وهدة ، بالفتح فالسكون، المنخفض من الأرض٠ابن منظور : لسان العرب١/ ٣٦٦؛ الطريحي: مجمع البحرين ٤/ ٥٦٦ (مادة وهدة)٠

٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٦١؛ دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٢/٤٨ ٠

٣- بن عبد قبس بن لقبط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهر ، وقيلنهُ ولد قبل وفاة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم بسنة واحدة ، والي إفريقية لمعاوية ، وليزيد ، وهو الذي أنشأ القيروان ، وأسكنها الناس ، شهد فتح مصر ، واختط بها ، وهو ابن أخي العاص بن وائل السهمي لأمه ، قتل سنة ٦٣هـ/٦٨٢م ٠ابن حزم : جمهرة انساب العرب /١٧٨ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١/ ١٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء٣/ ٥٣٢ ٠

٤- العسلي : فن الحرب ٢/ ١٥٥ ٠

٥- الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة المدن العربية الإسلامية /٥٠ ٠

ولم تقف أهمية السيطرة على الجبال عند هذهِ الأمور فقط ، فمن جبل القرن إنطلقت البعوث والسرايا لإستكشاف أرض المعركة ، ومنها السرية التي قادها عبد الله بن الزبير(١) سنة ٤٥هـ /٦٦٥م الى منطقة سوسة(٢) ونزل على شرفٍ عالي يبعد ١٢ميلاً عن هذهِ المنطقة ، لينظر من خلالهِ الى البحر ، فلما سمع البيزنطيون بخبر هذهِ السرية فروا من غير قتال ، وتمكن ابن الزبير من دخول مدينة سوسة (٣)٠

وفي الوقت نفسه تقل الأهمية التكتيكية للجبال ، بل وتنعدم أهميتها ، إذا قرر المهاجم عدم مهاجمة المواقع الجبلية للمدافعين ، إذا توفرت لديه فرص ومحاور هجوم أخرى ، فبعد أن تمكن عقبة بن نافع من فتح مدينة فزان , سأل أهلها ، " هل من ورائكم أحد ؟ قالوا نعم أهل خاور(٤) وهو قصر عظيم على رأس المفازة في وعورة على ظهر جبل وهو قصبة كوار" ، فسار إليهم خمس عشرة ليلة فلما وصل إليه تحصنوا فحاصرهم شهراً فلم يستطع لهم

١- ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة ، كنيته أبو بكر ، وأبو خبيب ، القرشي الأسدي المكي ثم المدني ، ولد سنة ١هـ وقيل ٢هـ ، وهو أول مولود في الأسلام من المهاجرين ، وأمه أسماء بنت أبي بكر ، شهد معركة الجمل مع أبيه ، قتله الحجاج بن يوسف في مكة في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ/٦٩٢م٠ابن الأثير : أسد الغابة ٣/٢٤١؛ ابن عبد البر : الإستيعاب ٣/ ٩٠٥ ٠

٢- مدينة صغيرة بنواحي إفريقية ، بينها وبين سفاقس يومان ، أكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة ، وبين سوسة والمهدية ثلاثة أيام ، وقيل من القيروان إلى سوسة ستة وثلاثون ميلا ، وهي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواحي ، من الشمال والجنوب والشرق ، سورها صخر حصين منيع يضرب فيه البحر ٠الحموي: معجم البلدان ٣/ ٢٨٢ ٠

٣- ابن عذاري : البيان المغرب١/ ١٦؛ لقبال : المغرب الاسلامي /٢٦؛ سالم: تاريخ المغرب في العصر الاسلامي/ ٩٧ ٠

٤- وردت في بعض المصادر بعدة تسميات ، فقد ذكرها البكري باسم (جاوان) ، بينما ذكرها مؤلف مجهول باسم (واجان) ، وهي أكبر مدينة في كورة كوار، وتقع جنوبي فزان٠ ينظر: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك/ ١٣؛ الإستبصار / ١٤٦؛ الحموي: معجم البلدان ٢/ ٣٤١ ٠

شيئاً(١) ، وعلم أن دخول المدينة أمرٌ صعب، فأمر الجيش بالتراجع والإبتعاد عن المدينة، فظن أهل خاور أن جيش المسلمين قد إنسحب ففتحوا أبواب مدينتهم، وكان تراجعهُ حيلة حربية فقد علم أن هناك طرقاً أخرى ومحاور تسهل الوصول إلى هذه المدينة ، وبالفعل تمكن وبهذهِ الطريقة من الدخول إليها(٢) وأسر ملكها وقطع إصبعهُ ، فقال لم فعلت هذا بي ؟ فأجابهُ عقبه " أدباً لك إذا أنت نظرت إلى أصبعك لم تحارب العرب، وفرض عليه ثلاثمائة وستين عبداً(٣)٠

فالموقع الجبلي الحصين أجبر عقبة على تغيير خطتهِ العسكرية ، وإستعمال الحيلة لإستنزال أهل الجبل وجرهم إلى السهل ، ونجح عقبة في هذا الإجراء العسكري٠

وقد يقع قادة الفتح في أخطاء إستراتيجية(٤) وهذا ماحصل مع عقبة ، عندما سلك الطرق الجبلية الوعرة ، وأغفل عن المدن المحصنة ، والتي إستغلت عامل الوقت لتعيد جاهزيتها لصد الهجوم ، مما أسهم في عدم حسم الصراع نهائياً لصالحهِ (٥) , ففي ولايتهِ الثانية وحملتهِ الكبرى على المغرب (٦٢هـ-٦٤هـ/ ٦٨٢م-٦٨٤م) أتخذ الجبال طريقاً له في هذهِ الحملة ، فإخترق جبال الأوراس , التي إمتازت بإرتفاعها ووعورتها، تاركاً الطريق الساحلي الأكثر

١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب/ ٢٦٣ ؛ فتوح مصر وأخبارها / ٢١١؛ خطاب : قادة فتح المغرب العربي ١/ ٩٩ ٠

٢- ابن أبي دينار : المؤنس /٣٠؛ سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي/ ١٠٨ ٠

٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب/ ٢٦٣؛ البكري , المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /١٣ ٠

٤- مشتقة من كلمة (إستراتيجوس) الإغريقية ، التي تعني القائد العسكري ، وهي فن تنظيم الجيوش ، وتنسيق القوى ووضع الخطط العسكرية في المعركة وهي الخطة الشاملة ٠تزو: فن الحرب / ٣ ٠

٥- غوردو : الفتح الإسلامي لبلاد المغرب/ ٢٤ ٠

سهولة (١) فعندما سار لفتح مدينة باغاية(٢) خرج أهلها لملاقات عقبة خارج أسوار المدينة, وأستطاع الإنتصار عليهم ، وغنم منهم خيولاً كثيرة ، والتي تعتبر من الخيول الجيدة التي عرفت بقوتها وصلابتها ، وفر المنهزمون إلى داخل المدينة وتحصنوا بها ، فكره عقبة فتحها(٣)٠

فالطريق الجبلي الوعر في هذهِ الحملة أنهك الجيش ، فإستغل أهل باغاية هذا الأمر لكسب الوقت والتحصن في الجبال ، وبالتالي أجبر عقبة على ترك المدينة وعدم الدخول اليها٠

وكذلك الحال في مدينة أذنة(٤) عندما أراد إخضاعها لجأ سكانها الى الجبال الوعرة متحصنين فيها، فكرِه أن يقاتلهم ورحل عنها(٥) , فكان العدو يدرك أهمية الجبال ومدى تأثيرها في سير المعارك٠

وعندما تولى زهير بن قيس البلوي(٦) قيادة الجيش الإسلامي في بلاد المغرب سنة

---

١ - مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس/ ٤٣ ٠

٢ - وهى مدينة عظيمة جليلة، فيها آثار للأول ولها أنهار عامرة وعيون ومزارع ومسارح، وعلى أميال منها يقع جبل أوراس، الذي يشق بلاد المغرب وإفريقية، فطرفه من البحر الغربى حيث البحر المحيط، وطرفه الثانى فى البحر٠ مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار/١٦٣؛ الحميري: الروض المعطار/ ٧٦ ٠

٣ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب/ ١٠؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١/ ٢٤ ٠

٤ - وهي مدينة رومية قديمة في الزاب من أرض إفريقية على مقربة من المسيلة، كثيرة الأنهار والعيون العذبة، وحولها ثلاثمائة وستون قرية للروم كلها عامرة٠ الحميري: الروض المعطار /٢٠ ٠

٥ - الرقيق القيرواني : فتوح إفريقية والمغرب /١١؛ المالكي : رياض النفوس ١/ ٣٦ ٠

٦ - يكنى أبا شداد ، وقيل له صحبة ، وروى عن جماعة من التابعين ، شهد فتح مصر سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م ، وأصبح والي إفريقيا في عهد عبد الملك بن مروان ، وقتلته الروم ببرقة سنة ٧٦هـ/٦٩٥م ٠ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب/ ٢٧٢؛ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب/ ١٧-١٨؛٢٠-٢٢ ؛ السلاوي : الاستقصا ١/ ١٤٢ ٠

٦٩هـ/٦٨٨م ، قرر أخذ الثأر لمقتل عقبة(١) فجهز جيشاً وتوجه به لقتال كسيلة(٢) الذي غادر القيروان وإستقر في مدينة ممس(٣) وكان إختياره لهذهِ المدينة ضرورة حربية، كونها قريبة من الجبال ، وأتضح ذلك من خلال مخاطبتهِ للبربر ، فقال " فإن هزمناهم الى طرابلس ، قطعنا آثارهم ، فيكون لنا الغرب الى آخر الدهر ، وإن هزمونا كان الجبل منا قريباً ، فنتحصن بهِ " ، لكن زهير بن قيس إنتبه لهذهِ النوايا ، ولم يدخل القيروان مباشرةً ،إنما أقام بظاهرها ثلاثة أيام ، إلى أن إستراح جيشُه ، ودرس المعركة بصورة صحيحة، وفي اليوم الرابع إلتقى الجيشان، وكان النصر حليف المسلمين وعلى أثرها قتل كسيلة ومن معه (٤).

وكذلك الحال عندما تسلم حسان بن النعمان(٥) سنة ٧٣هـ / ٦٩٣م ، قيادة الجيش

---

١ - أستشهد عقبة بن نافع سنة ٦٣هـ/٦٨٢م ، أثناء عودتهِ للقيروان ، حيث كان معه عدد قليل من الجند ، لذلك إستضعفهُ الروم ، وبعثوا إلى كسيلة ليغدر بهِ ، فقتل في معركة تهوذة ، وقتل معه أبا المهاجر دينار وعدد كبير من جيشهِ٠٠ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب/ ٢٦٧ ٠

٢ - أمير أمازيغي ، وكانت مملكته تضم كل الربوع الموجودة ما بين تاهرت و وهران و تلمسان غرباً إلى القيروان بالشرق، يعتبر أحد الأبطال التاريخيين عند الأمازيغ الذين تذكرهم كتب التاريخ أبان العصر الوسيط، تحارب كسيلة مع قوات عقبة بن نافع وقوات قيس بن زهير البلوى، ممَّا تسبب بتأخير فتوحات المسلمين في شمال إفريقيا ٠ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤/ ١٠٧ ٠

٣ - ذكرت ممس في بعض المصادر بإسم (ممش أو لميس)، من نواحي القيروان٠ ينظر: إبن الأثير : الكامل في التاريخ ٤/ ١٠٨ ؛ ابن أبي دينار : المؤنس/٣٠ ؛ السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى١/ ١٤٧ ٠

٤ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب/ ١٩؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١/٣٢ ؛ المالكي : رياض النفوس ١/٤٧ ٠

٥ - بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن الأزد الغساني ، فاتح قرطاجنة ، ولاهُ عبد الملك بن مروان ولاية المغرب ، وهو من رجال السياسة والحرب ، ولقب بالشيخ الأمين ، وهو من التابعين ، وعزلهُ والي مصر عبد العزيز بن مروان من منصبهِ سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م، بسبب تدخلهِ في شؤون برقة وطرابلس٠ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٦٩؛ الكندي: الولاة والقضاة /٤٢ ٠

الإسلامي في جبهة المغرب ، فعندما هاجم قرطاجنه , تحصن الروم الهاربيين بمدينة باجة الجبلية, ولم يتمكن من إقتحامها ، ورجع بعد ذلك الى القيروان(١)٠

وكان قرارهُ في العودة الى القيروان ، قرار صائب ، إذ لابد للجرحى أن يشفوا من جراحهم ، ولابد للجيش أخذ قسطاً من الراحة بعد طول القتال مع الروم ، وحتى يكون أكثر جاهزيةً وإستعداداً لقتال الكاهنة(٢) التي كانت تتمركز في جبال الأوراس(٣) فهي الهدف الأساسي من وراء حملتهِ ، ويتضح ذلك من خلال سؤالهِ لأهل القيروان عن أعظم ملوك إفريقية ليسير إليه فيبيدهُ أو يسلم ؟ فأخبروهُ عنها وأن جميع من بإفريقية من الروم منها خائفون وجميع البربر لها مطيعون ، فأراد قتلها حتى تدين لهُ المغرب كلها ، ولا يبقى لهُ معاند(٤)٠

لذلك عمدت الكاهنة على التحصن في الجبال ، وسيطرت على مدينة باغاية ، وهدمتها ظناً منها أن حسان يريد التحصن بها ، ودارت معارك بين الطرفين ، أدت الى هزيمة المسلمين والتراجع الى مدينة برقة(٥)٠

ومن أهم أسباب هذهِ الهزيمة ، هو معرفة وإدراك الكاهنة لأهمية التحصن في الجبال ، فإستغلت عامل الوقت في حث وتأليب سكان الجبال بالدفاع عن مواقعهم ، وأتاحت لقبيلتها

---

١ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب/ ٢٣؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٣٥/١ ؛ المالكي : رياض النفوس ٤٩/١ ٠

٢ - دهيا بنت ماتية بن تيفان , إمرأة بربرية ملكة جراوة ، وأعظم ملوك البربر ، إستقرت بجبل أوراس , وقد أجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة , وملكت الكاهنة إفريقية كلها , وأساءت السيرة في أهلها وظلمتهم٠ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤١٦/٣؛ ابن خلدون : تاريخ ١٤٣/٦ ٠

٣ - المالكي : رياض النفوس ٤٩/١؛ السلاوي : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١/ ١٤٨ ٠

٤ - الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب /٢٣؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٣٥/١ ٠

٥ - ابن عذاري : البيان المغرب ٣٦/١ ؛ ابو عبيه : موجز في الفتوحات العربية الإسلامية /٨٠ ٠

جراوة مجالاً واسعاً للإستعداد لمقاتلة العرب ، أضف الى ذلك قيام الوحدات البيزنطية بتدريب البربر على فنون القتال في المناطق الجبلية ، التي لم يتعود المسلمون القتال بها بقدر معرفتهم ومراسهم القتال في المناطق السهلية(١)٠

أما في حملتهِ الثانية على الكاهنة ٧٨هـ/٦٩٧م , فقد إستطاع حسان من كسب بعض القبائل البربرية , التي كانت لها معرفة جيدة بطبيعة الأرض , وتتقن أساليب حرب الجبال , مما أثر سلباً على الكاهنة , وإنقلبت موازين القوى لصالح المسلمين , خصوصاً بعدما ساءت علاقتها مع البربر بسبب إتباعها سياسة الأرض المحروقة (٢)٠

وقد حرص موسى بن نصير (٣) على تأمين مدينة القيروان ، التي إتخذها قاعدة عسكرية لإنطلاق العمليات في إفريقية(٤) فأرسل في سنة ٨٩هـ/٧٠٧م ، قوة عسكرية قوامها خمسمائة فارس للسيطرة على جبل زغوان , والقضاء على البربر المتمردين فيه ، وإستطاعت هذهِ القوة السيطرة على الجبل ، والقضاء على كل جيوب المقاومة(٥)٠

يتضح من خلال سيطرة موسى بن نصير على جبل زغوان ، مدى إدراكهِ لأهمية هذا الجبل وتأثيرهُ على سير الفتوحات ، حيث يبعد عن القيروان مسيرة يوم واحد (٦) لذلك عمد الى القضاء على العدو الأدنى ، وهو بذلك إختلف عن القادة الذين سبقوه في فتح بلاد المغرب ،

١- زبيب : الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس ٢/ ٤٠ ٠

٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب /٢٧١؛ بيضون : الدولة العربية في اسبانيا /٥٣ ٠

٣- بن عبد الرحمن بن زيد , يكنى عبد الرحمن , من بني لخم , ويقال انه من بكر بن وائل , قدم المغرب أميراً عليها في سنة ٧٨هـ , وقيل ٧٩هـ , وقيل سنة ٨٩هـ ، عين من قبل عبد العزيز بن مروان٠ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤١٧/٣ ؛ ابن الآبار :الحلة السيراء ٣٣٢/٢ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٣٩/١

٤- العسلي : فن الحرب ١٩٢/٢؛ قطب : من أبطال الفتح الإسلامي / ٣٠٨ ٠

٥- ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٧٣/٢ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٤٠/١ ٠

٦- ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٧٣/٢؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٤٠/١ ٠

فقال مخاطباً المسلمين " كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الأقصى ، ويترك منه العدو الأدني ، ينتهز منهُ الفرصة ، ويدل منهُ على العورة ، ويكون عوناً عليه عند النكبة ، وأيم الله لا أريم(١) هذهِ القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها ، ويذل أمنعها ويفتحها على المسلمين٠٠٠"(٢)٠

أما في بلاد الأندلس فالتاريخ الإسلامي حافلاً بدروس وافية عن إدارة الجيوش والتخطيط للحروب وتنفيذها ، وتعد المعارك في هذهِ الجبهة من العلامات البارزة في تطور الفكر الإستراتيجي العربي الإسلامي ، فقد تمرس المسلمون على فنون الإستطلاع وجمع المعلومات عن العدو قبل المعركة وبعدها ، ويتضح ذلك من خلال إرسال الحملات الإستكشافية لشبه الجزيرة الأيبيرية، والتي تهدف الى جمع معلومات عن طبيعة المنطقة وتضاريسها قبل الدخول إليها ، فكانت أولى هذهِ الحملات سنة ٩١هـ/٧٠٩م بقيادة طريف بن مالك(٣) الذي عبر مدينة سبتة , ونزل في جزيرة سميت فيما بعد بإسم جزيرة طريف(٤) التي تقابل الجزيرة

١- أي لن أتركها٠ ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/٧٣ ٠

٢- ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/٧٣ ٠

٣- ابو زرعة ، رئيس قبيلة بَرغَواطة البربرية، التي ينتسب إليها، وكان له دور كبير في تلك القبيلة ، ويبدو أن والدهُ كان مسلماً، بدليل إسمه العربي الإسلامي، مما يدل على أنهُ ولد وشب وترعرع في بيت إسلامي، ولعلّ تدينه لفت إليه الأنظار، بالإضافة إلى مزاياه وكفاياته الأخرى، وكان قربه من موسى بن نصير قد أتاح له الفرصة السانحة لتولي منصباً قيادياً، فنجح في منصبه القيادي نجاحاً ظاهراً. ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ٥؛ المقري: نفح الطيب ١/ ٢٥٣؛ خطاب : قادة فتح الأندلس ١/ ٤١٧ ٠

٤- على البحر المتوسط , في آخر المجاز المسمى بالزقاق ، وهي ميناء أندلسي , عليها سور تراب , ويشقها نهر صغير , وبها أسواق وفنادق وحمامات وأمامها جزيرتان صغيرتان تسمى إحداهما القنتير وهما على مقربة من البر، ومن جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا, وسميت جزيرة طريف نسبة الى طريف بن مالك الذي نزل فيها ٠الإدريسي: نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ٢/ ٥٣٩ ؛ الغساني : رحلة الوزير في إفتكاك الأسير /٢٩ ٠

الخضراء من الناحية الشرقية ، ويفصل بين الجزيرتين تلال(١) متصلة(٢)٠

ويبدو أن طريف أدرك أهمية هذهِ التلال في سير المعارك ، والتي تعتبر كحاجز طبيعي لصد أي هجوم مباغت ، وحتى يكون في مأمن من رصد العدو الذي ربما يفشل حركتهِ الإستكشافية ، وأستطاع هذا القائد من خلال هذهِ الحملة جمع المعلومات الكافية ، التي كان على أثرها صدور الأوامر لطارق بن زياد(٣) لعبور المنطقة(٤)٠

ولاشك أن عامل الجبال كان لهُ دور وتأثير على سير الفتح سلباً أو إيجاباً ، فعندما قاد طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١٠م حملتهُ العسكرية، والتي كانت غالبية رجالها من القبائل المغربية ، متوجهاً الى شبه الجزيرة الأيبيرية(٥) نزل عند جبل كالبي ، الذي عرف فيما بعد بجبل طارق(٦) ، إذ أدرك طارق أهمية هذا الجبل ، فهو بمثابة قاعدة لإنطلاق عملياتهِ العسكرية ، والتي كانت بدايتها فتح الجزيرة الخضراء والمناطق المجاورة ، فمن خلالهِ يستطيع السيطرة على المضيق ، وحماية خطوطهِ الخلفية ، وتأمين إ تصالهِ بقواعدهِ في المغرب (٧)٠

١- هي كل مرتفع عن سطح الأرض يقل إرتفاعه عن ١٠٠م ، ولايوجد اختلاف بين قمة التل وقمة الجبل سوى الإرتفاع٠ابو حجر : المعجم الجغرافي /١٩٦ ٠

٢- عنان : الآثار الأندلسية الباقية /٢٧٨ ٠

٣- وقد إختلف في نسبه ، فقيل إنه فارسي من همذان ، وقيل بربري من نفزة ، وهو الأرجح ، من سبى البربر من إفْرِيقِيَّة ، وهو ا بن عبد الله بن رَفْهو بن وَرْفَجُوم بن بنزغاس بن وَلْهاص ابن يـ طُّوفَت بن نـَفْزاو , مولى لموسى بن نُصَيْر ٠ابن عذاري: البيان المغرب ٢/٥ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام٢/١١١٨ ؛ المقري: نفح الطيب ١/ ٢٥٤ ٠

٤- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة / ١٦؛ المقري : نفح الطيب ١/ ٢٥٣ ٠

٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٧٦؛ البلاذري : فتوح البلدان / ٢٧٣ ٠

٦- ابو عبية: موجز عن الفتوحات الإسلامية/ ٩٨؛ خطاب : قادة فتح الأندلس ١/ ٢٣٨ ٠

٧- السامرائي وآخرون : تاريخ المغرب العربي/ ٩٦٦ ٠

ومن الجدير بالذكر أن معظم المصادر تشير إلى هذهِ الحملة بإختصار شديد، فهي تذكر أن طارق قد نزل في الجبل المنسوب إليهِ دون أن يلقى أي مقاومة(١)٠

وهذه الرواية تبدو بعيدة عن الصواب ، وتحتاج الى شيء من التفكر، فمن المعروف أن جبل طارق ذات موقع إستراتيجي مهم منذ أقدم العصور(٢) فهو يصل بين المغرب والأندلس ، ويتحكم في رصد أي هجوم على أسبانيا من الناحية الجنوبية ، لذلك إهتمت الشعوب التي جاءت بعد الفينيقيين بهذا الموقع , ولم يتركوه دُون حراسة ومراقبة (٣)٠

فقد عهد الملك لذريق(٤) إلى أحد قوادهِ ويدعى تدمير(٥) مسؤولية الدفاع عنه(٦) فالقوط على علم بتطور الأحداث على الجانب المغربي من المضيق ، وتنامي قوة المسلمين ونواياهم في الفتح ، وجاءت هذهِ المعرفة من خلال الحملات الإستطلاعية التي شنها المسلمون ، والتي نبهتهم الى خطرهم (٧) , فضلاً عن ذلك أن عرض مضيق جبل

---

١ - ينظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب / ٢٧٧؛ المسعودي : أخبار الزمان / ٩٧؛ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة / ١٧؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٤/ ٥٦١؛ ابن خلدون: تاريخ ٤/ ١١٧ ٠

٢ - أدرك الفينيقيون الأهمية الإستراتيجية لهذا الموقع ، فقاموا بإنشاء المراكز التجارية في مدينة قادس وراء أعمدة هرقل ، وسيطروا على الممر الضيق في جبل طارق لمنع الإغريق من مشاركتهم في التجارة٠ينظر: غانم: التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط/ ٤٩ ٠

٣ - العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس/ ٥٨ ٠

٤ - آخر ملوك القوط بأسبانيا قبل الفتح الإسلامي ، وكان قائداً وفارساً ، لكنه لاينتمي الى سلالة الملوك الذين حكموا الاندلس قبله ٠ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٤/٣٧؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ٣ ٠

٥ - وهو أحد كبار القادة زمن لذريقُ، وكان نصرانياً مثقفاً، أستطاع بعلمه وفضله اكتساب إحترام المسلمين، وعقد الصّلح مع المسلمين على الجزية، فقد أصبح من أهل الذّمّة، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم٠ ابن قتيبة: (المنسوب) الامامة والسياسة ٢/ ٦٠؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢/١١ ٠

٦ - ابن قتيبة : (المنسوب) الامامة والسياسة ٢/ ٦٠؛ طه : الفتح والاستقرار/ ١٤٥ ٠

٧ - ينظر: مؤلف مجهول: أخبار مجموعة/ ١٦-١٧ ؛ العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس/٢١ ٠

طارق في أضيق جهاتهِ ، مايقارب من خمسة عشر كيلومتراً ، وهذه المسافة لا وزن لها من ناحية الإنتشار العسكري بين الساحلين المغربي والأيبيري (١)٠

وهذا يدفعنا إلى القول إن نزول المسلمين في جبل طارق لم يكن بالأمر السهل ، فلا يعقل أن القوط أهملوا هذا الموقع ، فقد تخلّى طارق عن الإنزال في الجبل ، وأبحر منهُ ليلاً ، عندما وجد جماعة من القوط حاولت منع إنزال قواتهِ ، قام بحركة إلتفاف بارعة حولهُ (٢)وتسلقهُ مع جندهِ من موضع صخري وعر ، مستخدماً المجاذيف(٣) وبراذع(٤) الخيل ، التي ألقيت على الصخور لتلافي خطرها ، وبهذه الطريقة تمكن طارق من الإنزال المفاجئ من غير أن يراهُ أحد من العدو على الشاطئ(٥) وقد أشار ابن الكردبوس إلى ذلك بقولهِ : " فمضى طارق لسبتة وجاز في مراكبهِ الى جبل طارق بإسمهِ الى الآن ، وذلك سنة إثنتين وتسعين من الهجرة ، ووجد بعض الروم وقوفاً في موضع وطيء، كان عزم على النزول فيه إلى البر فمنعوهُ منهُ ، فعدل عنهُ ليلاً الى موضع وعر ، فوطأهُ بالمجاذف وبراذع الدواب، ونزل منهُ في البر وهم لايعلمون، فشن غارة عليهم وأوقع بهم وغنمهم "(٦)٠

وبذلك حقق المسلمون النصر والسيطرة التامة على جبل طارق ، بعد فرار القوط الذين أصيبوا بالذعر والخوف من المسلمين ، ويتضح ذلك من خلال الرسالة التي بعثها تدمير للملك

---

١ - العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس/٢٠ ؛ أحمد : الأهمية السياسية والعسكرية لمضيق جبل طارق / ٣٤٥ ٠

٢ - خطاب : قادة فتح الاندلس١/ ٢٣٧؛ مصطفى : الأندلس في التاريخ/١٩ ٠

٣ - جمع مجذاف ، ما تدفع به السفينة٠ الزبيدي: تاج العروس ١٢/ ١١٠(مادة جذف) ٠

٤ - جمع برذع، وهو الحلس الذي يلقى تحت الرّحْل٠ابن منظور : لسان العرب ٨/ ٨ (مادة برذع) ٠

٥ - ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ٩ ٠

٦ - الإكتفاء في أخبار الخلفاء ٢ /١٠٠٦ ٠

لذريق ، جاء فيها " إنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء نزلوا ؟ أم من الأرض نبعوا ؟ " (١)٠

وعلى الرغم من أن الهدف الأساسي في سيطرة المسلمين على جبل طارق هو فتح المناطق المجاورة للجزيرة الخضراء، والسيطرة على الجانب الأسباني من المضيق، لضمان وصول الإمدادات من شمال إفريقية ، وعدم البقاء في هذا الجبل لمدة طويلة ، إلا أنهم قاموا بتحصينهِ (٢) وبناء سور حولهُ سمي بسور العرب(٣)٠

وهذا يدل على مدى الوعي العسكري لقادة الفتح ، فمن واجب القائد تحصين موقعهِ حتى ولو بقي فيه ساعة من نهار أو ليل ، إستعداداً لأسوأ الإحتمالات ، وصّد أي هجوم محتمل(٤)٠

فهذا هو دأب القائد الجّيد والمقاتلين الجّيدين ، كما قال تزو(٥) " المقاتل الجيد يحصن نفسهُ ضد الهزيمة ، عبر إخفاء تحركاتهِ وإتخاذ إجراءات أمنية إحترازية دائمة ومشددة " ٠

لكن سرعان ما ترك طارق هذا الجبل بعد تأمينهِ ، للبحث عن حصن آخر للإستمرار في عملية الفتح (٦) , فتوجه نحو الجزيرة الخضراء المجاورة للجبل وأحكم السيطرة عليها ،

---

١ - ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/ ٦٠ ٠

٢ - ابن عذاري : البيان المغرب ٢/٩ ٠

٣ - ابن عذاري : البيان المغرب ٢/٩؛ ابن بطوطة : الرحلة / ٦٦٥ ٠

٤ - خطاب: قادة فتح الاندلس ١/ ٢٤١؛ عبد الرؤف : الهندسة العسكرية/ ٩٠ ٠

٥ - فن الحرب/ ٢٥ ٠

٦ - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤/ ٥٦٢ ٠

ولإستخدامها قاعدة عسكرية لحماية ظهرهِ في حالة الإنسحاب ، فهي أسهل وأقرب نقطة للإتصال بقاعدة سبتة على الساحل المغربي ، ويصعب إتصالها بشبه الجزيرة الأيبيرية ، لوجود حاجز من المرتفعات بينهما(١)٠

ولم تنحصر أهمية الجبال فقط في كونها موقعاً إستيراتيجياً مهم لإنطلاق عمليات الفتح ، بل كان لها دوراً كبيراً في حسم المعارك الفاصلة ، ففي معركة وادي لكة(٢) سنة ٩٢هـ/٧١٠م ، قام طارق بتنظيم صفوف جيشهِ ، وأسند ميمنة الجيش الى جهة الجبال جنوباً ، وبذلك أمن ظهر الجيش , فلا يسطيع العدو الإلتفاف حولهُ ، وهو بهذهِ الحركة جعل العدو في وضع الإضطرار للقتال في الجهة الشمالية ، وبالتالي حسمت هذهِ المعركة لصالح المسلمين(٣)٠

وأعقب هذا الإنتصار هروب القوط الى المناطق الجبلية للتحصن بها(٤) , فعندما

---

١ - أبو عبية : موجز عن الفتوحات/٩٨ ٠

٢ - وادي في الأندلس من أعمال شذونة ، وذُكرت هذهِ المعركة بعدت تسميات منها معركة وادي الطين ، ووادي أم حكيم ، لأن طارق خلف عليها جارية له تسمى أم حكيم مع نفر من الجند، ومعركة وادي برباط، ومعركة البحيرة ، ومعركة السواقي٠ ينظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٧٨؛ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة /١٨؛ الحموي : معجم البلدان ١/ ٣٦٨ ؛ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ٧ ؛ ٠كل هذهِ التسميات جائز أن تطلق على هذهِ المعركة ، فهي من المعارك الكبيرة الواسعة النطاق ، ولم تقتصر على مكان معين من كورة شذونة ، وهذهِ التسميات ماهي إلا أسماء للأماكن التي دارت عندها المعركة٠العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والاندلس / ٣٥؛ مؤنس : معالم / ٢٧٠ ٠

٣ - خطاب: قادة فتح الاندلس ١/ ٢٥١؛ السرجاني: قصة الاندلس ١/٥١؛ العسلي : فن الحرب٢/٢٦٦

٤ - المقري : نفح الطيب ١/ ٢٥٩ ٠

سار مغيث الرومي(١) لفتح مدينة قرطبة بأمر من طارق بن زياد ، فّر الملك القوطي الذي كان حاكماً عليها الى إحدى الكنائس الواقعة غربي المدينة ، ففرض المسلمون عليها الحصار لمدة ثلاثة أشهر ، وبعدها حاول الملك الهروب لوحدهِ ، قاصداً جبل قرطبة للتحصن بهِ ، لكنهُ تفاجئ بوجود خندقٍ عميق ، فوثب بهِ الفرس، وسقط في الخندق ، حتى أقبل مغيث وأسرهُ(٢)٠

بعدها توجه المسلمون الى مدينة مالقة ، بمساعدة أدلاء من رجال جوليان(٣) وإستطاعوا فتحها ، وهرب سكانها الى جبال رّية للتحصن بها(٤) وعرض ليليان على طارق التوجه الى طليطلة مباشرة ، فقال له : " قد فرغت بالأندلس ، وهؤلاء أدلائي من أصحابي ، فرق معهم جيوشك ، وخذ أنت الى طليطلة " (٥)٠

١- مولى عبد الملك بن مروان ، فهو الذي أدبهُ ، وبعد موت عبد الملك أصبح أبنه الوليد خلفاً له ، لذلك يقال إن مغيث مولى الوليد بن عبد الملك ، وقيل في أصله إنه رومي ، وقيل إنه ليس برومي على الحقيقة، وتصحيح نسبه، أنه مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جَبَلَةَ بن الأيهَم الغَسّاني, ونشأ مغيث بدمشق، ودخل الأندلس مع طارق فأفتتحها، قُتِل في إفريقية , في منطقة طنجة، وكان مع جيش الدولة في قتال الخارجين من البربر، وكان قتله سنة ١١٨هـ /٧٣٦ م ٠ينظر: إبن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب/ ٢٧٩؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ٩؛ المقري : نفح الطيب ٣/١٢ ؛ خطاب : قادة فتح المغرب ١/ ٣٤٣٠

٢- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة /٢٣؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢/١١ ٠

٣-ذكرهُ ابن عذاري بإسم (يليان) ، وهو من تجار الروم وحاكم مدينة سبتة والجزيرة الخضراء ،عين من قبل الدولة البيزنطية، قبل الفتح الإسلامي للأندلس ، وكانت له علاقة طيبة مع القوط ، بصفتهم القوة المسيحية القادرة على مساعدته ، للمحافظة على استقلاله , لكنه فيما بعد ساعد العرب بغزو الأندلس نتيجة لتدهور العلاقة بينهما ٠ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس /٣٣ ؛ مؤلف مجهول : فتح الأندلس/٢٢ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢/١١ ؛ المقري : نفح الطيب ١/٢٢٩ ٠

٤- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة /٢١؛ المقري : نفح الطيب ١/٢٦٣ ٠

٥- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة/١٩ ٠

وبالفعل سار طارق مسرعاً في الطريق القديم الذي كان يعرف في عهد الرومان بطريق هانيبال(١) للوصول اليها قبل أن يحكم أنصار لذريق الدفاع عنها ، وقبل أن يدبر أنصار غيطشة أمراً لايكون في صالح المسلمين (٢) وتمكن من دخولها من غير مقاومة تذكر ، فوجدها شبه خالية ، فقد هرب أغلب أهلها الى مدينة خلف الجبل ، فقطع طارق الجبل المنسوب إليهِ ، ووصل الى وادي الحجارة ، وأدرك مدينة المائدة (٣) ثم عاد الى طليطلة(٤)٠

يتضح من ذلك أهمية الحنكة العسكرية في مثل هذهِ المواقف ، فكان على لذريق إستغلال الطبيعة الجغرافية لهذهِ المدينة ، فهي مبنية من الحجارة ومحاطة بسبع جبال(٥) وبهذا تكون هذهِ المدينة محصنة بحصانة كبيرة ، نادراً ما تكون في مدينة أخرى ، فهي عصّية على الجيوش التي تحاول إقتحامها(٦) ، ولو تحصن بها لتغيرت مجريات المواجهة مع طارق لصالحهِ ، خصوصاً أن هذهِ المدينة كانت مأهولة بالسكان ، بعدما لجأ إليها أهل قرطبة ، ويتضح ذلك من خلال جواب أحد الأشخاص لمغيث الرومي عندما سألهُ عن قرطبة قال :

١- وهو قائد قرطاجي فينيقي الأصل ، من أعظم رجال الحرب (٢٤٧-١٣٨ق٠م) تسلم قيادة الجيوش القرطاجية بعد مقتل القائد أزر بعل ، وقيل أصح تسمية لهُ هي (حنبعل) ، وهو اسم مركب من حن بعل , وهو اسم أحد الآلهة لدى الفينيقيين والقرطاجيين ، وسمي هذا الطريق بإسمهِ تخليداً لذكراه٠المدني: قرطاجنة في أربعة عصور / ٤٩ ٠

٢- مؤنس : فجر الأندلس/١٣٩؛ السلمي : تاريخ مدينة طليطلة في العصر الاسلامي /٢٩-٣٠ ٠

٣- تقع في أحواز طليطلة , وسميت بذلك لأنها وجدت فيها المائدة المنسوبة الى النبي سليمان بن داوود (ع) ، وكان طارق قد فتحها سنة ٩٣هـ/٧١١م ٠ بن حبيب : كتاب التاريخ/ ١٤٦؛ الحميري : الروض المعطار/ ٥٣٠ ٠

٤- مؤلف مجهول : فتح الأندلس / ٢٣؛ ابن عذاري البيان المغرب ٢/ ١٢ ٠

٥- الإصطخري : المسالك والممالك / ٤٢؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/ ٥٣٦ ٠

٦- السلمي : تاريخ مدينة طليطلة في العصر الاسلامي / ١٨ ٠

" رحل عنها عظماء أهلها الى طليطلة ٠٠٠"(١)٠

أضف الى ذلك أن الأوامر لاتتطلب حرفية التطبيق في الأمور العسكرية وخاصة في تلك المواقف ، فالقائد الميداني يكون ذو معرفة دقيقة بالأحوال المحيطة بهِ أكثر من القائد الأعلى، فعلى الرغم من أن موسى بن نصير قد أوصى طارق بعدم الإسراع في فتح طليطلة حتى لايحوطهُ النصارى ، إلا أن الأخير توجه بسرعة لفتحها ، وهو قرار سليم وهدف صائب (٢) فهو لم يرغب في الإنشغال في قرطبة وترك القوط يتكتلون ويستعدون لهُ في طليطلة ، كما أنهُ بسقوط طليطلة تصبح المناطق الجنوبية للأندلس محصورة بيد المسلمين (٣)٠

وكتب طارق بن زياد كتاباً الى موسى بن نصير ، يطلب منهُ العون والمساعدة ، لتعزيز قواتهِ والقضاء على جيوب المقاومة التي واجهتهُ عند ملاحقتهِ للقوط الهاربين من طليطلة ، وجاء في الكتاب " أن الأمم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث٠٠"(٤)٠

وإستجاب موسى لكتاب طارق ، وعقد الرايات ، وعبر الى الأندلس من جبل القردة ، وهو الجبل المعرف بمرسى موسى الى الجزيرة الخضراء ، التي إتخذها مكان لإستراحة الجيش , وذلك في سنة سنة ٩٣هـ/ ٧١١م ، ففتح المدن التي لم يصل إليها طارق بن زياد(٥)لكنهُ وجد صعوبة في فتح المدن الجبلية ، التي تمتاز بوعورة مسالكها ، كمدينة جليقية الواقعة

١- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة / ٢٠ ٠

٢- السلمي : تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي/ ٢٩ ٠

٣- السرجاني : قصة الاندلس١/ ٦٨؛ مؤنس : فجر الأندلس / ١٣٨ ٠

٤- ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/ ٨٨ ٠

٥- مؤلف مجهول : فتح الأندلس /٢٨ ، وعن المدن التي فتحها طارق ينظر: ابن عذاري : البيان المغرب ١٣/٢؛ المقري : نفح الطيب ١٦٩/١ ٠

في الشمال الغربي من الأندلس ، وتحديداً في الأقليم المسمى أشتوريس ، لذلك إضطر المسلمون الى عقد الصلح مع أهلها(١)۰

وانعكست نتائج هذا الصلحسلباً على المسلمين ، فقد أثر على سير عملياتهم العسكرية ، وأُهمل جانب كبير من هذا الإقليم ، وإستغل القوط هذا الإهمال لصالحهم ، فإعتصموا في الجبال الشمالية(٢)۰

وورد في إحدى الروايات ، حوار بين الأدلاء وموسى بن نصير ، عندما نزل في الجزيرة الخضراء فقالوا له " نحن ندلك على طريق هي أشرف من طريقه، وعلى مدائن هي أعظم خطراً من مدائنهِ، لم تفتح، يفتحها الله على يديك إن شاء الله ، فامتلأ موسى سروراً "(٣)۰

يتضح من هذا الحوار بعد النظر العسكري لدى موسى بن نصير ، الذي رغب في نشر الإسلام ، وإخضاع المدن التي تشكل خطراً على المسلمين ، وكذلك رغبتهُ في الحصول على الغنائم من المدن المفتوحة(٤) ففكر في وضع خطة لفتح القسطنطينية ، تتمثل بالوصول إليها عن طريق أوربا لا عن طريق الشرق ، وأن يقتحم جبال البرت ويسيطر على مدنها الواحدة تلو الآخرى(٥)۰

ومن التساؤلات المثيرة ، لماذا وضع موسى بن نصير خطة الوصول للقسطنطينة عن طريق أوربا وإقتحام جبال البرت ، وترك الطريق الأقرب للوصول وهو طريق الشرق ؟

---

١ - عنان : دولة الإسلام في الاندلس ١/ ٢١٠ ؛ العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس/٣٩ ۰

٢ - مؤنس : فجر الأندلبس / ١٦٦ ۰

٣ - ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ١٣؛ المقري : نفح الطيب ١/ ٢٦٩ ۰

٤ - مؤنس : فجر الأندلس /١٤٦ ۰

٥ - المقري : نفح الطيب ١/٢٠٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ٤/ ١١٨؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس ١/ ٥٣ ۰

يبدو أن موسى بن نصير أراد أن يربط العرب في الأندلس والعرب في أسيا الصغرى من خلال فتح بلاد الأرض الكبيرة الممتدة من الأندلس حتى القسطنطينية(١)٠

لكن هذهِ الخطة لم تلقِ إستحساناً من قبل الوليد بن عبد الملك(٢) الذي طلب منهُ الرجوع بالمسلمين وأن لاُيغرر بهم(٣) فلاشك أن طول المسافة وقلة الأخبار هي التي أثارت قلقهُ ودعتهُ الى إستدعاء موسى (٤) أو خوفهُ من تعرض المسلمين للهزيمة مرة أخرى , بعد أن فشلت محاولاتهم في إقتحامها أيام معاوية بن أبي سفيان(٥)٠

وربما كان قرار الوليد فيهِ نوعٌ من الصواب ، فدخول المسلمين الى المناطق الجبلية والتوغل كثيراً في الأراضي التي يجيد بها الأعداء القتال ونصب الكمائن قد تعرض المسلمين للخطر ، فقد تركزت المقاومة الأسبانية المعارضة للفتح الإسلامي في الجبال، وأصبحت

١- المزروع : جهاد المسلمين خلف جبال البرت / ٤٤ ، والقسطنطينية دار مملكة الروم بينها وبين عمورية ستون ميلاً ، وحكمها تسع وعشرون ملكاً ، أخرهم قسطنطين الأكبر ، الذي إنتقل إلى بيزنطة ، وبنى عليها سور ، وسماها بالقسطنطينية ، وكانت تسمى قبل ذلك بطوانة٠ الحموي : معجم البلدان ٤/ ٣٤٧؛ الحميري : الروض المعطار /٤٨١ ٠

٢- بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عوف بن عبد مناف ، يكنى أبو العباس ، ولد في المدينة سنة ٤٥هـ/٦٦٥م وقيل سنة ٥٠هـ/٦٧٠م ، بويع له بالخلافة بعد أبيه بعهد منه في شوال سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، شرع في بناء جامع دمشق، وتوسيع المسجد النبوي وبنائه، وفيها فتحت بيكند، وبخارى، وسردانية، ومطمورة، وغيرها , توفي وعمره ٤٦سنة ، في سنة ٩٦هـ/٧١٤م ٠ابن عساكر : تاريخ دمشق ٦٣/ ١٦٤ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء /١٦٨ ٠

٣- ابن خلدون : تاريخ ٤/ ١١٨؛ عنان : دولة الأسلام في الأندلس ١/ ٥٤ ٠

٤- عنان : دولة الأسلام في الأندلس ١/ ٥٤ ٠

٥- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥٦/٣ ٠

تلك المناطق معقلاً للقوط الهاربين الى بلاد غالة (١) ، لذلك حرص المسلمون على تأمين تلك المناطق حفاظاً على الأندلس وحدودها (٢) , والأمثلة على ذلك كثيرة ، ففي ولاية عبد العزيز بن موسى سنة ٩٥هـ/٧١٣م ، تمركز القوط المقاومين في كورة تدمير(٣) وأصبحت عاصمتها أوريولة(٤) معقلاً لهم (٥) , وسبب إختيارهم لهذهِ المدينة من دون غيرها ، كونها مدينة حصينة واقعة على قمة جبل(٦)٠

كما توغل الوالي عنبسة بن سحيم (١٠٣ هـ /٧٢١م- ١٠٧هـ/٧٢٥م)(٧) الى بلاد الغال ، ولم يكن حذراً في إندفاعه في العبور الى تلك الجهة ، حيث قطع عليه الأعداء الطريق أثناء عودتهِ الى الأندلس ، ونصبوا لهُ كمين بين الجبال في الممرات الفاصلة بين بلاد الغال

١- عرفت بلاد غالة في المصادر الإسلامية بعدة تسميات منها ، الإفرنجة ، وفرنجة ، وبلاد فرنسية أو إفرنسه من الأرض الكبيرة ، أي أرض الروم التي هي بلاد إفرنجة العظمى٠ينظر : ابن عبد الحكم فتوح مصر وأخبارها / ٣٦٣؛ البلاذري : فتوح البلدان ١/ ٢٧٣؛ ابن حوقل صورة الارض / ١٠٥؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ١/ ٢٢٠-٧٣٤؛ المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب / ٢٩ ٠

٢- السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس/ ٤٥ ٠

٣- من كور الأندلس تتصل بأحواز كورة جيّان، وهي شرقي قرطبة، ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ، بينها وبين قرطبة سبعة أيام ، وسميت على إسم ملكها تدمير ، وقد دخلها المسلمون صلحاً في عهد عبد العزيز بن موسى ، وفرض على أهلها الجزية٠ الحموي : معجم البلدان ٢/١٩؛ الحميري : الروض المعطار/١٣١ ٠

٤- من المدن القديمة الواقعة في كورة تدمير ، بينها وبين قرطاجنة خمسة عشر ميل ، وهي إحدى المواضع التي صالح عليها تدمير بن غندوس المسلمين٠الحميري : الروض المعطار / ٦٧ ٠

٥- مصطفى : الأندلس في التاريخ /٢٤ ٠

٦- الحميري : الروض المعطار / ٦٧ ٠

٧- عامل الأندلس في أيام هشام بن عبد الملك ، وليها سنة ١٠٣ هـ /٧٢١م، وأوغل في غزو الفرنج ، فإفتتح قرقشونة صلحاً بعد أن حاصرها مدة ، وأوغل في بلاد فرنسا فعبر نهر الرون إلى الشرق ، ومدة ولايته أربع سنين وثمانية أشهر ، وإستشهد سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م٠ابن عذاري : البيان المغرب ٢/٢٧ ٠

والأندلس ، مما أدى الى إستشهادهِ سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م (١)٠

وتكرر نفس المشهد في معركة بلاط الشهداء(٢) , فقد توغل القائد عبد الرحمن الغافقي(٣) كثيراً في بلاد العدو ، ، حيث إخترق بجيشهِ جبال البرت في أوائل سنة ١١٤هـ/٧٣٢م ، عبر ممرات رونشفالة ، أي أنهُ لم يسلك الطرق المألوفة والسهلة عبر الساحل , وانما سلك الطرق الوعرة في وسط الجبال , وبذلك انقطعت عنهُ الإمدادات ، وهزم في هذهِ المعركة(٤)٠

وعندما تولى عبد الملك بن قطن(٥) ولاية الأندلس سنة ١١٤هـ/٧٣٢م ، إتجه الى المناطق الشمالية ، للقضاء على المتمردين وأثناء عبورة وتوغلهِ في جبال البرت ، هاجمتهُ

١- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥/ ١٣٦؛ ابن خلدون : تاريخ ٤/ ١١٨؛ الغنيمي: معركة بلاط الشهداء / ٤٧ ٠

٢- وهي المعركة التي دارت بين المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي ، وبين الفرنجة بقيادة شارل مارتل ، سنة ١١٤هـ/٧٣٢م، على مقربة من السهل الواقع بين مدينتي تور وبواتيه، وقيل إنها إستمرت ثمانية أو عشرة أيام ، وإنتهت بهزيمة المسلمين وإستشهاد الغافقي٠ الغنيمي : معركة بلاط الشهداء / ٦٤

٣- وقيل العكي , وهو من التابعين تولى الأندلس مرتين ، الأولى كانت بعد سنة ١٠٢هـ/ ٧٢١م ، والثانية في سنة ١١٢هـ/ ٧٣٠م ، وأستشهد في معركة بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م ٠ينظر : الحميدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس /٢٧٤؛ الضبي : بغية الملتمس ٢/ ٤٧٥ ؛ إبن عذاري : البيان المغرب ٢/ ٢٦-٢٨؛ المقري : نفح الطيب ١/ ٢٣٦ ٠

٤- طه: الفتح والإستقرار / ٣٠٢-٣٠٤ ؛ العسلي : فن الحرب٢/٣٣٠؛ مؤنس : فجر الأندلس /٣٢٢ ٠

٥- بن عصمة بن انيس بن عبد الله بن جحوان بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان ، ويلقب بمحارب فهر ، كانت له ولايتان على الأندلس ، الأولى بعد إستشهاد عبد الرحمن الغافقي سنة١١٤هـ/ ٧٣٢م، وإختلف في مدتها ، فقيل ستة أشهر وقيل سنتان ، أما ولايته الثانية ، فإختلف في تحديدها فقيل سنة ١٢١هـ/٧٣٨م أو ١٢٢هـ/٧٣٩م الى سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م٠ الحميدي : جذوة المقتبس / ٢٨٧ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ٢٨-٣٠ ٠

قبائل البشكنس التي إمتازت بكونها قبائل جبلية متمرسة بفنون القتال في هذهِ المناطق ، مما أدى الى هزيمة المسلمين وعودتهم الى قرطبة(١)٠

١ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب / ٨٠؛ المزروعي : جهاد المسلمين خلف جبال البرت/ ١٤٧ ، وعن غزوة البشكنس ، ينظر : المقري : نفح الطيب ١/٢٣٦ ؛ العلياوي : البشكنس /٧٢ ٠

المبحث الثاني : السهول

هي مناطق ذات سطوح مستوية أو إنحدرات خفيفة منخفضة ، وهي على أنواع مختلفة ، فبعضها أقرب مايكون الى الإستواء الذي لاتتخللهُ أي مرتفعات ، والآخر يشبه في ملامحهِ التلال، وبعضها يحتوي على مستنقعات دائمة أو مؤقته ، كما أن بعضها يكون منسوب إرتفاعهِ مقارباً لمستوى سطح البحر ، وبعضها مرتفعا" بشكل قليل ، ومهما يكن من إختلاف في أنواعها ، فإن من أهم خصائصها هو كونها تشكل أعلى نسبة من المساحة على مستوى المعمورة ، فهي أكثر مظاهر سطح الأرض إجتذاباً لسكن الإنسان وإستقرارهِ منذ أقدم العصور(١)٠

وكان لها دور بارز في الفتوحات الإسلامية، فهي أكثر إيجابية للمهاجم ، إذ تتيح لهُ فرصة مراقبة العدو وإتساع مدى الرؤيا لصد أي هجوم مباغت، وهذا ما حدث في معركة سبيطلة سنة ٢٨هـ/٦٤٨م(٢)٠

فمن أسباب هزيمة الروم أمام المسلمين في هذهِ المعركة ، هو تعسكر المسلمين بقيادة

---

١ - إسماعيل: الجغرافيا العامة/ ٥٤-٥٥ ؛ أبو حجر: المعجم الجغرافي / ٤٢٥ ٠

٢ - وهي مدينة قمودة ، على سبعين ميل من القيروان ، وبمسافة يومين منها ، وهي بلد واسع فيه مدن وحصون ، وكانت مدينة جرجير ملك الروم٠الحميري: الروض المعطار / ٣٠٢ ، وبالقرب منها دارت معركة بين المسلمين والروم ، في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وبقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقد إنتصر المسلمون فيها إنتصاراً ساحقاً٠للمزيد ينظر: ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٤٦؛ اليعقوبي: تاريخ ٢/ ١٦٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٨٨ ٠

عبد الله بن سعد بن أبي سرح(١) في مدينة قمونية(٢) في سهل تونس ، إذ ساعد هذا السهل على إراحة جيش المسلمين ، وإعادة ترتيب صفوفهِ إستعداداً للمعركة ، مقابل ذلك عسكر جيش الروم في سهل عقوبة (٣) على أميال من سبيطلة وهم بهذا التعسكر فتحوا المجال للمسلمين لإرسال السرايا الإستكشافية ونصب الكمائن ، إذ كان بإستطاعة القائد جريجوريوس(٤) أن يعسكر عند قابس ويسد على المسلمين الطريق الضيق الذي يؤدي من طرابلس إلى إفريقية، وهو أشبه بعنق الزجاجة كما يقول العسكريون ، لكنهُ أخطأ في إختيار المكان المناسب ، فالمسلمون أكثر معرفةً بهذهِ المناطق من غيرهم (٥).

ويعد إنتصار المسلمين في هذهِ المعركة من الإنتصارات الباهرة ، حيث فتفتحت أمامهم جزء فسيح من السهل ، ممتد من جهة الشمال من سبيطلة الى سوسة ، ومن جهة الشرق

---

١ - بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري يكنى أبا يحيى ، أسلم قبل الفتح ثم إرتد ، وكان عثمان أخاه من الرضاعة ، ورجع للإسلام في العصر الراشدي ، ولاه عثمان بعد ذلك مصر ، توفى بعسقلان سنة ست أو ٣٧هـ/ ٦٥٧م.ابن عبد البر : الإستيعاب ٣/ ٩١٨ .

٢ - بالفتح ، وبعد الواو نون ثم ياء خفيفة، مدينة بإفريقية كانت موضع القيروان قبل أن تمصر القيروان ، وقيل إن قمونية هي المدينة المعروفة بسوس المغرب .الحموي: معجم البلدان ٤/ ٣٩٩ .

٣ - سالم: تاريخ المغرب في العصر الاسلامي /٨٥ .

٤ - حاكم المغرب الأرمني "ويسميه العرب جرجير أو جرجيس، وانفصل عن الإمبراطورية البيزنطية، واستقل بحكم بلاد المغرب كلها "سنة ٢٦هـ/٦٤٦م، وكان سلطانه ما بين طرابلس إلى طنجة. ينظر : البلاذري: فتوح البلدان ١/ ٢٧٠؛ اليعقوبي : تاريخ ٢/ ١٦٥؛ الطبري: تاريخ ٣/ ٣١٤ .

٥ - مؤنس : فتح المغرب /٨٦؛ ابو عبية : موجز عن الفتوحات الاسلامية/٥٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ المغرب العربي / ٥٧ .

من سبيطلة الى قفصة ، ومن جهة الجنوب شريط ساحلي ضيق فيما بين قابس وشط الجريد(١)٠

ويبدو واضحاً دور السهل في حسم المعركة لصالح المسلمين ، فكما ذكرنا سابقاً أنهم أكثر معرفة ومراساً بالقتال في هذهِ المناطق من غيرهم ، لذلك إستغلوا هذا العامل الطبيعي لإلتقاط الأنفاس وترتيب الجيش ، بعد المناوشات بين الطرفين والتي دامت أياماً من الصباح الى المساء ، فعمدوا على مباغتة الروم في مواقعهم التي لايجيدون القتال بها وهو سهل عقوبة٠

فالمسلمون يدركون أهمية السهول والتمركز بها، نظراً لما تحويهِ من مراعي ، وهذا ما أشار إليهِ إبن خلدون (٢) وجعلهُ ضرورة في إختيار موضع المدن ، فقال: " إعلم أن المدن قرار يتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه ٠٠٠ وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها٠٠٠ وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ثرة فإن وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية فيكون لهم في وجودهِ مرفقة عظيمة عامة ، ومما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعي لسائمتهم ، إذ صاحب كل قرار لابد له من دوجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولا بد لها من المرعى٠٠"٠

وهذا ما حصل أيضاً عندما عزم المسلمون على بناء مدينة القيروان سنة ٥٠هـ/٦٧٠م ، إذ حرص عقبة بن نافع على إختيار المكان المناسب الذي يلائم ما إعتاد عليه العرب

١- سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي/ ١٧٤؛ السامرائي وآخرون : تاريخ المغرب العربي /٥٨ ٠

٢- تاريخ: ١/ ٣٤٧-٣٤٨ ٠

المسلمون ، كالسهول الفسيحة القريبة من السباخ(١) الصالحة لرعي الأبل ، والتي تكون ملاذهم الآمن في حالة تقهقرهم أو تعرضهم للأخطار الخارجية(٢) ويتضح ذلك من خلال مشورتِه وقولِه : " قربوها من السبخة، فإن دوابكم الإبل٠٠وتكون إبلنا على باب قصرنا في مراعيها آمنة من عادية البربر والنصارى"(٣)٠

وعندما خرج أبو المهاجر دينار(٤) سنة ٥٥هـ/٦٧٤م ، من مصر قاصداً إفريقية نزل بسبخة، وبنى بها ، ومنها حارب أهل قرطاجنة(٥)٠

وفي سنة ٨٠هـ /٦٩٩م ، عمِد حسان بن النعمان على إختيار المكان المناسب لبناء مدينة تونس ، فوقع الإختيار على مدينة ترشيش(٦) حيث كانت تحيط بها السهول ، وتشرف على سبخة تجعلها في مأمن من غزوات الروم (٧)٠

١- السبخة بالفتح واحدة، جمعها سباخ ، وهي أرض مالحة يعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الأشجار ، يقال سبخت الأرض من باب تعب فهي سبخة بكسر الباء ، وإسكانها تخفيف ، ويجمع المكسور على سبخات مثل كلمة وكلمات ٠الجوهري: الصحاح ١/ ٤٢٢؛ الطريحي : مجمع البحرين٢/٣٢٤(مادة سبخ) ٠

٢- ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا/١٤٤؛ الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ٩/١ ٠

٣- ابن عذاري : البيان المغرب١/١٩؛ المالكي : رياض النفوس ١١/١ ٠

٤- بن عبد الله النهوذي، ولاهُ مسلمة بن مخلد ولاية المغرب بعد عزل عقبة ، ٥٥هـ/ ٦٧٤م ، وهو من دهاة السياسة، وهو أول من أقام في إفريقية وإتخذها منزلاً ، وإتسمت سياستهِ مع البربر بالتسامح ، لترسيخ المفاهيم الإسلامية ، وقتل سنة ٦٣هـ/٦٨٢م مع عقبة٠ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب / ٢٦٦؛ ابن الاثير: اللباب في تهذيب الانساب ٣/ ٣٣٨؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١/ ٢٣ ٠

٥- المالكي : رياض النفوس ٣١/١ ٠

٦- بالفتح هو إسم مدينة تونس التي بإفريقية ، وأطلق على بحرها ومرساها إسم رادس ، وبينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، وتبعد عن قرطاجنة عشرة أميال٠الحموي : معجم البلدان ٢/٢٢؛ الحميري: الروض المعطار /١٤٣ ٠

٧- مطلوب : حسان بن النعمان ودوره في تحرير المغرب العربي/ ٢٧١؛ العسلي : فن الحرب ٢/١٨٦ ٠

والواقع أن القادة المسلمين أحسنوا في إختيارهم للمواقع السهلية ، فكان تنظيم الفتح يستدعي إقامة المدن في السهول التي تتوسط الساحل والهضبة ، فهي مواقع حربية مهمة ، تّمكن المسلمون من خلالها رصد تحركات العدو من مكان بعيد ، والتحرز من الغارات المفاجئة التي يشنها البربر ، فضلاً عن ذلك أن السهول فتحت الطريق أمام المسلمين لملاحقة فلول العدو الى هضابهم في حالة الفرار(١)٠

أما في بلاد الأندلس فقد حرص القادة المسلمون أثناء فتحها على سلامة وحماية الجيش من أي أخطار تحاول النيل منهم ، فكان عليهم تأمين وصول هذهِ القوة العسكرية الى مناطق القتال سالمة مستعدة للمواجهة ، لذلك إستغلوا بعض العوامل الجغرافية لصالحهم ، ومنها السهول ، ويتضح ذلك من خلال جواب موسى بن نصير ، عندما سُئل عن مكان تعسكرِهِ ، قال " كنت أنزل السهل٠٠" (٢)٠

فقد أدرك المسلمون أهمية المناطق السهلية ، لذلكإتخذها طارق بن زياد طريقاً لهُ أثناء تحركهِ من جزيرة طريف متجهاً شمالاً لملاقات لذريق ، كونها من الطرق المتسعة والحصينة ، وتتخللها المستنقعات , فهي تقع بين بحيرة الخندق (لاخاندا) و جبل سييرا دل رتين (٣)٠

ومن الأساليب التعبوية التي إستعملها قادة الفتح أثناء مسيرهم لملاقات العدو هو التعسكر في الأماكن المناسبة ، من أجل إراحة الجيش ، وإعادة ترتيب صفوفهِ والتهيأ للقتال ، وهو ما يطلق عليه في الوقت الحاضر إسم (مكان التشكيل أو منطقة الإجتماع)(٤)٠

وهذا ما طبقهُ طارق بن زياد في معركة وادي لكة سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م ، إذ إتخذ من

١- مؤنس : فتح العرب للمغرب / ١٤٣ ٠

٢- ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/١١٥ ٠

٣- مؤنس : فجر الأندلس / ١٣٢؛ العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس/ ٣١ ٠

٤- عبد الرؤوف : الهندسة العسكرية / ١٤٩ ٠

السهول مكاناً لهذا التعسكر(١) وكان هذا الإختيار موفقاً ، فالسهل كان يقع في كورة شذونة(٢) القريبة من وادي لكة التي وقعت بها المعركة ، وفي نفس الوقت إضطر العدو لقطع مسافة طويلة من بنبلونة (٣) في الشمال الشرقي حتى وصل الى أرض المعركة(٤)٠

والجدير بالذكر أن من الأسباب التي جعلت موسى بن نصير وطارق بن زياد ، أن يتوغلا الى الشمال الشرقي نحو سرقسطة ، هو للإستفادة من سهول نهر رودنة (٥) وقيل إن موسى بن نصير أوغل في أرض الفرنجة حتى إنتهى إلى مفازة كبيرة وأرض سهلة ذات آثار(٦)٠

وقد سار الولاة على نفس الطريقة التي سار عليها قادة الفتح في بلاد الأندلس , عندما توغلوا في الأراضي الواقعة ماوراء جبال البرت , حيث كانوا في معاركهم يحاولون السيطرة على الأراضي السهلية والمناطق المنبسطة ، ويتضح ذلك من خلال قول المقري " وأجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة(٧) , من دروب الجزيرة , حتى إحتلوا البسائط وراءها ،

---

١ - أبو عيبة : موجز عن الفتوحات الإسلامية ٩٩/١ ٠

٢ - مدينة في الأندلس متصلة بكورة مورور ، وهي ذات خيرات برية وبحرية٠الحموي: معجم البلدان ٣٢٩/٣ ؛ الحميري : الروض المعطار / ٣٣٩ ٠

٣ - مدينة في الأندلس ، بينها وبين سرقسطة مائة وخمس وعشرون ميلاً ، واقعة بين جبال عالية ، قليلة الخيرات ٠ الحميري : الروض المعطار /١٠٤ ٠

٤ - مؤنس : موسوعة تاريخ الاندلس ١٦٦/١ ٠

٥ - المقري: نفح الطيب ٢٧٣/١؛ أصل التسمية باللاتيني (رودانوس) ، وأطلق عليه العرب (ردونه) ، وهو نهر يخرج من سويسره ويصب في بحيرة ليان ، ثم يخرج منها عند جنيف ، ويدخل أرض فرنسة ، ويصب في البحر المتوسط٠أرسلان : تاريخ غزوات العرب /٥٣ ٠

٦ - المقري: نفح الطيب ٢٧٧/١ ٠

٧- مدينة رومية ، بينها وبين طركونة خمسون ميلاً ، واقعة على البحر ولها مرسى٠الحميري : الروض المعطار / ٨٦ ٠

وتوغّلوا في بلاد الفرنجة ، وعصفت ريح الإسلام بأمم الكفر من كل جهة" (١)٠

أما في معركة بلاط الشهداء ١١٤هـ/ ٧٣٢م ، فقد سارع القائد الإفرنجي شارل مارتل(٢) للتعسكر في سهل تور(٣) قبل وصول المسلمين إليه ، وكان لهذا السهل دوّر كبير في إنتصارهم ، فقد ضمن لهم وصول الإمدادات العسكرية ، وإستراحة الجيش وإعادة ترتيب صفوفهِ(٤) ووضع الخطط الكفيلة للإنتصار ، والتي تقتضي الإلتفاف على الجيش الإسلامي ومهاجمتهِ من الخلف(٥)٠

مقابل ذلك عسكر القائد عبد الرحمن الغافقي في مدينة بنبلونة (٦) والتي يصفها الحميري(٧) بأنها قليلة الخيرات , فكان عليه إستغلال السهول المحيطة بأرض المعركة كما فعل القائد طارق بن زياد في معركة وادي لكة وتحويلها لصالحهِ ، خصوصاً وأن جيش المسلمين كان بحاجة الى الإستراحة الكافية في مثل هذهِ المناطق بعد طول المسافة التي

١- نفح الطيب ١/٢٣٤ ٠

٢- ويلقب بالمطرقة ، وهو أحد قادة الإفرنج الذي تسلم السلطة في عام ٩٥هـ/ ٧١٣م ، والذي إستطاع القيام بعدة حملات من أجل حماية الدولة الإفرنجية من ناحية الشرق ٠عاشور : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى /١٤٨ ٠

٣- تقع على نهر اللوار ، على بعد ٣٧ كم جنوب باريس ، وتعتبر مركزاً تجارياً هاماً ، وأشبه بالعاصمة الدينية لسكان بلاد الغال ، كونها مرقد القديس مارتينوس ، الذي تنسب إليه تقاليد تنصير الغاليين٠ المزروع : جهاد المسلمين خلف جبال البرت /٣٣٦ ؛ حتي: العرب تاريخ موجز / ٩٨ ٠

٤- العسلي: فن الحرب ٢/٣٣١-٣٣٢ ٠

٥- المقري : نفح الطيب ١/ ٢٣٦؛ طه: الفتح والإستقرار / ٣٤٥- ٣٤٧ ٠

٦- العسلي: فن الحرب ٢/ ٣٣٠؛ المزروع : جهاد المسلمين خلف جبال البرت /١٠٨؛ مؤنس: فجر الأندلس/٣٢٢ ٠

٧- الروض المعطار / ١٠٤ ٠

قطعوها والتي أرهقتهم وأرهقت خيولهم (١) , فمن الأولويات عند لقاء العدو " أن يختار القائد المنازل ليعلم إذا سار أين ينزل ، ولئلاّ يبقى حائراً ٠٠٠ فربما نزل بأرض قليلة المياه والعلف فيهلك ٠٠٠ ولينزل على الأراضي السهلية " (٢)٠

فضلاً عن ذلك أن هذا التعسكر صّعب على المسلمين وصول الإمدادات إليهم ، فقد أصبحوا على بعد ١٣٠٠كم عن العاصمة قرطبة (٣) فمن الضروريات الحربية أن يعسكر الجيش في المناطق التي تكون قريبة من أرض المعركة ، وهذا ما ذكرهُ الهرثمي (٤) بقولهِ " ضع عسكرك على تقدير من طرقِه ومواضع أهلهِ٠٠ ليعرف كل صنف من الناس منازلهم ومراكزهم في كل نزولهم ومسيرهم ، حتى لو ضلت دابة مكانها رجعت إليه هادية ومعرفة به "٠

---

١ - الغنيمي : معركة بلاط الشهداء /٦٦ ٠

٢ - الهروي: التذكرة الهروية في الحيل الحربية / ١٧ ٠

٣ - مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس / ٢٩٦؛ الغنيمي : معركة بلاط الشهداء/ ٦٥ ٠

٤ - مختصر سياسة الحروب / ٣١ ٠

المبحث الثالث : الأودية

هي حوض أو منخفض طبيعي على سطح الأرض ، يمتد بين السهول والهضاب والجبال، وتسيل الأنهار والسيول التي تتدفق في الأودية تدريجياً من الأراضي الداخلية إلى البحر، وتمتاز أراضيه بخصوبتها، وتنحدر معظمها في إتجاه مجرى النهر(١)٠

وللأودية تأثيٌر كبير على الحركات العسكرية ، وينعكس هذا التأثير بطبيعة أرض الوادي وما يحتويهِ من أشجار وأعشاب(٢) , فمن المعروف أن هنالك أسباباً جعلت عقبة بن نافع يختط مدينة القيروان ، ومن أهم هذهِ الأسباب هو العامل الجغرافي ، الذي يتمثل بجانبين هما موقع القيروان وموضعها ، إذ يوجد فرق بين هذين المصطلحين(٣)٠

والذي يهمنا هنا هو موضعها ودورهُ في الفتوحات الإسلامية ، فذكر ابن عبد الحكم(٤) " أن عقبة ركب والناس معهُ حتى أتى موضع القيروان اليوم وكان وادياً كثير القطف ، تأوى إليهِ الوحوش والسباع والهوام٠٠" ٠

١- ابو حجر : المعجم الجغرافي / ٩١٣ ٠

٢- الدوري: أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي/ ٣٥ ٠

٣- الموقع يعني جميع الإرتباطات الإقتصادية والإجتماعية والحضارية بين المدينة والمناطق المحيطة بها أو إقليمها ، وبعبارة أخرى يشمل الموقع جميع الإرتباطات المكانية بين المدينة والمناطق الأخرى٠أما الموضع فهو بقعة الأرض التي تقوم عليها المدينة المختارة مباشرةً ، ومدى تأثير الملامح الطبيعية كالمناخ والتربة لتلك البقعة على نمو وإزدهار المدينة على مر العصور، وبمعنى آخر هو العنصر الطبيعي الذي تحددهُ البقعة التي نهضتفوقهُ المدينة ، والذي يكون لها عوناً لكي تبقى على طول الدهر نامية ومزدهرة٠الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية/ ٢٠٠-٢٠١ ٠

٤- فتوح مصر والمغرب / ٢٦٤ ٠

وهنا يتبادر سؤال ، هل حقاً أنها وادياً لايسلك(١) ودخلة مشتبكة ، بها أنواع الحيوان ، من السباع والحيات٠٠؟(٢)٠

فإن كانت بهذا الوصف ، فلما إتخذها عقبة موقعاً للتعسكر ؟ مع علمهِ بأن المسلمين لايرغبون بهِ كموضع ، ويتضح ذلك من خلال جوابهم " إنك أمرتنا بالبناء فى شعارى وغياض لا تسلك ولا ترام، ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك من خشاش الأرض٠٠٠"(٣)٠

وأشار المالكي(٤) الى موضع القيروان قبل الفتح الإسلامي ، قائلاً " أنهُ حصن لطيف للروم٠٠٠" ، ولعل هذا الوادي أدركهُ الخراب في مطلع القرن السابع الميلادي فهُجر ، وسكنتهُ الذئاب والضباع ، فلما أقبل عقبة وقع إختياره على هذا الحصن ، والذي يعزز هذا الرأي هو ما ذهب إليهِ البكري(٥) في وصفهِ لمدينة قمونية التي أقيمت عليها مدينة القيروان ،" بأنها مدينة كثيرة العمران والحصون والزروع " ٠

من هنا أدرك عقبة أهمية هذا الوادي ، كمخزن للسلاح ، ومعسكراً آمن للجيش الإسلامي ، فأقام حولهُ سور(٦) وأمر بإقتطاع ما بهِ من أشجار(٧) حتى يتمكن من مشاهدة العدو من بعيد ، وملاحقتهم في حالة الفرار الى الهضاب (٨)٠

---

١ - النويري: نهاية الأرب ٢٤/ ٢٢ ٠

٢ - إبن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٤٦٥ ٠

٣ - النويري: نهاية الأرب ٢٤/ ٢٢ ٠

٤ - رياض النفوس ١/ ٣٢ ٠

٥ - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ٧٥ ٠

٦ - مؤنس : فتح العرب للمغرب / ١٤٥ ٠

٧ - المالكي: رياض النفوس ١/ ١٢ ٠

٨ - مؤنس : فتح العرب للمغرب / ١٤٣ ٠

وأثناء خروجهِ لمقاتلة الروم نزل في وادي بينهُ وبين الزاب ثلاثة أميال ، سمي بوادي سهر(١) وجرت بينهما معركة شديدة وقاسية على المسلمين لكنها إنتهت لصالحهم ، وهزم الروم ، وذهب عزهم من الزاب وذلوا الى آخر الدهر(٢)٠

ولم يغفل القادة الذين جاؤا بعد عقبة عن أهمية القيروان كقاعدة عسكرية ، فقد إتخذها حسان بن النعمان مركزاً لعملياتهِ العسكرية ، وطبق خطة تقوم على مهاجمة البربر بقيادة الكاهنة والروم منفردين ، وهو بهذا الإسلوب التكتيكي ضمن القضاء على الطرفين الواحد تلو الأخر(٣)٠

وبالفعل إنطلق الجيش الإسلامي من القيروان لتنفيذ مهمتهِ وملاقاة البربر(٤) حتى وصل الى تبسة (٥) ونظراً لأهمية الوديان في سير المعارك ، فقد تسابق كلاً من المسلمين والبربر

١- هو نهر سهر الذي ينبع من مدينة الغدير، وتقع على هذا الوادي مدينة المسيلة من بلاد الزاب٠ ؛ مؤلف مجهول : الإستبصار / ١٦٧؛ الحميري: الروض المعطار / ٥٥٨ ، وقيل هو وادي المسيلة٠ ابن عذاري :البيان المغرب ١/ ٢٤ ٠

٢- المالكي : رياض النفوس ١/ ٣٦؛ الدباغ: معالم الإيمان / ٤٩ ٠

٣- بن قربة : تاريخ الجزائر في العصر الوسيط /٣٧ ٠

٤- إختلف المؤرخون في تحديد تاريخ حملة حسان بن النعمان، فقيل أنها بدأت في ٧٣هـ/٦٩٢م وإنتهت في ٧٦هـ/٦٩٥م أو ٧٨هـ/٦٩٧م، وقيل بدأت سنة ٧٤هـ/٦٩٣م ، أو ٧٨هـ/٦٩٧م ، والسبب في هذا الإختلاف أن حسان قام بحملتين لاحملة واحدة ، في الاولى فتح قرطاجنة وتوجه الى الكاهنة ، وفي الثانية نحو الكاهنة ثم الى قرطاجنة ، فإختلط الأمر على المؤرخين في تحديد وقتها٠مؤنس : فتح العرب للمغرب/ ٢٣٥ .

٥- بلد مشهورة من أرض إفريقية ، بينها وبين قفصة ست مراحل في قفر سبيبة ٠الحموي: معجم البلدان ٢/ ١٣ ٠

بالنزول في وادي نيني(١) قبل الآخر ، وإستطاع حسان النزول في أعلى الوادي مسيطراً على روافدهِ ، في حين نزلت الكاهنة في أسفلهِ(٢).

وعلى الرغم من أن حسان قد إختار الموضع المناسب لتعسكر جيشه في أعلى الوادي وسيطرتِه على روافدِه ، إلا أن القتال حُسم لصالح الكاهنة ، وقتل وأسر أعداد كبيرة من المسلمين وإنسحب الباقون من المعركة، حتى سمي هذا الوادي بوادي العذارى أو وادي البلاء(٣).

وهنالك عدة أسباب لهزيمة المسلمين في هذهِ المعركة(٤) , منها مايتعلق بالعامل الجغرافي فقد ترك حسان موقعهِ في أعلى الوادي وبدأ بالزحف الى العدو ، حتى عظم البلاء وظن الناس أنهُ الفناء(٥) ، فمن ضروريات المعركة هو المحافظة على المواقع الجيدة التي

١- وداي شهير في طرف إفريقية ، ويسميهِ الرقيق القيرواني وابن خلدون(وادي مسكيانة) وابن عذاري (وادي سكتاته) .ينظر تاريخ إفريقية والمغرب/ ٢٤؛ البيان المغرب ١/ ٣٦؛ تاريخ ابن خلدون ٦/ ١٠٩ .

٢- الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب/ ٢٤؛ إبن عذاري : البيان المغرب ١/ ٣٦؛ مؤنس: فتح العرب للمغرب/ ٢٤٧ .

٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٧٠؛ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب/ ٢٥؛ إبن عذاري : البيان المغرب ١/ ٣٦ .

٤- منها عدم التوافق بين جيش الكاهنة وجيش المسلمين من ناحية العدد ، ويتضح ذلك من خلال سؤال حسان ، يستوضح فيه عن أخبار الكاهنة ، قيل له : " إنها أقبلت في عدد لايحصى" ، والسبب الثاني أن البربر يجيدون القتال في هذهِ الميادين ، فقد إكتسبوا الخبرة من معاركهم مع البيزنطيين ، و إستخفاف المسلمين بقيادة وقوة الكاهنة كونها إمرأة ، فقد وقعوا بنفس الخطأ الذي وقع بهِ المسلمين من قبل في معركة حُنين، فقد أعجبتهم كثرتهم ولم تغني عنهم شيئاً. المالكي : رياض النفوس ١/٥٠ ؛ مؤنس : فتح العرب للمغرب/ ٢٤٨ ؛ خطاب: قادة فتح المغرب العربي ١/ ١٨٥ .

٥- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب / ٢٤ .

تتوفر بها المياه لقطع الإمدادت على العدو وتفويت الفرصة عليهم ، وهذا ما أكد عليهِ الهرثمي في أكثر من موضع(١)٠

ولاشك أن للأودية دور كبير في سير معارك الفتح في بلاد الأندلس ، لذا إرتأينا هنا أن نسلط الضوء على أهم المعارك ، وبيان مدى تأثير هذا العامل فيها سلباً أو إيجاباً٠

ذكرنا فيما سبق معركة وادي لكة ٩٢هـ/ ٧١٠م ، وكيف وظف طارق بن زياد العوامل الجغرافية لصالحهِ ، فجعل ميمنة الجيش على جهة الجبال جنوباً ، ولم تقتصر خطة هذا القائد على هذا العامل فقط ، وإنما قام بنشر قوة عسكرية بقيادة طريف بن مالك في مدخل هذا الوادي ، وبذلك حمى ظهر الجيش من أي محاولة إلتفاف ، وإستدرج القوات المعادية الى الجهة الأمامية لمدخل هذا الوادي (٢)٠

يتضح مما تقدم أن طارق بن زياد كان يدرك أهمية هذا الوادي وخطورتهِ في حالة سيطرت العدو عليهِ ، والدليل على هذا الإدراك أن الفرقة العسكرية التي نشرها في مدخل الوادي والتي كانت بقيادة طريف ، هي فرقة مساعدة أرسلها موسى بن نصير بطلب من طارق (٣)٠

إذاً كان طارق بحاجة الى قوات إضافية في هذهِ المعركة ، فلو لم يكن الوادي ذات أهمية إستيراتيجية في المعركة ، لما جازف طارق بنشرها في هذا المكان ، ولوضعها في مكان آخر أكثر خطورة٠

١- ينظر : مختصر سياسة الحروب / ٢٥-٣١-٤٢-٤٤-٤٥ ٠

٢- السرجاني : قصة الأندلس ١/ ٥١ ٠

٣- يروى أنّ طارق، كُتب إلى موسى يستمدهُ ويخبرهُ أن قد فتح الله الجزيرة وإستولوا عليها وعلى البحيرة، وأنه قد زحف إلى ملك الأندلس بما لا طاقة له به ٠٠ فحمل إليه خمسة آلاف، فتوافى المسلمون بالأندلس عند طارق اثنا عشر ألفاً " ٠المقري : نفح الطيب ١/ ٢٣٢ ٠

لم يكن عامل الجبال وحده ُ عائقاً أمام موسى بن نصير في فتح مدينة جليقية ، بل كانت الوديان عامل آخر أثر سلباً على فتح هذهِ المدينة ، فهي محاطة بوديان سحيقة ، ساعدت على تجمع الفارين من القوط فيها(١)٠

ونقل المقري عن ابن حيان رواية مفادها ، أن موسى بن نصير وطارق بن زياد ، توغلا في فتح بلاد الإفرنج ، حتى وصلا الى أربونة ، وبذلك بعدوا عن الساحل الذي دخلوا منه ، فالمسافة بين قرطبة وأربونة حوالي ثلاثمائة وخمسة وثلاثون فرسخاً(٢) وقيل ثلاثمائة وخمسون فرسخاً ، وهذا ما أثار إنزعاج ملك الإفرنج بالأرض الكبيرة ، فحشد لهم جيش كبير ، إستطاع من خلالهِ إسترجاع ما فتحهُ المسلمون ، وعندما وصل الى أربونة عسكر المسلمين خارج أسوارها ، وجرى بينهم قتال شديد ، إضطر المسلمون على أثرهِ الإنسحاب داخل المدينة والتحصن في أسوارها ، فلم يتمكن الملك الإفرنجي من إقتحامها ، وتركها راجعاً الى بلادهِ ٠٠٠وأثناء عودتهِ قام بتحصين وادي ردونة ، الذي كان سابقاً بيد المسلمين ، وحشد بهِ قواتهِ ، ليكون ثغراً فاصلاً بين بلدهِ الأرض الكبيرة ، وبين بلاد المسلمين(٣)٠

يتضح من هذهِ الرواية ، أن معرفة أهمية الوادي في سير المعارك لم تقتصر على المسلمين ، فالإفرنج كانوا على علم بما يلعبهُ هذا العامل الجغرافي ، لذلك جعلوه ُ معسكراً آمناً لهم ، وهم بهذا الفعل لايختلفون عن الإجراءات التي إتخذها عقبة بن نافع ، فقد إتخذ القيروان معسكراً للجيش وأقام حوله السور٠

١- عنان : دولة الإسلام في الأندلس ١/ ٢١٠ ٠

٢- الفرسخ : وهو المسافة المعلومة من الأرض ، وتساوي ٦كم ٠ هينتس : المكاييل والأوزان الإسلامية / ٩٥ ٠

٣- نفح الطيب : ١/٢٧٣ ٠

وفي بعض الأحيان كانت الوديان عائقاً أمام تقدم الفاتحين ، فعندما توغل عنبسة بن سحيم في بلاد غالة سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م، وفتح مدنها الواحدة تلو الآخرى، وصل الى مدينة سانس ، التي تبعد حوالي ٣٠كم جنوب فرنسة ، وتوقف عندها ولم يكمل الفتح ، ويذكر مؤنس أن أسقف سانس تصدي للمسلمين وأجبرهم على العودة الى قرطبة (١)٠

إلا أن أحد الباحثين يرى أن أسباب توقف فتوحات عنبسة عند هذا المكان تتعلق بالعوامل الطبيعية ، فطبيعة الوديان الوعرة التي تحيط بالمدينة أعاق تحركات المسلمين ، وأصبحت هذهِ الوديان بمثابة حصون منيعة ، أدى بالتالي الى تضيق الجبهة ، فلم يفسح المجال للمقاتلين المسلمين لمهاجمة حصونها ، ولاشك أن بقاء المسلمين في هذهِ الوديان يعرضهم للإبادة إذا تهيأت للعدو فرصة للمهاجمة ، لذلك أدرك عنبسة هذا الخطر ، وفضل العودة(٢)٠

١- مؤنس : فجر الأندلس / ٣٠٧ ؛ ابو عيبة :موجز عن الفتوحات الإسلامية / ١٠٤ ٠

٢- السامرائي : معركة بلاط الشهداء / ٨ ٠

المبحث الرابع: الصحاري

وهي المناطق القاحلة ، بسبب قلة الأمطار ، وتشمل مساحات واسعة من اليابس إذ تبلغ نحو ثلث مساحة سطح الأرض، ولكن ليس معنى هذا أن الصحراء يجب أن تكون خالية خلواً تاماً من الحياة، إذ أن الصحاري التي من هذا النوع قليلة، وأغلب الصحاري توجد بها حياة نباتية وحيوانية، ولكنها فقيرة جداً (١)٠

وللصحاري دورٌ كبير في الفتوحات الإسلامية ، وهذا مانلمسهُ من خلال الرسالة التي بعثها الخليفة عمر بن الخطاب لأحد القادة أثناء فتح بلاد فارس ، جاء فيها " تنح إلى البر وأدع من يليك ، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم حتى يأتيك أمري "(٢)٠

فهي أحد العوامل التي ساعدت على حماية بلاد المغرب من الأخطار الخارجية مدة من الزمن ، إذ بقيت تفصل بين بلاد السودان وبلاد المغرب حتى تنبه العرب المسلمون لهذا الأمر ، وإستغلوها لأغراضهم الحربية والعسكرية(٣) منطلقين من مبدأ " إعطِ ظهرك للصحراء تسلم "(٤)٠

فقد حرص عمرو بن العاص أثناء فتحهِ برقة ، على تأمين المدن الصحراوية ، فأرسل عقبة بن نافع الى زويلة(٥) لحماية ظهرهِ من أي محاولة تعيق تقدم الفاتحين ، وهذا يدل

---

١ - شرف : المقدمات في الجغرافيا الطبيعية/ ٣٧٠ ٠

٢ - الطبري : تاريخ ٣/ ٣ ٠

٣ - حسونه : أثر العوامل الجغرافية / ٥١ ٠

٤ - الدوري : أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي / ٧٥ ٠

٥ - مدينة غير مسورة في وسط الصحراء ، وهي أول حدود السودان القديم٠الحموي : معجم البلدان ٣/ ١٦٠ ٠

على عمق تفكير ابن العاص ، وبعد بصيرتهِ في الحروب (١)٠

وسلك عقبة بن نافع الصحراء قاصداً بلاد المغرب ، على عكس ما سار عليهِ قادة الفتح، وتجنب السير في الطرق الساحلية(٢) المعروفة بـ(الطريق الأعظم)(٣) أو(الجادة)(٤) حتى أطلق عليه أحد الباحثين اسم قائد الجيوش العربية الصحراوية ، لكثرة المعارك التي خاضها في الصحراء(٥)٠

وكان يهدف من وراء ذلك مباغتة الروم والبربر ، وتضيع الفرصة عليهم في مقاومة العرب الفاتحين، فالروم تحسن القتال في المناطق الساحلية ولاتجيد القتال في المناطق الصحراوية ، بخلاف العرب الذين ألفوا الصحراء وإعتادوا عليها(٦) , والمقاومة في الطريق الصحراوي تكاد تكون ضئيلة من قبل قبائل البربر ، على عكس الطريق الساحلي المليء بالحصون والمسالح، كما أن الطريق الصحراوي يساعد على تأخير وصول خبر الحملة الى أهل إفريقية ، عكس الطريق الساحلي الذي يساعد على إيصال الخبر بسرعة (٧)٠

وكان من نتائج هذهِ الإستيراتيجية التي إتبعها عقبة بن نافع بإتخاذهِ طريق الصحراء ،

١- أحمد : المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع /٥٢ ٠

٢- لقبال , المغرب الإسلامي / ٢٩ ٠

٣- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب/ ٢٦٤ ٠

٤- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ١٤ ٠

٥- ينظر : الوزان : وصف إفريقيا ٢/ ٨٧ ٠

٦- خطاب : قادة فتح المغرب العربي ١ /١٠١ ٠

٧- سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي / ١١٢؛ أبو عبية : موجز عن الفتوحات العربية الإسلامية /٦٤ ٠

هي فتح زويلة صلحاً على ثلاث عشرة ألف دينار(١) وقضى على جيوب المقاومة بين برقة والقيروان ، وأصبحت هذهِ المنطقة فيما بعد مركزاً لإستكمال الفتح (٢) وإستطاع أن يكسب إلى جانبهِ قلوب الكثير من أهلها، ومعظمهم من قبائل لواتة(٣) ونفزاوة(٤) ونفوسة(٥)٠

وفي سنة ٤٢هـ/ ٦٦٢م ، إفتتح عقبة مدينة غدامس ، كونها ذات موقع إستيراتيجي لهُ تأثير على سير الفتوحات ، فهي واقعة في قلب الصحراء ، على الحدود الليبية الجزائرية(٦)٠

وقد راعى عقبة أثناء توغلهِ في الصحراء أن يكون الجيش قليل العدد ، كون الصحراء تفتقر الى المياه التي تحتاجها الجيوش الكبيرة (٧)٠

---

١ - الطبري: تاريخ ٣/ ٢٢٧؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٣/٢٠ ٠

٢ - الندوي : أسبوعان في المغرب الأقصى/ ٢٠ ٠

٣ - هي أحد قبائل البربر الكبرى , سكنوا أرض أجدابية من جبال برقة ، وتنتسب إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك بن مادغيس الأبتر، وأصل الإسم هو بني لوا ، والألف والتاء زيادة للجمع لأن البربر إذا أرادوا الجمع زادوا الألف والتاء فصار لوات، فلما عربته العرب حملوه على الأفراد وألحقوا به هاء الجمع. اليعقوبي : تاريخ١/١٩٠ ؛ ابن خلدون تاريخ ٦/ ١١٦ ٠

٤ - هم بنو تطوفت بن نفزا وبن لوا الأكبر بن زحيك وبطونهم كثيرة مثل غساسة ومرنيسة وزهيلة وسومانة وزاتيمة وولهاصة ومجره وورسيف ، وكلها بطون من البربر٠ ابن خلدون: تاريخ ٦/ ١١٤ ٠

٥ - أبو عبية : موجز عن الفتوحات العربية الإسلامية /٤٨ ٠

٦ - قطب : أبطال الفتح الإسلامي/ ٧٠ ٠

٧ - خطاب : قادة فتح المغرب العربي ١ /١٠١ ٠

لكنهُم يستخدم هذهِ الإستيراتيجية والتوغل بالصحراء في جميع معاركهِ ، فنراهُ يُغير مجرى المعارك إذا ما شعر بخطر يهددهُ ، فعندما توجه الى مدينة وليلي القديمة(١) وجد نفسهُ أمام تحالف قوي ، بين بربر الأطلس الوسطى، فهزمهم شر هزيمة ولاذوا بالفرار نحو الصحراء، وتابع فلولهم حتى وصل الى صحراء وادي درعة(٢) في أقصى الجنوب ولم يتوغل كثيراً في مجال الصحراء وإنما صعد الى الشواطىء الغربية للمغرب الأقصى وسار مع هذا الوادي الى الشمال ودار حول جبال الأطلس الكبرى، ونزل بمناطق قبيلتي صنهاجه وهسكورة اللتين أعلنتا الطاعة لهُ(٣).

يبدو أن عقبة بن نافع ، أدرك مدى الخطر في حال توغلهِ لمسافات بعيدة في الصحراء ، فالقبائل البربرية المنهزمة إختارت الصحراء لتكون ملاذهم الآمن ، وهذا يعني أنهم متمرسون على القتال في مثل هذهِ المناطق ، وفي الوقت نفسهِ ، أعلن الصلح مع قبائل صنهاجه وهسكورة ، اللتان تمتازان بكونهما قبائل صحراوية مقاتلة ، يمكن الإستفادة منهما في المعارك الصحراوية.

كما إتخذ عقبة طريق الشمال الأطلس الصحراوي أثناء عودتهِ للقيروان ، كونهُ أقرب الطرق وصولاً إليها ، وعمد على إرسال قواتهِ للقيروان على شكل دفعات , وبقي هو مع عدد قليل من الجند لفتح تهوذة وبادس(٤).

---

١ - مدينة رومية قديمة بطرف جبل زرهون فى الغرب منه، قرب الموضع الذي بنيت فيه مدينة فاس فيما بعد. مؤلف مجهول: الإستبصار / ١٩٤ ؛ الحميري: الروض المعطار/ ٦٠٩ .

٢ - مدينة في المغرب في جهة سجلماسة، آهلة عامرة بالقرى والأسواق والمزارع والبساتين، وسميت بهذا الإسم نسبة الى واديها المسمى وادي درعة ، وهو نهر كبير ينبعث من جبال درن يسكنهُ جماعات من البربر. مؤلف مجهول: الإستبصار / ٢٠٦ ؛ الحميري: الروض المعطار/٢٣٥ .

٣ - الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب /١٥؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١/ ٢٦ .

٤ - خطاب : قادة فتح المغرب العربي ١/ ١٢٢ ؛ العتبي : إستراتيجية قادة العرب المسلمين في تحرير بلاد المغرب العربي من الإستعمار البيزنطي / ٢٤ .

والظاهر أن عقبة أدرك المخاطر التي يتعرض لها الجند في حالة إرسالهم دفعة واحدة ، فهذا الطريق قليل المياه ، ولا يحتمل أعداد كبيرة من الجيش (١)٠

أما موسى بن نصير فقد إعتمد في حملتهِ لإخضاع قبائل صنهاجه التي أعلنت التمرد والعصيان، على مجموعة من القبائل البربرية التي دخلت إلى الإسلام (٢) كونها تجيد القتال في الصحراء ، وتحمل نفس الصفات القتالية التي إمتازت بها قبائل صنهاجه ، وهذا هو أحد أسباب إنتصار المسلمين على تلك القبائل(٣)٠

ويبدو أن المسلمين توغلوا في الصحراء أثناء فتحهم بلاد المغرب ، حتى يلجؤا إليها إذا ما فلح عدوهم في قتالهم ، وحتى يحموا ظهورهم بها ، ويتخذوها طريقاً للعودة ، لكنهم في الوقت نفسهِ ، تركوا التوغل بها لضرورة حربية ، وإتخذوا طرقاً أخرى ، كما فعل عقبة بن نافع ، وهذا يدل على معرفة المسلمين بالصحراء وطرقها وأساليب القتال بها ٠

---

١ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٦٨ ٠

٢ - ابن قتيبة :(المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/ ٧٧ ٠

٣ - الطنطاوي : رجال من التاريخ ٢/٣٣ ٠

المبحث الخامس : الهضاب

هي كل أرض ذات مساحة واسعة ، وتكون مسطّحة رغم إرتفاعها ، الذي يتميّز بالتجانس ، وتجمع من حيث خصائصها بين السهل والجبل ، فهي تشبه السهول في إستواء سطحها ، وتشبه الجبال في إرتفاعها ، وفي الوقت نفسه تختلف عن السهول بوجود بعض المرتفعات التي تعلو السطح أحياناً ، وتختلف عن الجبال بأن تضاريسها مرتفعة مئات الأمتار، بينما ترتفع التضاريس في الجبال الى الأف الأمتار(١).

وقد أكد تزو(٢) منذ ألآف السنين على أهمية نزول الجيش في الأماكن العالية ومنها الهضاب ، فقال " إضرب معسكرك في الأماكن العالية ، وليس المقصود قمم الجبال فقط ..بل قمم الهضاب الصغيرة المرتفعة قليلاً فوق مستوى أراضي العدو " .

وذكرنا سابقاً في عامل الجبال أن كسيلة إستقر في مدينة ممس إستعداداً لمواجهة زهير بن قيس البلوي ، ويبدو أن إستقراره ُ في هذِه المدينة لم يأتِ من فراغ ، فقد شعر بأهميتها خصوصاً كونها واقعة على هضبة متصلة بجبال الأوراس ، مما يجعلها منيعة حصينة ، وهو بهذا إختار المكان المناسب لتعسكر جيشِه ، لكن كسيلة في النهاية خسر المعركة(٣).

ويبدو أن زهير كان على علم ودراية بأهمية الهضاب ودورها في سير المعارك ، والتي ربما تكون لصالح العدو في حالة الهجوم مباشرةً على مدينة ممس ، لذلك لم يدخلها وإنما نزل على باب سلم(٤) لدراسة أرض المعركة ، وحتى لايتفاجئ بجيش كسيلة ، فأقام ثلاثة أيام للإستراحة في هذا الباب ، وفي اليوم الرابع قام بتعبئة جيشِه ، وإستطاع النصر في هذِه

١- إسماعيل : الجغرافيا العامة/ ٧٢ ؛ أبو حجر : المعجم الجغرافي /٨٩٩ .

٢- فن الحرب/ ٤٩ .

٣- سالم : المغرب الكبير/٢٣٦ ؛ مؤنس : فتح العرب للمغرب / ٢٢١ .

٤- أحد أبواب سور القيروان . البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ٢٥ .

المعركة(١) التي وصفت فيما بعد بأنها أذلت البربر وأهانتهم ، فقال السلاوي(٢) واصفاً نتائجها " ذُلّ البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم وخضدت شوكتهم واضمحل أَمر الفرنجة ، فَلم يُعد وَخَافَ البربر من زهير وَالْعرب خوفًا شِيداً ، فلجؤوا إِلَى القلاع والحصون وَكسرت شَوكَة أوربة من بَينهم واسْتقر جمهورهم بديار الْمغرب الأقصى " .

١ - الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب / ١٩ ؛ النويري: نهاية الأرب ٣٣/٢٤؛ ابن أبي دينار : المؤنس / ٣٠ .

٢ - الإستقصا ١/ ١٤٧ .

المبحث السادس: الصخور

عبارة عن أجسام طبيعية صلبة ، تتكون من معدن واحد أو أكثر(١) وهي من الأشكال التضاريسية التي كان لها دور في فتوحات بلاد الأندلس ، فهي بمثابة حصون جبلية مسورة بطبيعتها الجغرافية من غير تعديل ، ويصعب الوصول اليها ، وقد وظف المسلمون هذا العامل الطبيعي لصالحهم ، في بناء السور حول جبل طارق ، للإحتماء بهِ من سهام الأعداء(٢)٠

ولم تقتصر أهمية الصخور في المجال الحربي عند هذا الحد ، بل كانت من الإستحكامات الدفاعية لنصب الكمائن (٣) فعندما توجه موسى بن نصير سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م لفتح مدينة ماردة , إصطدمت قواتهُ بالخطوط الدفاعية لهذِه المدينة ، وجرت معركة قاسية بين الطرفين ، لم يتمكن المسلمون من خلالها إحراز أي تقدم(٤)٠

وفي هذِه الأثناء بدأ الهاجس العسكري يراود موسى لإحراز النصر ، فعمل على دراسة أرض المعركة ، وكان لهذِه الدراسة آثار إيجابية (٥) إذ تمكن من خلالها التعرف على مجموعة كبيرة من مقاطع الصخور ، إستعملها فيما بعد كمواقع لنصب الكمائن ، فأقدم على إخفاء جزء من قواتهِ خلفها(٦)٠

وفي صباح اليوم التالي جرت معركة بين الطرفين، واستطاعت القوة الكامنة خلف الصخور

١- محسوب : الجغرافية الطبيعية / ٣٠ ٠

٢- خطاب : قادة فتح الأندلس ٢٤١/١ ٠

٣- العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس /٢٢ ٠

٤- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة / ٢٥؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤/ ٥٦٤؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ١٤ ٠

٥- عبد الرؤف : الهندسة العسكرية في الفتوحات الإسلامية/٣٢ ٠

٦- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة / ٢٥ ؛ المقري : نفح الطيب ١/ ٢٧٠ ٠

مباغتة العدو وضربهِ من الخلف ، وكانت هذهِ المباغتة كافية لإنهيار المقاومين وإنسحابهم الى داخل المدينة ، وإستطاع المسلمون فَرض الحصار على أهلها لعدة أشهر ، ودخلوها صلحاً ، بعد أن أيقن أهلها إصرار المسلمين على فتحها (١)٠

ولم يتعامل بعض الولاة بنفس الإستيراتيجية التي سار عليها موسى بن نصير ، عندما أحكم السيطرة على الصخور ووظفها لصالحهِ في المعارك ، ففي سنة ١١٦هـ/ ٧٣٤م ، دخل الوالي عقبة بن حجاج السلولي(٢) الى الأندلس وفتح مدنها الواحدة تلو الآخرى ، إلا صخرة في مدينة جليقية والتي إحتمى بها الملك بلاي(٣) مع عدد من جيشهِ ، الذي بدأ بالتناقص من جراء الجوع الذي أصابهم (٤)٠

فكان على عقبة فرض الحصار على من تبقى بالصخرة أو إقتحامها ، لكن الذي حصل غير ذلك ، فالمسلمون إستهانوا بالعدد المتبقي من العدو وإستحقروا قوتهم وقالوا " ثلاثون علجاً(٥) ما عسى أن يكون أمرهم "(٦)٠

١- ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ١٤ ؛ المقري : نفح الطيب ١/ ٢٧٠ ٠

٢- مولى الحجاج ، تولى أمر الأندلس سنة ١١٦هـ/٧٣٤م ، وإستمر والياً حتى سنة ١٢١هـ/٧٣٩م ، وهو الذي فتح مدينة أربونة، وجليقية وبنبلونة، وأسكنها المسلمين ، ومات في الأندلس ،ابن الحكم : فتوح مصر والمغرب/ ٢٩٣؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ٢٩ ٠

٣- إختلفت المصادر في أصلهِ ، فقيل أنهُ من القوط النبلاء ، هرب الى جليقية ليقود المعارضة ضد المسلمين ، وقيل أنهُ هرب من قرطبة سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م ، في ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي٠ طه : الفتح والإستقرار / ٢٩٥ ٠

٤- ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ٢٩ ٠

٥- جمعها علوج ، ويراد بها الرجال الأشداء في القتال ، يقال إعتلج القوم ، أي إتخذوا صراعاً وقتالاً٠الفراهيدي : كتاب العين ١/ ٢٢٨ ٠

٦- مؤلف مجهول , أخبار مجموعة / ٣٤؛ المقري : نفح الطيب ١٧/٣ ٠

فهذهِ الإستيراتيجية قلبت الموازين لصالح المتحصنين في الصخرة ، إذ عظم شأنهم وإستعادوا قوتهم ، وأصبحوا من أشد المقاوميين للفتح الإسلامي(١) وإستمر بلاي في حُكمهِ حتى وفاتهِ سنة ١١٩هـ/ ٧٣٧م(٢)٠

١- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة / ٣٤ ٠

٢- طه : الفتح والإستقرار /٢٩٦ ؛ أبو عيبة : موجز عن الفتوحات الإسلامية ١/١٠٢ ٠

المبحث السابع : الغطاء النباتي

وهو مصطلح يطلق على الغابات والأحراش والمراعي والطحالب ، وكل غطاء نباتي موجود على سطح الأرض(١)وقد يرتبط هذا العامل بالتضاريس إرتباطاً مباشراً ، كونُه يحصل على معظم حاجاتهِ من ماء وغذاء من سطح الأرض (٢) وكان له دور في الفتوحات الإسلامية ، حيث ذكرت المصادر العربية أن إفريقية كانت من طرابلس الى طنجة ظلاً واحداً ، وقرى متصلة(٢)٠

لذلك كان هذا العامل أحد الأسباب التي جعلت عقبة بن نافع يختار موضع القيروان سنة ٥٠هـ /٦٧٠م لتعسكر جيشِه ، كونها منطقة تكثر فيها الغابات والأعشاب ، وهي من الضروريات لرعي الدواب والخيل (٣)٠

ولم يقتصر إدراك أهمية هذا العامل لدى المسلمين فقط ، بل أدركت الكاهنة التي ملكت إفريقية خمس سنين دورهُ وتأثيرهُ في المعارك ، لذلك إستعملتهُ كسلاح للنيل من العرب الفاتحين، ويتضح ذلك من خلال خطابها للبربر " نحن نريد المزارع والمراعي ، ولا أرى إلا خراب إفريقية حتى ييأسوا منها " (٤) وفرقت أصحابها لتخريب البلاد وقطع الأشجار وتهديم الحصون(٥)٠

١- فايد : جغرافية المناخ والنبات / ٢٩١ ٠

٢- فايد : جغرافية المناخ والنبات / ٣٠٠ ٠

٣- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب / ٣١ ٠

٤- ابن سعيد : الجغرافيا /١٤٤ ٠

٥- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب / ٣٠؛ النويري : نهاية الأرب ٢٤/ ٣٦ ٠

٦- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب / ٣٠؛ الدباغ : معالم الإيمان / ٦٤؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١/ ٣٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٤/ ٣٦ ٠

وذهب بعض المستشرقين عكس الرواية العربية ، ففي نظرِهم أن العرب هم من خرب إفريقية وعاثوا بها الفساد وقطعوا الأشجار وهدموا الحصون(١)٠

ونحن نعتقد بصحة الرواية العربية ، فالكاهنة هي من خربت إفريقية وليس حسان ، وهذا يتضح من خلال مقولتها السابقة ، والدليل الأخر على صحة إعتقادنا ، هو نفور بعض البربر من سياسة الكاهنة التخريبية للبلاد ، وكون بربر البرانس متحضرين ، يحبون العيش في المدن ، وترحيبهم بقدوم حسان وتقديم المساعدة لهُ في حملتهِ الثانية والتي إنتصر بها على الكاهنة (٢) فلو كان المسلمون هم من خرب البلاد ، لما سارع هؤلاء البربر لهذهِ المبادرة٠

أما في بلاد الأندلس ، فقد إستغل المسلمون الغطاء النباتي لنصب الكمائن ، فعندما توجه مغيث الرومي ، لفتح مدينة قرطبة ، كمن في غائضة أرز في مدينة شقندة(٣) وتستر بها وبث منها العيون والجواسيس لمراقبة تحركات الجيش القوطي ، وبالفعل نجح هذا القائد في رصد نقاط ضعف العدو ، فتوفرت لهُ معلومات عن وجود ثغرة في سور المدينة، والتي سهلت عمليهِ الدخول لقرطبة(٤)٠

ويعد الغطاء النباتي أحد العوامل التي دفعت المسلمين من نقل مركز الخلافة من طليطلة الى قرطبة ، كون الأخيرة تتوسط إقليماً خصباً ، تكثر فيهِ المراعي ، على العكس من طليطلة

١- ينظر: غوردو : الفتح الإسلامي لبلاد المغرب / ٢٧ ؛ الزاهد : الغزو العربي لشمال إفريقيا / ٥٨ ٠

٢- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب / ٣٤ ٠

٣- محلة في قرطبة ، وتنسب إلى الربض كونها متصلة بربض قرطبة ، لذلك سميت بهذهِ التسمية٠ الحموي : معجم البلدان ٢٦/٣ ٠

٤- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة / ٢٠ ؛ مؤلف مجهول : فتح الأندلس /٢٠ ؛ المقري : نفح الطيب ٢٦١/١ ٠

المحاطة بالجبال ، التي تجعلها شبه قاحلة(١)٠

ولم يقتصر إستغلال هذا العامل لدى المسلمين فقط ، بل إستخدمهُ القوط للتستر بهِ في حالة الإنسحاب أو الهروب ، فعندما هرب بلاي من قرطبة في عهد الوالي الحر بن عبد الرحمن(٢) بعث الأخير فرقة لتعقبهِ وإلقاء القبض عليه وإعادتهِ الى قرطبة ، وكادت هذهِ الفرقة الظفر بهِ ، لولا أن بلاي إستغل الغابات الكثيفة في طريق وادي كانجاس ، وتخبأ بها ، وإستطاع الإفلات من أنظار المسلمين(٣)٠

والجدير بالذكر أن الغابات شكلت عائقاً أمام تقدم المسلمين في معركة بلاط الشهداء , فقد إمتازت منطقة اللوار(٤) بكثرت الغابات ، والتي لم يعتاد المسلمون على القتال فيها ، لذلك كانت من أحد العوامل التي ساهمت في خسارتهم في هذهِ المعركة(٥)٠

١- كحيلة : الخصوصية الأندلسية / ٣٧ ٠

٢- ابن عثمان الثقفي , تولى الاندلس في محرم ٩٨هـ/٧١٧م ؛ من قبل والي إفريقية محمد بن يزيد , وكانت أول أعماله هو نقل الإمارة من اشبيلية الى قرطبة , واستمرت ولايته سنتين وثمانية اشهر٠ مؤلف مجهول : فتح الأندلس / ٤٤؛ ابن عذاري :البيان المغرب ٢/٢٥ ٠

٣- المزروع : جهاد المسلمين خلف جبال البرت /٢٠٨-٢٠٩ ٠

٤- وتقع على نهر اللوار , وهي ثاني مدن دوقية اقطانية وفيها كنيسة سان مارتان ٠مؤنس : فجر الأندلس /٣٢٣ ٠

٥- مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس / ٤٤؛ الغنيمي : معركة بلاط الشهداء/٦٦ ٠

عُرف المناخ بأنهُ ملخص الأحوال الجوية لأي مكان في شهر من الشهور، أو فصل من الفصول ، ونظام توزيعها على طول السنة(١)٠

ويتألف من مجموعة من العناصر أهمها درجة الحرارة والأمطار والرياح ، وغيرها من مظاهر التكثف ، وتعتبر تضاريس المكان ، وبعده ُأو قربه عن البحر ، وموقعهِ بالنسبة لخط العرض من أهم العوامل التي تؤثر في عناصر المناخ(٢)٠

ومثلما للأرضِ تأثيٌر مباشر على سير المعارك العسكرية في الفتوحات الإسلامية ، كذلك للمناخ نفس هذا التأثير، فقد يتدخل المناخ في تحديد القوة العسكرية في موسم القتال ، لاسيما أن الإمكانيات المتيسرة للمسلمين في ذلك الوقت للتغلب على التغييرات والظروف المناخية كانت محدودة (٣) ولمعرفة مدى هذا التأثير ، إرتأينا دراسة العناصر المناخية كلاً على حده٠

المبحث الأول : درجات الحرارة

وهي من العناصر المناخية التي كان لها دور وتأثير واضح في معارك الفتح ، لذلك أصبحت من أولويات إهتمام المسلمين ، فكانوا يحسبون لإتجاه مصدرها حسابات دقيقة ، فقد حرصوا على أن تكون الشمس خلف ظهورهم وأن لايستقبلوها في حالة تعبئة الجيش وترتيب الصفوف ، وأول من نبه الى هذهِ الإستيراتيجية هو النبي صلى الله عليه وآله ، ففي معركة بدر ٢هـ/ ٦٢٤م ، جعل الشمس خلف ظهرهِ ، وإستقبل جهة المغرب(٤)٠

١- فايد : جغرافية المناخ والنبات /١١ ٠

٢- شرف : المقدمات في الجغرافية الطبيعية/ ٢٤٦ ٠

٣- عبد الرؤف : الهندسة العسكرية / ١٢٦؛ أبو العينين : أصول الجغرافيا المناخية/ ٥٣ ٠

٤- الواقدي : المغازي ١/ ٥٦ ٠

وبالتالي فإن هذا الفعل لم يغب عن بال المسلمين ، وهذا ما عبر عنهُ الهرثمي(١) بقوله " توخ أن تكون الريح والشمس من وراء ظهرك " ، لأن إستدبارها يحافظ على مدى الرؤية لدى المقاتل ، ويمنع تأثير لمعان السيوف التي ربما تؤثر في هذهِ الرؤية (٢)٠

ولعبت درجات الحرارة دوراً كبير في الفتوحات الإسلامية ، لاسيما في فتح بلاد المغرب ، فعندما عجز المسلمون عن فتح مدينة طرابلس ، بعد حصار دام شهر ، خرج جماعة من بني مدلج(٣) من جيش عمرو بن العاص للإصطياد ، فأصابتهم حرارة الشمس ، فإتخذوا طريق البحر لتفادي أشعتها ، وأكتشفوا أثناء المسير ثغرة الى داخل المدينة ، تمكن المسلمون من خلالها دخول المدينة سنة ٢٣هـ/٦٤٤م ، فلم يكن هنالك أي سور يفصل بينها وبين البحر (٤) ، ويمكننا القول أن لدرجات الحرارة هنا دور إيجابي ، فلولاها لما أكتشفت هذهِ الثغرة٠

وفي معركة سبيطلة التي دارت بين المسلمين والروم سنة ٢٨هـ/٦٤٨م ، كان إرتفاع درجات الحرارة أحد العوامل التي أدت الى إنهاك الروم , وشلّ قدرتهِ الهجومية ، فكان القتال يبدأ منذ الصباح حتى الظهيرة ، ويرجع كلاً من الطرفين الى معسكراتهم للراحة ، ويستأنف القتال في اليوم التالي (٥)، وكالعادة إستغل المسلمون هذا الوضع لصالحهم ، وبدأت الخدعة العسكرية تراود أفكارهم ، منطلقيين من قول النبي صلى الله عليه وآله " الحرب خدعة " (٦)٠

١- مختصر سياسة الحروب / ٣٣ ٠

٢- عبد الرؤف : الهندسة العسكرية/ ١٢٧ ٠

٣- بطن من كنانة ومنهم مخزوم أو محزر المدلجي ، تقع ديارهم بين الإسكندرية وليبيا ، أسلموا في خلافة عمر. اليعقوبي : البلدان / ١٧٧-١٨٠؛ القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب/ ٤١٦ ٠

٤- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٣٠؛ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٤٠٨؛ النويري : نهاية الأرب ١٩/٣٣٠

٥- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٤٦٤؛ النويري : نهاية الأرب ٢٤/ ١٤؛السلاوي : الإستقصا/٩٣

٦- ابن حنبل : مسند ١/ ١٢٦ ٠

فقد تنبه عبد الله إبن الزبير الى نقطة ضعف يعاني منها الروم وهي شدة حرارة الشمس ، فسارع الى إخبار عبد الله بن سعد لإستغلالها وتوظيفها لصالح المسلمين ، ويتضح ذلك من قولهِ "رأيت عورةً من عدونا جرجير ، فرجوت أن تكون فرصة هيأها الله لنا ، وخشيت الفوت ... رأيتُه على برذون(١) أشهب خلف أصحابهِ ... معهُ جاريتان لهُ تضلانهُ من الشمس بريش الطاووس "(٢).

واقترح أن يرسل مجموعة من المسلمين الى خيام الروم ، عندما يكون الأخير منشغلاً في القتال صباحاً ، وبعدما يأتي وقت إستراحتهم في الظهر ، تهاجم عليهم هذهِ المجموعة وتتمكن منهم(٣) ، وبالفعل نجحت هذه الخطة ، وثارت الكمائن بالروم ، فإنهزموا وقتل منهم أعداد كبيرة، وقتل ملكهم وأسرت إبنتُه ، وضُرب الحصار على سبيطلة فسقطت بسهولة(٤).

وتكرر المشهد نفسه في فتح مدينة جلولا(٥) سنة ٤٥هـ/٦٦٥م ، فعندما وصل معاوية بن حديج الى أبوابها ، كان يقاتل أهلها في بداية النهار ، فإذا مال الفيء إنصرف الى

١- البرذون : من الخيل ما ليس بعربي .ابن عقيل : شرح ٨٦/٢ .

٢-المالكي : رياض النفوس ٢٣/١؛ الدباغ : معالم الايمان / ٣٨ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١١/١ .

٣- يتضح ذلك من خلال قول عبد الله بن الزبير "إن أمرنا يطول مع هؤلاء، وهم في أمداد متصلة، وبلاد هي لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غدا جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر، إلى أن يضجروا ويملوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم، ورجع المسلمون، ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون، ونقصدهم على غرة، ولعل الله ينصرنا عليهم". ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤٦٣/٢ .

٤- أبو عبية : موجز عن الفتوحات/ ٥٧

٥- مدينة مشهورة بإفريقية، بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلاً ، وهي قديمة أزلية مبنية بالصخر، وتتميز بكثرت أنهارها وخيراتها . الحموي : معجم البلدان ١٥٦/٢ ؛ الحميري: الروض المعطار / ١٦٨ .

معسكرهِ في القرن(١)٠

يتضح مما تقدم مدى التأثير السلبي الذي ربما يقع على المقاتلين في حال إستمرار القتال لوقت الظهيرة وتحت أشعة الشمس ، لذلك كانت الإستراحة في هذا الوقت بالذات ، عندما تكون الشمس في أعلى درجاتها ، كما يتضح مدى الوعي العسكري للقادة المسلمين ، الذين أدركوا دور هذا العامل ، وقلبوا موازين المعركة لصالحهم ، فلو لم يكن للشمس وحرارتها دور وتأثير واضح ، لما إحتاج الروم في معركة سبيطلة للإستراحة في خيامهم ، ولإستمروا في القتال الذي ربما يكون لصالحهم ، خصوصاً وهم متفوقين بالعدة والعدد ، ويقاتلون في أراضيهم الحصينة٠

وكما كان لإرتفاع درجات الحرارة دور في الفتوحات الإسلامية ، كذلك كان لإنخفاضها نفس هذا الدور ، فقد كان البرد أحد العوامل المناخية التي لعبت دوراً كبيراً في سير المعارك ، وكان له دور سلبي على تحركات المسلمين , لذلك حذر الخلفاء من معارك الشتاء ، ويتضح ذلك من خلال رسالة الخليفة عمر بن الخطاب لأحد قوادهِ " إياك وغارات الشتاء٠٠"(٢)٠

فلم يألف المسلمون هذا العامل المناخي ولم يعتادوا عليه ، وكانوا يحسبون له حساب(٣)

١- البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ٣٢ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١/ ١٧ ٠

٢- ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٧/ ٩٥ ٠

٣- قال الحاكم البيزنطي ليو السادس " إن العرب المسلمين في جبهة الثغور ، لايستطيعون تحمل البرد والمطر ، لذلك فهم يحجمون عن شن حملاتهم على الأراضي البيزنطية في الشتاء" ، وهذا الأمر كان سبباً في إختيار الروم لفصل الشتاء لشن حملاتهم على المسلمين٠ عبيد : التعبئة العسكرية الإسلامية/ ١٢٩ ٠

فقد أجل بشر بن أرطأة (١) حملتهُ العسكرية الى مدينة مغداش(٢) التي كانت في سنة ٢٣هـ/٦٤٣م (٣) وقيل في سنة٢٦هـ/ ٦٤٦م ، بسبب أن هذهِ الحملة كانت في فصل الشتاء ، وإستأنفت هذهِ الحملة سنة ٤٦هـ /٦٦٦م ، في عهد عقبة بن نافع الذي تمكن من النزول في هذهِ المدينة(٤).

ويمكننا القول أن البرد هو أحد الأسباب الرئيسة بعدم بقاء المسلمين في المدن المحررة كمدينة تاهرت ، التي إمتازت بالبرد الشديد وكثرت الأمطار والثلوج (٥) ، فبعدما تمكن المسلمون من فتحها في عهد عقبة بن نافع ، تركها دون إنشاء حاميات عسكرية ، ورحل الى طنجة(٦) كونها من المدن الساحلية (٧) ومناخها يشبه مناخ حوض البحر المتوسط ،

١- أبو عبد الرحمن ، عمرو بن عويمر بن عمران بن الحلبس بن سيار بن النضر ، قيل ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، وروى عنه، وهو أحد من بعثه عمر بن الخطاب مدداً لعمرو بن العاص لفتح مصر ، وشهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد، توفي في الشام أيام عبد الملك بن مروان.المالكي: رياض النفوس١/ ٨٥ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣٧٣/١ .

٢- مدينة قريبة من سبرت في طرابلس الغرب في ليبيا.ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٦٢ .

٣- الحموي :معجم البلدان ٣٦٦/٥ .

٤- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٦٢ .

٥- إمتازت مدينة تاهرت بطول فصل الشتاء ، حتى قيل أنه ثلاثة عشر شهراً ، وكان أهلها يتمنون طلوع الشمس ، فعندما نظر رجل من تاهرت الى توقد الشمس في الحجاز قال " إحرقي ما شئتي ، فوالله إنك بتاهرت لذليلة " البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ٦٧؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢٥/١؛ الحميري : الروض المعطار / ١٢٦ .

٦- المالكي : رياض النفوس ١/ ٣٧-٣٨ .

٧- ينظر : الحميري : الروض المعطار / ٣٩٥ .

، إعتدالاً في هوائها وفصولها السنوية الأربعة(١)٠

ولم يقف أثر البرد عند هذا الحد ، فقد كان له دور في إختيار المدن والمواقع العسكرية ، فعندما إختط عقبة مكان القيروان ، أجابهُ المسلمون " نخاف أن تهلكنا الذئاب ويهلكنا بردها في الشتاء " (٢)٠

إلا أننا نجد أن بعض قادة الفتح عمدوا على أن تكون غزواتهم في فصل الشتاء ، ففي سنة ٨٦هـ/٧٠٥م ، أرسل موسى بن نصير الحملة البحرية بقيادة عياش بن أخيل لفتح جزيرة صقلية (٣) ، وذلك في فصل الشتاء ، فشتا عياش في البحر ، ونزل صقلية من طرف آخر وفتح إحدى مدنها وهي سرقوسة(٤) وعاد منتصراً غانماً(٥)٠

والجدير بالذكر أن موسى بن نصير لم يخالف نصائح الخلفاء وتحذيرهم من معارك الشتاء ، لكنهُ أراد من وراء هذهِ الإستيراتيجية تعويد الجند وتدريبهم على تحمل مثل تلك الظروف المناخية والتي لم يعتادوا عليها(٦)٠

أما في بلاد الأندلس ، فقد إصطدم المسلمون بأجواء مناخية باردة ، حيث إمتاز القسم الشمالي منها ، بالبرد الشديد ، لا سيما في فصل الشتاء (٧) ، ويتضح ذلك من خلال

١- خطاب : قادة فتح الأندلس ١/ ١٠٢ ٠

٢- العسلي: فن الحرب ٢/ ١٥٦ ٠

٣- وهي جزيرة قريبة من البحر الشامي , تمتاز بحصانتها ، بينها وبين مالطة من ناحية البر ثمانون ميلاً , وصقلية اسم لاحدى مدنها فسميت الجزيرة كلها باسمها ٠ الحميري : الروض المعطار /٣٦٦ ٠

٤- وهي مدينة عامرة ، لها مرسى، بينها وبين صقلية مجاز لطيف٠الحميري : الروض المعطار / ٣١٨ ٠

٥- ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٨٢/٢ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٤٢/١ ٠

٦- قطب : أبطال الفتح الإسلامي / ٣١٥ ٠

٧- ستانلي لين بول : قصة العرب في أسبانيا / ٤٠ ٠

النصوص الشعرية التي تصف هذا المناخ (١) فقال بن معين (٢) :

كأن الهواء غديرٌ جمد بحيث البروق تذيب البرد

خيوطٌ وقد عقدت في الهواء وراحةُ ريحٍ تحل العقد (٣)۰

لذلك لجأ قادة الفتح الى تنظيم تحركاتهم العسكرية لتحاشي الظروف الصعبة ، والتي قد تعرضهم للهلاك ، فتكونت لديهم معرفة بأفضل الأوقات للتحرك والقتال ، ولاشك أن هذهِ المعرفة حصيلة تجارب كثيرة ، تعرض لها المسلمون في جبهة المغرب ، فعلى سبيل المثال عمد طارق بن زياد إلى النزول على صخرة جبل كالبي في مستهل شهر رجب لسنة ٩٢هـ /٧١٠م ، والذي يوافق شهر أبريل ومايو من نفس السنة ، وهذا وقت مناسب جداً لا سيما أنهُ يقع في موسم الربيع الذي يمتاز بإعتدال الجو وقلة البرودة(٤)۰

أضف الى ذلك أن أهمية إختيار فصل الربيع لبدء الحملات العسكرية ، لاتقتصر على كون مناخهُ معتدل فقط ، بل لهُ منافع أخرى على المسلمين ، أوردها قدامة بن جعفر بقوله : " أن تقع الغزوة التي تسمى الربيعية لعشرة أيام تخلو من أيار ، بعد أن يكون الناس أربعوا

١- ينظر : بيريس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف / ٢١١ ۰

٢- ابو بكر عبد المعطي ، أحد أدباء وشعراء الأندلس ، ذو شعر ونباهة ، وله أدب باهر ونظم شعرية وأقعد بسبب كبر سنه ، وكان ابن سراج يقوم له بكل ما يبغي له , ولما خرج إلى إقليش خرج معه، وكان مرتسماً في عسكر قرطبة۰ ابن خاقان : مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس / ٣٨٠؛ المقري : نفح الطيب ٤/ ٢٣٤ ۰

٣- المقري : نفح الطيب ٤/ ٢٣٦ ۰

٤- خطاب : قادة فتح الأندلس ١/ ٢٣٨ ؛ السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم /٣١ ؛ مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس ١/١٧ ۰

دوابهم ، وحسنت أحوال خيولهم ، ويقيمون ثلاثين يوماً ، وهي بقية أيار وعشرة أيام من حزيران ، وكأن دوابهم ترتبع ربيعاً ثانياً..)(١).

وقد يؤجل قادة فتح الأندلس حملاتهم العسكرية حتى إنتهاء فصل الشتاء وإعتدال المناخ ، فبعدما تمكن المسلمون من فتح مدينة طليطلة ، توجه طارق بن زياد لإستكمال فتح المدن الأخرى ، فإستمر بالتقدم حتى أدرك مدينة المائدة(٢) لكنهُ فضل الرجوع الى طليطلة ، وقضاء فصل الشتاء فيها سنة ٩٣هـ/٧١١م(٣) ، وسبب ذلك هو إنقضاء فصل الصيف ، ودخول شهر إكتوبر وهو شهر البرد (٤).

ونعتقد أن سبب إختيار مدينة طليطلة دون المدن الأخرى لتكون ملآذ آمن للمسلمين من برد الشتاء ، هو كونها من المدن المحصنة والمبنية من الحجارة (٥) ، وهذا بطبيعة الحال يقلل نوعاً ما من شدة برودتها.

كما أجل موسى بن نصير حملاتهِ العسكرية لفتح المدن الواقعة في الشمال الشرقي من الأندلس ، حتى نهاية فصل الشتاء (٦) كون هذهِ المناطق جبلية ، تمتاز بالبرودة الشديدة

١- الخراج وصناعة الكتابة/ ١٩٢ .

٢- للمزيد حول فتح مدينة المائدة ، ينظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤/٤١؛ الحميري : الروض المعطار /٥٣٠ ؛ المقري : نفح الطيب ١/٢٧٢ .

٣- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة / ٢٤؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢/١٣ .

٤- مؤنس : فجر الأندلس / ١٤٠ .

٥- ينظر : الإصطخري : المسالك والممالك / ٤٢ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/ ٥٣٦ .

٦- مؤنس : فجر الأندلس /١٦٢ .

في هذا الفصل بالذات (١)٠

يتضح مما تقدم مدى الوعي العسكري للقادة المسلمين ، فتحرك الجيش لمسافات بعيدة في ظل الظروف المناخية الباردة ، والتي لم يعتادوا عليها تنعكس سلباً على سير العمليات العسكرية ، خصوصاً وأن أهالي تلك المناطق يألفون مثل تلك الأجواء٠

كما أن عامل البرد كان لهُ تأثير واضح في إختيار القواعد العسكرية ، فعندما قرر المسلمون فتح المدن الواقعة في جنوب فرنسا ، في عهد السمح بن مالك الخولاني(٢) سنة ١٠٠هـ/٧١٩م ، وقع الإختيار على مدينة أربونة(٣) لتكون قاعدة لإنطلاق العمليات العسكرية ، وسبب هذا الإختيار يعود الى كون مناخها أقل برودة من المناطق الأخرى ، وهذا بطبيعتهِ يتلائم مع المناخ الذي إعتاد عليه العرب المسلمون في مدنهم(٤)٠

وفي بعض الأحيان كان البرد عاملاً سلبياً وعائقاً أمام تقدم المسلمين في بعض مناطق الأندلس ، فبعد إنتصارهم في معركة وادي لكة ٩٢هـ/ ٧١٠م ، فّر القوط المنهزمين الى المناطق الشمالية ، وتحديداً الى مدينة جليقية ، والتي إمتازت بكونها من المناطق الشديدة البرودة ، لذلك لم يفرض المسلمون سيطرتهم عليها ، مما أتاح الفرصة لأعدائهم في إعادة ترتيب صفوفهم ، والتهيئ لملاقات المسلمين مرةً أخرى (٥)٠

١- خطاب : قادة فتح الأندلس ١/١٠٢ ٠

٢- أحد ولاة الأندلس في عهد عمر بن عبد العزيز ١٠٠هـ-٧١٩م ، وله الفضل بإعادة تنظيم البلاد وإعادة إستقرارها ، وفتح المدن الواقعة جنوب فرنسا ، وقتل على يد القوط سنة ١٠٢هـ- ٧٢١م, وقيل سنة ١٠٣هـ٠ مؤلف مجهول : اخبار مجموعة / ٣٠ ؛ الضبي : بغية الملتمس ٢/٤٠٧ ٠

٣- أرسلان : تاريخ غزوات العرب / ٦٤؛ طه : دراسات أندلسية / ٦٤ ٠

٤- أرسلان : تاريخ غزوات العرب/٦٤ ٠

٥- عنان : دولة الإسلام في الأندلس ١/ ٢١١ ؛عبد الروؤف : تاريخ المغرب والاندلس /٤١؛ كحيلة : الخصوصية الأندلسية / ٣٨؛ المزروعي : جهاد المسلمين خلف جبال البرت / ٢٠٢ ٠

كما أثرت الأجواء الباردة ، وتساقط الثلوج ، على تقدم الحملات العسكرية للمسلمين ، في شمال الأندلس وبلاد الغال ، وترتب على ذلك أن هذهِ الحملات كانت تخرج لتلك المناطق في فصل الصيف ، لذلك سميت بالصوائف ، حيث حدد وقتها بعد شهر نيسان(١) ، فعلى سبيل المثال ، خرج السمح بن مالك الخولاني سنة ١٠٢هـ/٧٢١م ، بالصائفة ليغزو ما وراء جبال البرت(٢) وصل الى طرسونة (٣) التي إستشهد بها في نفس السنة(٤).

أما إذا دعت الضرورة الحربية للقتال في فصل الشتاء ، فيجب على قادة الجيش الإلتزام بعدة وصايا ، أوردها قدامة بن جعفر(٥) بقوله " إن كان لابد منها فليكن مما لا يبعد فيه ولا يوغل وليكن مسيرة عشرين ليلة، بمقدار ما يحمل الرجل لفرسهِ ما يكفيهِ على ظهرهِ ٠٠" ٠

نستنتج من هذهِ الوصايا أن سبب تحذير الخلفاء من معارك الشتاء ، هو ما يقع على المقاتل من تعب ، فالشتاء يحتاج الى حِملٍ كثير من الألبسة والفرش والمؤن ، وهذا بطبيعتهِ يجهد كاهل المقاتل ، لذلك حرص موسى بن نصير أثناء حصارهِ لمدينة سرقسطة سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م ، والتي إمتازت ببرودتها كونها واقعة في شرق الأندلس ، على سلامة الجند وتوفير الغذاء لهم ، ويتضح ذلك من خلال قولهِ لعبد الله بن المغيرة(٦) " كم معك من الزاد ؟ قال بن

---

١ - السامرائي : الثغر الأعلى الاندلسي/٤٩ ٠

٢ - مؤنس: فجر الأندلس /١٩٩ ٠

٣ - مدينة بالأندلس من أعمال تطيلة ، بينها وبين تطيلة أربعة فراسخ ٠ الحموي :معجم البلدان ٤/ ٢٩ ٠

٤ - ابن عذاري : البيان المغرب ٢/٢٦ ٠

٥ - الخراج وصناعة الكتابة/١٩٣ ٠

٦ - بن أبي بردة القريشي ، من التابعين ، سكن القيروان وولي قضائها في عهد عمر بن عبد العزيز سنة٩٩هـ/٧١٨م ٠الدباغ : معالم الإيمان / ٢١٠؛ المالكي : رياض النفوس ١/ ١٢٦ ٠

المغيرة : مابقي معي غير تليس (١) فقال موسى : أنت لم يبقى معك غير تليس ، وأنت من أحرار الجيش فكيف غيرك ؟ اللهم أخرجهم من ذلك الباب)(٢)٠

١ - التليس : الكيس أو الوعاء الكبير٠ المعجم الوسيط /٨٧ ٠

٢ - ابن قتيبة: (المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/٩٨ ٠

المبحث الثاني : الأمطار

ذكرنا فيما سبق حرص قادة الفتح على إختيار المواقع المناسبة لتعسكر الجيش ، وقد يتدخل عامل الأمطار في إختيار هذهِ المواقع ، فعلى الرغم مما تتمتع بهِ مياه الأمطار من محاسن ، إلا أنها تركت أحياناً آثاراً سلبية على سير الفتوحات في بلاد المغرب ، فعندما توجه معاوية بن حديج لفتح إفريقية سنة ٤١هـ/٦٦١م ، نزل على أحد الجبال الواقعة غربي قونية(١) فأصابهُ مطر شديد ، فقال مقولتهِ الشهيرة " إن جبلنا هذا لممطور ٠٠٠إذهبوا بنا الى ذلك القرن " ، فسمي هذا الجبل بإسم ممطور(٢)٠

لاشك أن الإجراء الذي إتخذهُ معاوية بن حديج وتركهِ جبل ممطور هو إجراء صائب ، فإستقرار المسلمين في مكان شديد المطر قد يؤثر عليهم سلباً ، فقد تصبح أرضية الجبل شديدة الإنزلاق تعيق قدرة الجنود على المدافعة في حالة الهجوم عليهم ، أضف الى ذلك الأضرار المادية التي يتعرض لها المسلمون في حال بقائهم تحت المطر ، فقد تتلف خيامهم وحاجياتهم وعلف دوابهم ٠

وقد تعرضت بعض المناطق المفتوحة الى الجدب ، الذي يعني إنحباس وإنقطاع المطر (٣)مما أدى الى هجرة سكانها بحثاً عن مصادر المياهِ ، وهذا ما سهل على الفاتحين الدخول الى تلك المناطق دون مقاومة تذكر ، فالسكان لايطيقون المقاومة العسكرية ، فمناطقهم لا توفر المواد الغذائية وإمدادات الجيش ، وهذا ما حصل مع موسى بن نصير ، فعندما دخل الى إفريقية وجد أكثر مدنها خالية ، بسبب القحط والجدب الشديد الذي أصابها ، لذلك عمد الى

---

١ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٦١ ؛ النويري : نهاية الأرب ١٩/٢٤ ٠

٢ - ابن عذاري : البيان المغرب ١/ ١٥ ٠

٣ - ابن سيده : المخصص ٣/ ١٠٤ ٠

توفير مستلزمات الجيش من مأكل ومشرب ، فسارع الى الدعوة الى صلاة الإستسقاء(١) فنزل المطر حتى إرتوا الجميع(٢)٠

ويتضح من خلال دعوة موسى بن نصير الى صلاة الإستسقاء ، مدى أهمية مياه الأمطار ، إذ لا يمكن للمسلمين الإستقرار في هذهِ المناطق دون توفر مصادر المياه٠

أما في جبهة بلاد الأندلس ، فعلى الرغم من أن الأحوال الجوية التي لا تتفق وطبيعة العربي الذي لم يألف المناخ الممطر ، إلا أننا نجد أن الأمطار ساهمت في فتح بعض مدنها ، فقد أغفل حرس مدينة قرطبة عن الحراسة وتركوا مواقعهم بعد سقوط الأمطار المتتابعة ، والتي أطلق عليها صاحب كتاب أخبار مجموعة اسم (القطقط) ، وبذلك إستغل المسلمون هذا الشاغر الدفاعي ، وتمكنوا من الدخول للمدينة سنة ٩٢هـ/٧١٠م (٣)٠

مقابل ذلك نجد بعض المؤرخين المحدثين ، يرجعون أسباب هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء ١١٤هـ/٧٣٢ ، هو إنشغالهم بالغنائم(٤) ، وهذا مايرفضهُ الحجي(٥) بقولهِ : " قصة الغنائم ، إسطورة لا أصل لها ، وهذا مع مجانبتهِ لكل ما عرفناه عن الفتح الإسلامي والتمسك بأهدافهِ العليا القائمة على الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمتهِ٠٠ " ٠

---

١ - هي الصلاة التي يتم فيها طلب السقي من الله عز وجل للبلاد والعباد بالصلاة و الدعاء والإستغفار، وهي مشروعة بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند قلة الأمطار وإنحباسها ، فلا بد للناس أن يستغفروا الله جلّ وعلا، مصداقاً لقول الله سبحانه و تعالى (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) سورة نوح : ١٠-١٢ ٠

٢ - ابن حبيب : التاريخ / ١٥٠ ؛ ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ١١٧/٢؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١٩/٢ ؛ السلاوي : الإستقصا ١٥١/١ ٠

٣ - مؤلف مجهول /٢٠؛ المقري : نفح الطيب ١/ ٢٦١ ٠

٤ - المزروعي : جهاد المسلمين خلف جبال البرت/ ١٢٣ ٠

٥ - التاريخ الأندلسي / ١٩٧ ٠

من ذلك نستنتج أن هنالك عوامل أخرى كان لها دور في هذهِ الهزيمة ، ومن بين تلك العوامل هو العامل المناخي ، حيث وقعت هذهِ المعركة في شهر تشرين الأول ، وفي وقت الخريف ، الذي اتسم بكثرة الأمطار الغزيرة ، والتي أثرت سلباً على تحركات المسلمين ، فخيولهم لم تعتاد على المناورة في مثل هذهِ الأوقات ، وفي مثل تلك الأرضية اللزجه(١) على عكس الأفرنج الذين إعتادوا على القتال في مثل تلك الأجواء(٢)٠

ولم تتوقف حركة الفتوحات الإسلامية في بلاد الأندلس بعد هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء ، فقد قام الوالي عبد الملك بن قطن في سنة ١١٤هـ/٧٣٢م بالتوجه الى شمال أسبانيا ، لأخذ الثأر للمسلمين ، ونجح بتحقيق أهدافهِ والقضاء على المتمردين(٣)٠

لكنهُ أثناء توجهِ الى خلف جبال البرت ، للقضاء على البشكنس وإستكمال الفتوحات ، تفاجئ بسوء الأحوال المناخية وكثرت سقوط الأمطار ، التي أثرت بصورة مباشرة على تقدمهِ وتحقيق أهدافه ، وإستغل العدو هذهِ الظروف لتحقيق الإنتصار على المسلمين ، وإضطر عبد الملك العودة الى قرطبة ، مما أثار حفيظة الوالي عبيد الله بن الحبحاب(٤) وإنزعاجهِ بهزيمة

١- مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس / ٢٩٦ ٠

٢- السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس / ٦٠ ٠

٣- المقري : نفح الطيب ١/ ٢٣٦ ؛ ٣/١٩ ٠

٤- كان والياً على مصر في عهد هشام بن عبد الملك ، الذي كتب إليهِ بكتاب يأمره بولاية إفريقية سنة ١١٦هـ /٧٣٤م ، فأستخلف إبنه القاسم على مصر ، وأبنه إسماعيل على السوس ، وقام باسترجاع عبد الملك بن قطن للولاية الثانية بعد خلع عقبة بن الحجاج ، وقيل إن عبيد الله كان حافظاً بليغاً ، عارفاً بأيام العرب وأخبارهم ، ذو بلاغة وشعر٠ ابن الأبار : الحلة السيراء/٣٣٦ ٠

المسلمين(١) وقرر عزلهُ وتعيين عقبة بن الحجاج السلولي(٢) والياً على الأندلس بدلاً منهُ (٣).

---

١ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب /٨٠ ؛ المزروعي : جهاد المسلمين خلف جهاد البرت / ١٤٦ .

٢ - ولى الأندلس أيام هشام بن عبد الملك , وقيل ولاه عبيد الله بن الحبحاب صاحب إفريقية الأندلس ودخلها سنة١١٧هـ/٧٣٥م ، وقيل في السنة التي قبلها، واتصف بكونه ذات سيرة محمودة ، محباً للجهاد ، وفي عهدة وصل المسلمين الى أربونة ، وخلعه أهل الأندلس سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م ، وكانت ولايته خمس سنين وشهرين .الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ٢/٧٠٥ ؛ الضبي : بغية الملتمس ٢/ ٥٦٦؛ المقري : نفح الطيب٣/١٩ .

٣ - ابن الأبار : الحلة السيراء/٣٣٦ .

المبحث الثالث : الرياح

حرص المسلمون في القتال على أن تكون الرياح خلف ظهورهم ، فهي مكيدة من مكائد الحرب (١) ، والسبب في هذا الحرص هو كون الرياح تحمل الأتربة والغبار ، مما يؤدي الى حجب الرؤية لدى المقاتل ، كما أن إستقبال الرياح يصّعب من إيصال الإيعازات للمقاتلين ، في حالة التوجيه والنداء ، أضف الى ذلك أن إستدبار الرياح يساعد على إيصال السهام الى مرمى العدو(٢)٠

أما إذا دعت الضرورة الحربية الى إستقبالها ، فهنالك أساليب قتالية يجب على القائد إتباعها ومنها : الإنحراف عن مهب الريح ، لضمان سلامة الرؤيا لدى المقاتل ، وأن يكون هبوبها من ميمنة الجيش الى ميسرة العدو ، فهي وسيلة وعامل مساعد للإنتصار ، أو الإنسحاب وترك المعركة في اليوم العاصف (٣)٠

وقد يأمر القائد الميداني الفرسان بالترجل من خيولهم والقتال راجلين ، عندما يصّر العدو على القتال في اليوم العاصف ، كون الريح ذات تأثير كبير على الخيول والفرسان (٤)٠

كما إتخذ قادة الفتح العديد من الإجراءات الوقائية لحماية قوتهم العسكرية في بلاد المغرب ، من سوء الأحوال المناخية التي تؤثر عليهم سلباً ، فعلى سبيل المثال أن دار صناعة السفن التي أمر ببنائها موسى بن نصير في تونس ، كانت بمثابة مشتى للمراكب والسفن الإسلامية

---

١ - الهروي : التذكرة الهروية /٢١ ٠

٢ - الدوري : أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الأسلامية حتى نهاية العصر الراشدي / ١٣ ٠

٣ - الهرثمي : مختصر سياسة الحروب/ ٣٣-٣٤ ٠

٤ - عبد الرؤوف : الهندسة العسكرية/ ١٢٧ ٠

، تقيها من التقلبات الجوية وهبوب الرياح العاصفة(١)٠

ولم يقف حرص القادة عند هذا الحد ، بل كانوا يشددون على إختيار الأوقات المناسبة لإستئناف حملاتهم العسكرية ، فعندما قدم عطاء بن أبي نافع الهذلي(٢) في مراكب أهل مصر ، بأمر من الوالي عبد العزيز بن مروان(٣) قاصداً سردانية(٤) أرسى مراكبهُ في سوسة ، فكتب لهُ موسى بن نصير ، أن ركوب البحر في هذهِ الأوقات قد يعرض الأسطول للخطر ، وأمرهُ بالتريث ، والإقامة في سوسة حتى يطيب الوقت لركوب البحر ، لكن عطاء لم يستجب لكتاب موسى ، فقام بشحن مراكبهِ وتحرك حتى وصل الى جزيرة سلسلة ، وتمكن من فتحها ، لكنهُ أثناء عودتهِ أصابتهم ريح عاصفة ، أدت الى غرق عطاء وأصحابهِ ، ووقعوا على سواحل إفريقية(٥)٠

---

١ - ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/ ٨٠ ٠

٢ - أحد أبرز القادة الذين إعتمد عليهم والي مصر عبد العزير بن مروان في حملاته البحرية , ومنها الحملة التي ارسلها الى جزيرة صقلية ٠ ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/ ٨٠ ٠

٣ - بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي ، كنيته أبو الأصبغ، ولد بالمدينة، ثم دخل الشام مع أبيه ، ولي أمرة مصر في عهد أبيه سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م، والتي إستمرت عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وقيل توفي سنة ٨٥هـ أو ٨٦هـ٠ الكندي : الولاة والقضاة /٣٩:٤٣: ٤٤ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١/ ١٧١ ٠

٤ - جزيرة كبيرة على طرف البحر الشامي ، كثيرة الجبال قليلة المياه ، وأهلها من الروم أفارقة متبربرة ، وسميت بهذا الأسم نسبة الى ساردوس بن هرقل ، الذي حاصرها وإفتتحها قبل الفتوحات الإسلامية٠الحميري :الروض المعطار /٣١٤ ٠

٥ - ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/ ٨٠ ٠

ولما ولي عبيدة بن عبد الرحمن القيسي(١) إفريقية سنة ١١٠هـ/٧٢٨م ، أمر المستنير بن الحارث(٢)بالتوجه الى فتح صقلية ، وأوصاهُ بإختيار الوقت المناسب ، وتجنب مواسم الشتاء ، التي تمتاز بالرياح العاصفة ، والتي تؤثر على سير الحملة ، لكن المستنير لم يأخذ بهذهِ الوصايا ، وأقام مدة طويلة في أراضي الروم ، الى أن حّل عليهِ فصل الشتاء ، وبدأ حملتهُ بهذا الفصل ، فأعترضتهُ الريح ، التي كانت سبباً في غرق مراكبهِ على سواحل طرابلس ، لذلك أمر عبيدة عاملهِ على طرابلس أن يلقي القبض عليهِ ، وإرسالهِ الى القيروان لمعاقبتهِ لعدم إلتزامهِ بوصايا الوالي (٣)٠

يتضح مما تقدم مدى معرفة القادة المسلمين بالأوقات المناسبة ، والتي يعتدل فيها المناخ للقيام بالحملات العسكرية ، فموسى بن نصير إكتسب هذهِ الخبرة من معايشتهِ في تلك المناطق ، وركوبهِ البحر من قبل٠

أضف الى ذلك أن الرياح تحمل نوعاً من الرمال الدقيقة والتي تسمى الغبار ، و جاء في المعاجم اللغوية أن الغبرة تعنى تردد الرهج من التراب ، فإذا ثار سمي غباراً(٤) ، ولاشك أنها من العناصر المناخية المؤثرة في المعارك ، فإرتفاع الغبار في عنان السماء بشكل عمودي ، يدل على تحرك وإقتراب العدو(٥)٠

١- من أهل دمشق ، ولي أذربيجان في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم إفريقية في عهد هشام بن عبد الملك في محرم سنة ١١٠هـ، وإستمر عليها أربع سنين وستة أشهر ٠ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب /٢٩١ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١/٥٠-٥١ ٠

٢- أحد قادة الجيوش الإسلامية في شمال إفريقية , الذين بعثهم الوالي عبيدة بن عبد الرحمن لغزو صقلية٠ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب /٢٩١؛ خليفة : تاريخ / ٣٥٥ ٠

٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب/٢٩١؛ ابن الكردبوس : الإكتفاء ٢/ ١١٤٤ ؛ ابن أبي دينار : المؤنس / ٣٨ ٠

٤- ابن منظور : لسان العرب ٥/٥ ٠

٥- تزو: فن الحرب / ٥٨ ٠

وهذا ما تنبه إليه معاوية بن حديج عندما حاصر مدينة جلولا ولم يتمكن من إقتحامها ، فإنصرف راجعاً عنها ، وأثناء مسيرهِ شاهد غباراً شديداً ورهج (١) فظن أن العدو خرج لقتالهِ ، فرجع الى جلولا فوجد أن حائطها قد وقع ، وبذلك تمكن المسلمون من الدخول إليها(٢).

١- أي غبار المسير : ابن منظور : لسان العرب ٢/ ٢٨٤ .

٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب /٢٦١ ؛المالكي : رياض النفوس ٢٩/١؛ الحميري : الروض المعطار/١٦٨ .

تعد المياه من أهم الموارد الطبيعية ، فهي عصب الحياة ومحورها الأساسي ، ولا تستطيع الكائنات الحية العيش بدونها ، قال تعالى (وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)(١) ٠

والذي يجسد ما قيل عن المياه بأنها عصب الحياة , هو نشوء الحضارات الإنسانية وازدهارها حول منابعه ووديانه ومجاريه وروافده ، واندثار الكثير من الحضارات القديمة أيضاً بسبب نضوبه أو هلاك مصادره , وقيام الكثير من الحروب والصراعات والنزاعات حول منابع المياه على إمتداد التاريخ الإنساني ، ويطلق على المياه بصوره المختلفة تعبير الغلاف المائي ، وتختلف نسبتهُ في الكرة الأرضية من مكان الى آخر ، ويرى كثير من الباحثين أنه لولا وجود التضاريس الأرضية متمثلة في الأحواض المحيطية العميقة والسلاسل الجبلية ، لغمرت المياه سطح الكرة الأرضية(٢)٠

ولم تقتصر أهمية هذا العامل الطبيعي فقط على الأمور الحياتية ، بل كان لهُ دور سلبي أو إيجابي على سير المعارك ، لذلك كان الصراع على الموارد الطبيعية منذ الأزل سمة بني الإنسان ، ولكن هذا الصراع ظل يتطور ويتغير من جيل الى جيل ، والذي يهمنا هنادوره وتأثيره في سير الفتوحات الإسلامية في المغرب والأندلس ، ولمعرفة هذا الدور ، لابد من دراسة أنواع المياه٠

المبحث الأول : البحـــار

كان العرب منذ القدم أهل علم ودراية في المجال البحري ، وتولعوا بركوبه بحكم موقع بلادهم على البحر الأحمر من الجهة الغربية ,والمحيط الهندي جنوباً ، والخليج العربي شرقاً , وبحكم إشتغالهم بالتجارة في البر والبحر في مراحل تاريخهم القديم , وإحتكاكهم بالشعوب البحرية(٣)٠

أما في العصور التي سبقت ظهور الإسلام , فقد أهمل العرب البحر ، ومنعوا من ركوبه ، بسبب السيطرة الأجنبية عليه , فالفرس بضمهم اليمن والبحرين ومايليها , قضوا على تجارة

١- سورة : الأنبياء /٣٠ ٠

٢- محمدين وآخرون : المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة/ ٢١٤-٢١٧ ٠

٣- سالم وآخرون : تاريخ البحرية الإسلامية /١٣ ٠

العرب في الخليج العربي , ولحتكروا لأنفسهم تجارة الهند , والأحباش منذ أن سيطروا على اليمن وحضرموت , سيطروا على الطريق التجاري عبر البحر الأحمر (١)٠

وفي العصر الإسلامي ، إستخدم المسلمون الطرق البحرية أثناء هجرتهم الى الحبشة ، هرباً من إيذاء قريش ، وفراراً بدينهم , فكانت هذه أول صلة لهم بالبحر في هذا العصر (٢) وعندما توسعت الدولة الإسلامية ، أصبح ركوب البحر ضرورة جهادية , بسبب إمتداد دولتهم إلى العديد من البحار كالبحر المتوسط والخليج العربي والبحر العربي (٣)٠

في حين يرى بعض المستشرقين ، أن العرب لم يكن لهم دراية ومعرفة بالبحر ، وأنهم يخافون ركوبه(٤)معتمدين في ذلك على ماذكرهُ ابن خلدون(٥) بقولهِ : " إنّ العرب لبداوتهم لم يكونوا مهرة في ثقافته وركوبِه، والّروم والإفرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم في التّقلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الّدارية بثقافته٠٠" ٠

وما يدعيه هؤلاء المستشرقين لاصحة له ، فلايوجد في التراث العربي القديم ولا في القرآن الكريم ، ما ينهي المسلمين عن ركوب البحر والجهاد فيه ، فقد تفوقوا في بناء الأساطيل ، وفي فنون الحرب البحرية ، وأذاقوا أعدائهم الأمرين ، وهذا ما بينهُ ابن خلدون(٦) بقولهِ : " فلما تكّررت ممارستهم للبحر وثقافته واستحدثوا بصراء بها فشرهوا إلى الجهاد فيه وأنشئوا السّفن فيه والشّواني وشحنوا الأساطيل بالّرجال والسّلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر٠٠" ٠

١- عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب /١٩؛ سالم وآخرون : تاريخ البحرية الإسلامية /١٤ ٠

٢- الطبري : تاريخ٢/٣٢٩ ٠

٣- ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٢/١٩٥ ٠

٤- ينظر: عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب /٢٠ ٠

٥- تاريخ ١/٣١٣ ٠

٦- تاريخ ١/٣١٣-٣١٤ ٠

أضف الى ذلك أن الأشعار العربية والتي تعد مصدراً من مصادر التاريخ ، ذكرت ألفاظ عديدة كالبحر والمحيط والخليج ، ووصفوا جمال البحار وسكونها، وهذا يدل على معرفتهم بهذا المجال(١)٠

ويعد الإنتصار الحاسم الذي أحرزه ُالمسلمون على الجيوش البيزنطية في موقعة اليرموك سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م ، بمثابة نقطة تحول هامة في حركة الفتوح الإسلامية، أدت إلى إنهيار قوة الروم، وإنفصال الشام عن جسم الإمبراطورية البيزنطية(٢) وقويت الدولة الإسلامية , وشعر المسلمون بعد أن فتحوا بلاداً تطل على البحر المتوسط بضرورة إقامة سياسة بحرية لمواجهة غارات الروم , الذين كانت لهم السيطرة على هذا البحر(٣)٠

أما عن نهي وتحذير الخليفة عمر بن الخطاب للمسلمين من ركوب البحار(٤) فإنهُ لم يكن خوفاً أو خشية ، بل كان لبعد نظر ، فالمسلمون حديثي عهد في هذا المجال ، مقارنةً بالبيزنطيين الذين إعتادوا على البحار(٥) فقد أدرك المسلمون مدى الخطر الذي يشكلهُ الأسطول البيزنطي على السواحل الإسلامية(٦) لذلك إنتهجوا سياسة بحرية دفاعية لمواجهة

---

١ - شبه الأعشى جمال المرأة بجمال البحار قائلاً :

كجمانة البحر جاء بها ** غواصها من لجة البحر٠ للمزيد ينظر : عطوان : وصف البحر والنهر في الشعر العربي / ٢٢ ٠

٢ –. الواقدي : فتوح الشام /٢٢٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٢٥٥ ٠

٣ - سالم وآخرون : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس/١٥ ٠

٤ - فقد أدب العلاء بن الحضرمي والي البحرين، لتغريره بالمسلمين في الخليج العربي ، وعرضهم للهلاك سنة ١٧هـ/٦٣٨م ؛ ولومه لعرفجة بن هرثمة الأزديّ سيّد بجيلة لّما أغزاه عّمان ، فبلغه غزوة في البحر فأنكر عليه وعنّفه أنّه ركب البحر للغزو ٠الطبري : تاريخ ٤/٨٠؛ ابن خلدون : تاريخ ١/٣١٣ ٠

٥ - سالم وآخرون : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس /١٥؛ عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب /٢١ ٠

٦ - العسلي : فن الحرب ٢/٢١٦ ٠

هذا الخطر ، فقد عمد الخليفة عمر بن الخطاب الى تحصين السواحل وترتيب المقاتلة فيها وأقام الحرس على مناظرها (١)٠

كما أدركوا أهمية تطوير إسطولهم البحري في سواحل البحر المتوسط ، للدفاع عن فتوحاتهم ، التي بذلوا أرواحهم في سبيلها حتى ملكو البر , فنظروا الى البحر على أنهُ لايزال في قبضة الدولة البيزنطية(٢) وبعبارة أوضح حسب قول العسلي (٣) " إن من يفرض سيطرتهُ على البحر المتوسط يستطيع التحكم بقارات ثلاثة ، آسيا وإفريقيا وأوروبا "٠

وأرسل الخليفة عثمان بن عفان حملة بحرية الى إفريقية سنة ٢٧هـ /٦٤٧م ، بقيادة عبد الله بن أبي سرح ، إستطاع المسلمون فيها من تحقيق الإنتصار ، وإجتياز طرابلس ، والإستيلاء على سفن الروم(٤) وفي نفس السنة سمح الخليفة عثمان بن عفان لمعاوية بن أبي سفيان ركوب البحر لفتح مدينة قبرص ، بشرط أن يصطحب الأخير معهُ إمرأتهُ في هذهِ الغزوة (٥) , وتعد هذهِ الإجراءات البحرية في عهد عثمان ، دليلاً واضحاً على أن المسلمين كانوا لايهابون ركوب البحر ، لكنهم كانوا حذرين منه٠

وسار قادة الفتح على نفس السياسة التي إنتهجها الخلفاء من قبلهم ، فقد أدركوا أهمية المدن الساحلية ، لذلك عمدوا الى فتحها فبعدما أكمل عمرو بن العاص فتح مدينة برقة ،

١- سالم وآخرون : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس/ ١٦ ٠

٢- ابو خليل : فتح صقلية /٦-٧ ٠

٣- فن الحرب ١/١٩٣ ٠

٤- البلاذري : فتوح البلدان /٢٢٤ ٠

٥- البلاذري : فتوح البلدان /١٥٣ ٠

جهز جيشاً لفتح مدينة طرابلس الساحلية، وكانت لحالة المد والجزر اثر كبير في فتحها ، وكان توجه المسلمين اليها ، لتأمين المدن الإسلامية من أي خطر خارجي(١) بعد ذلك أرسل قوة عسكرية لفتح مدينة سبرت الساحلية(٢)٠

وإكتفت الخلافة الإسلامية بفتح هذه المدن ، وأصدرت الأوامر لعمرو بن العاص بالعودة لمصر ، لكن بعدما تسلم الخلافة عثمان بن عفان ، سرعان ما عين عبدالله بن سعد بن أبي سرح والياً على مصر ، الذي إستأنف عمليات الفتح في بلاد المغرب ، وعاود فتح المدن الساحلية مرة أخرى(٣)٠

والجدير بالذكر أن هؤلاء القادة إتخذوا الطرق الساحلية ، وتحاشوا الطرق الصحراوية ، أثناء مسيرهم لفتح لهذه المدن ، والسبب في ذلك يعود لكون الطرق الساحلية مأهولة بالسكان والمدن العمرانية ، وتتوفر بها كل المستلزمات المطلوبة من مأكل ومشرب ، والتي يحتاجها الجند أثناء المسير(٤)٠

وقد إعتمد المسلمون في فتح المدن الساحلية على الأساطيل البحرية المصرية ، في نقل المؤن والجند والغنائم ، حيث كانت في مدينة الأسكندرية دار لصناعة السفن ، تنتج سفناً تجارية وحربية(٥) , فقد جهز معاوية بن حديج ، مائتي مركب ، لمهاجمة القواعد البحرية

١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٣٠؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢/٢٠٤ ٠

٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب /٢٣١ ٠

٣- ابن عذاري : البيان المغرب ١/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢/٤٦٢ ؛ العبادي :دراسات في تاريخ المغرب والأندلس / ٣٦ ٠

٤- بيضون : الدولة العربية في أسبانيا/ ٢٥ ٠

٥- سالم وآخرون : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والاندلس / ٢٥ ٠

للروم المنهزمين(١) في جزيرة صقلية ، وتمكن من دخول هذهِ الجزيرة (٢) , كما تولى مسؤلية القيادة لفتح المدن الساحلية ، كمدينة بنزرت (٣) للقضاء على فلول الروم ، وإحباط محاولاتهم بإسترجاع المدن(٤) لذلك أعتبر من القادة الأوائل في الغزوات البحرية(٥).

ويدل إختيار القادة المسلمين للمواقع العسكرية القريبة من البحار , على مدى إدراكهم لدور هذا العامل الجغرافي ، فقد وقع الإختيار على مدينة القرن ، في عهد معاوية بن حديج ، لتكون مركزاً للعمليات العسكرية ، وهذا الموقع سهل عليهم المرابطة والجهاد ، وإستئناف عمليات الفتح (٦) فمنها أرسل ابن حديج ، عبد الله بن الزبير لتتبع فلول الروم ، وإستطاع

١- عندما دخل معاوية بن حديج الى إفريقية ، بعث ملك الروم بطريقاً يقال له نجفورا ، في ثلاثين ألف مقاتل فنزل الساحل ، فخرج إليه المسلمون في خيل كثيفة ، فلما بلغهُ قدوم المسلمين ، أقلع في البحر منهزماً من غير قتال ، وأختلف المؤرخون في تاريخ هذهِ الحادثة ، فقيل في سنة ٤١هـ/٦٦١م. ينظر : البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ٥٨، وقيل في سنة ٤٥هـ /٦٦٥م .ينظر : ابن عذاري : البيان المغرب ١/ ١٦-١٧؛ المالكي : رياض النفوس١/ ٢٨؛ النويري : نهاية الأرب٢٤/١٨؛ ويرى مؤنس عدم صحة هذا التحديد ، ويرجح أنها كانت في سنة ٢٦هـ / ٦٤٦م. ينظر : فتح العرب للمغرب /١٢٦ .

٢- ابن عذاري : البيان المغرب ١/١٦ .

٣- وهي مدينة على البحر , بينها وبين تونس يومين , يشقها نهر كبير , فيها اثار , ولها سور عظيم, وتتميز بكثرة غلاتها . البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ٥٨؛ مؤلف مجهول :الإستبصار /١٢٥ .

٤- الدباغ : معالم الإيمان /٤٥؛ المالكي : رياض النفوس ١/ ٣٠ ؛ مؤنس : فتح العرب للمغرب/١٢٢ .

٥- البلاذري : فتوح البلدان / ٢٣٣ .

٦- ابن عبد الحكم : تاريخ إفريقية والمغرب /٢٦١؛ الدباغ : معالم الإيمان / ٤٤-٤٥؛ سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي /١١٤؛ مؤنس : فتح العرب للمغرب /١٢١ .

الأخير بعد مناوشات إلحاق الهزيمة بالروم ، والدخول الى مدينة سوسة ، وجمع الغنائم ، والعودة بعد ذلك الى القاعدة العسكرية في القرن (١)٠

ولم ينفرد ابن حديج بهذا الحس العسكري ، بل أدرك القادة المسلمون أهمية هذهِ المدن أيضاً ، فبعدما تولى رويفع بن ثابت الأنصاري(٢) مدينة طرابلس في عهد ابن حديج ، سارع بعبور البحر، ليحكم سيطرتهِ على مدينة جربة (٣) الساحلية، وتمكن من فتحها(٤)٠

ويرى مؤنس أن الحملات البحرية في عهد معاوية بن حديج ، لم تكن ذات المستوى المطلوب ، وإنما كانت غارات خاطفه لم تحقق الأهداف المطلوبة ، وإنما كانت مجرد غزوة للغنائم فقط ، من دون تثبيت قدم للمسلمين ، وهي بداية الغارات الأولى على الساحل البيزنطي(٥)٠

وقد لا نتفق مع هذا الرأي ، فإبن حديج خلد آثاراً حسنة في إفريقية(٦) فقد نشر الإسلام بين صفوف البربر(٧) لذلك لم يترك قائداً أو عاملاً في المدن المفتوحة ، وأكتفى بالبربر لإبعاد الخطر البيزنطي ، فضلاً عن ذلك أن حملاتُه البحرية كانت ذات أهداف واضحة ، وهي السيطرة على المدن الحيوية ، التي تعد من مفاصل إفريقية الثلاثة (بنزرت ، سوسة ، جلولا)

---

١ - البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٣٤ ؛ الدباغ : معالم الإيمان /٤٣ ٠

٢ - من الصحابة ، وأحد الرواة , روي عن الرسول محمد (ص) ، شهد فتح مصر ، وغزا إفريقية , توفي في برقة وهو أميراً عليها لمسلمة بن مخلد والي مصر سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م٠المالكي : رياض النفوس ٨١/١ ٠

٣ - وهي جزيرة في بحر إفريقية أقرب البلاد اليها مدينة قابس , يسكنها البربر, بينها وبين البر مجاز , وتتميز بكثرة بساتينها ٠ البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ١٩؛ الحموي : معجم البلدان ١١٨/٢؛ الحميري : الروض المعطار / ١٥٨ ٠

٤ - البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك/ ١٩ ٠

٥ - فتح العرب للمغرب/ ١٢٧ ٠

٦ - السلاوي : الإستقصا ١٣٤/١ ٠

٧ - خطاب : قادة فتح المغرب العربي٨٩/١ ٠

، وبالفعل تمكن المسلمون من تحقيق هذا الهدف(١)٠

أما عقبة بن نافع فقد إتبع سياسة الخلفاء بالحذر من البحار ، فعندما عزم على بناء مدينة القيروان ، أشار عليهِ المسلمون أن تكون قريبة من البحر ، حتى يحصلوا على فضل الجهاد والمرابطة(٢) , لكن الحس العسكري لعقبة بن نافع كان أبعد من رغبات المسلمين ، فهو يدرك مدى تفوق وقوة الروم في البحر، وفي نفس الوقت لم يحرِم المسلمين من الحصول على مايرغبون بهِ ، ويتضح ذلك من خلال قولهِ : " إني أخاف ان يطرقها صاحب القسطنطينية, فيهلكها صاحب البحر ، لكن إجعلوا بينها وبين البحر مالا تقصر فيه الصلاة ، فأهلها مرابطون" (٣) وعندما وصل الى طنجة , نزل على البحر المحيط ، فأشار عليه المسلمون بقولهم" هذا بحر لاترومه٠٠٠" ، فإكتفى عقبة بإقحام فرسهِ على سواحل هذا البحر ورفع يديهِ الى السماء داعياً " اللهم إشهد أني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد ، أقاتل من كفر بك ، حتى لايعبد أحد من دونك" (٤)٠

والجدير بالذكر أن السياسة العسكرية التي إتبعها عقبة بن نافع ، وحذرِه من قوة الروم البحرية ، لا تتناقض مع إمتلاك المسلمين قوة بحرية ، إستطاعوا من خلالها هزيمة الروم في معركة ذات الصواري سنة ٣٤هـ/٦٥٤م (٥) بل تدل على الوعي العسكري ، فمن واجبات القائد الحذر ، وعدم الإستهانه بقوة الأعداء ، وهذا ما أشار إليه الهرثمي(٦) بقوله : " إجعل الحذر رأس مكيدتك٠٠ولاتستمع لمن يهونون لك أمر عدوك ٠٠فربما كان في ذلك ما يرجع بالمكروه عليك٠٠" ٠

١- الصلابي : الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي/١١٤ ٠

٢- فمن شروط المرابطة في الإسلام ، خروج المسلمين للجهاد والسكن على سواحل البحار٠ينظر : الدباغ : معالم الإيمان / ٩ ٠

٣- مؤلف مجهول : الإستبصار /١١٣؛ الدباغ : معالم الإيمان / ٩ ٠

٤- ابن عبد الحكم : تاريخ مصر والمغرب /٢٦٤؛ المالكي : رياض النفوس ٣٨/١-٣٩ ٠

٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٥٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨٠/١ ٠

٦- مختصر سياسة الحروب / ١٩ ٠

والمتتبع لسير الفتوحات في بلاد المغرب يرى بأن المسلمين كانوا لايفضلون البقاء في المدن الساحليه بعد تحريرها ، والسبب في ذلك كما يعلل العبادي ، هو حذرهم من عودة الأسطول البيزنطي لتلك المناطق ، والذي كان يتفوق عليهم بالعدة والعدد (١) , وهذهِ الإستيراتيجية أثرت على معنويات المقاتلين المسلمين ، وكانت سبباً في مقتل قياداتهم العسكرية ، فعندما سار زهير بن قيس من برقة الى القيروان لملاقات كسيلة سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م ، إستغل الروم الفراغ العسكري في برقة ، خصوصاً وأن المسلمين لم يتركوا عليها حاميات عسكرية ، وخرجوا من جزيرة صقلية في مراكب كثيرة وقوة عظيمة ، فأغاروا عليها وأصابوا فيها سبياً كثيراً وقتلوا ونـهبوا، وأقاموا بها مدة أربعين يوماً ، فلما علم زهير ، هّم بالرجوع الى برقة ، وعندما وصل الى ساحل مدينة درنة ، التي إتخذها الروم مركزاً لهم ، دارت بينهُ وبين الروم معركة أدت الى إستشهادهِ(٢)٠

وبإستشهاد زهير بن قيس ، إستطاع الروم أن يستعيدوا قوتهم ، ويفرضوا سيطرتهم على أجزاء من الساحل الإفريقي (٣) , لذلك أدرك أبو المهاجر دينار أهمية الساحل (٤) الممتد من بنزرت إلى طنجة ، الذي كان بمثابة أرض خصبة ومرتع وموطن للروم ، وعزم على تطهير تلك المناطق منهم ، وسار بجيشهِ إلى قرطاجنة ، وفرض الحصار عليها ، وتصالح مع أهلها بشرط تنازلهم عن المناطق التي سيطر عليها المسلمون كجزيرة شريك (٥) التي كانت مركزاً لتحشد الروم ، ويتضح من خلال ذلك مدى الوعي العسكري لهذا القائد ، فقد فضل السيطرة

---

١ - دراسات في تاريخ المغرب والأندلس /٧ ٠

٢ - المالكي : رياض النفوس ١/٤٨ ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٣/٢٠٩ ؛ ابو عبية : موجز عن الفتوحات ١/٧٨ ؛ سالم : تاريخ المغرب الكبير ٢/٢٣٩ ٠

٣ - مؤنس : فتح العرب للمغرب /٢٢٩؛ ابو عبية : موجز عن الفتوحات ١/٧٩ ٠

٤ - لقبال : المغرب الإسلامي /٣٩ ٠

٥ - وتقع بين سوسه وتونس , وهي عامرة , كثيرة الخيرات والزروع , وسميت بهذا الاسم نسبة الى واليها شريك العبسي , وقصبتها تدعى باشو ٠ البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٤٥؛ ابن أبي دينار : المؤنس / ٣٦ ٠

على هذهِ الجزيرة ، ليتخذها قاعدة لإنطلاق الجيش الإسلامي ، بدل الأموال التي عرضت عليه مقابل الصلح (١)٠

وفي سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م إستغل الروم الصراع الدائر بين الكاهنة وحسان بن النعمان، وخروج الأخير من المدن الإفريقية ، فسارعوا بتجهيز أسطول بحري نحو قرطاجنة ، وتمكنوا من دخول المدينة (٢) وقيل أن حسان بن النعمان بعدما قضى على الكاهنة ، جهز حملة بحرية في سنة ٨٢هـ /٧٠١م ، وكان الغرض منها إبعاد الخطر البيزنطي عن مدينة القيروان , وتأمين خطوط مواصلاتهِ المتوغلة في العمق , وإحباط أي عمل من شأنه أن يعطل فاعليتها , فضلاً عن كونها تزيد من معنويات القوات المتقدمة (٣)٠

وبالفعل تمكن حسان في هذهِ الحملة من إسترجاع مدينة قرطاجنة ، وطرد الروم منها (٤) وقام ببناء مدينة تونس(٥) بإتجاه قرطاجنة ، لتشرف عليها ، وتبعد عنها حوالي ١٢ ميلاً ، لأنَهُ كان يخشى من غزوات الروم البحرية لهذِه المدينة(٦) , ولم يكتفِ المسلمون بفرض سيطرتهم على داخل مدينة تونس ، بل أنشأوا المحارس والمراصد على سواحلها ، وفكروا في

١- المالكي : رياض النفوس ٣١/١ ؛ خطاب : قادة فتح المغرب العربي ١٣٨/١-١٣٩ ٠

٢- مؤنس: فتح العرب للمغرب / ٢٥٤ ٠

٣- مطلوب : حسان بن النعمان الغساني ودوره في تحرير بلاد المغرب العربي/ ٢٣٩ ٠

٤- المالكي : رياض النفوس ٥٧/١؛ النويري : نهاية الأرب ٣٦/٢٤ ٠

٥- بنيت هذهِ المدينة في مكان يدعى شريش ويطلق على مرساها مرسى رادس ، ويطل هذا الموضع على سبخة منفصلة عن البحر بخليج صغير ولضحالة البحيرة عمد حسان الى حفر قناة في وسطها لتمكين السفن من السير فيها٠ البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك/٣٨؛ مطلوب : حسان بن النعمان الغساني ودوره في تحرير بلاد المغرب العربي / ٢٧٢ ٠

٦- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب/ ٣٦ ؛ ابن أبي دينار: المؤنس /٧ ٠

إنشاء ميناء فيها لصناعة السفن الحربية(١)٠

يتضح من خلال الإجراءات الإحترازية التي أتخذها المسلمون لحماية مدينة قرطاجنة من التهديدات البحرية ، أنهم كانوا على مستوى عالي من الخبرة في مجال البحر ، وهذهِ الخبرة ساعدتهم في تحقيق الإنتصار على أعظم الأساطيل البحرية في ذلك الوقت ، أضف الى ذلك أن سيطرة المسلمين على سواحل قرطاجنة وإنشاء ميناء فيها لم تأتي من فراغ ، بل كانوا على علم ودراية بمدى الخطر الذي يشكلهُ الأسطول البيزنطي ، في حال ترك تلك السواحل من دون تحصين ومراقبة٠

والذي يعزز ذلك، أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(٦٥هـ - ٨٦هـ/ ٦٨٤م- ٧٠٥م) (٢)، أمر عاملهُ على إفريقية موسى بن نصير ، أن يقيم بها قاعدة بحرية ، وأرسل لهُ ألف قبطي من مصر ، من صناع السفن ، ليساهموا في بناء الأسطول الإسلامي(٣) وباشر موسى بن نصير بتنفيذ هذهِ الإجراءات ، فخلال المدة مابين سنتي ٨٩هـ - ٩٠هـ / ٧٠٧م- ٧٠٩م ، إهتم بعمران مدينة تونس ، وتوسيع دار صناعة السفن فيها ، وأمر ببناء مائة مركب ، وشق القناة التي تصل الميناء بالمدينة(٤) , وبذلك أصبحت تونس مرفأً مأموناً للسفن الإسلامية ، بفضل موقعها في الداخل ، وبعدها عن خطر الغارات البحرية المفاجئة(٥)٠

وذكر ابن قتيبة : " أن موسى بن نصير عندما عزم على بناء دار صناعة السفن ، عارضهُ بعض المسلمين ، وقالوا له : هذا أمرٌ لانطيقه ، وقام له رجل من البربر ، وقال له ، إن الملوك لايعجزهم شيء بقوتها وقدرتها ٠٠ فإن الله سيعينك ويأجرك على مانويت ، فأُعجب

---

١ - البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك /٣٨ ٠

٢ - ابن الحكم ابن ابي العاص ابن أمية ، ولد سنة ٢٦هـ/٦٤٦م، عهد له أبوه بالخلافة ، ولم تصح خلافتهُ إلا بعدما توفي ابن الزبير سنة ٧٣هـ/ ٦٨٤م ٠السيوطي : تاريخ الخلفاء ١/ ١٦٢ ٠

٣ - ابن أبي دينار : المؤنس /١٢؛ العريني : الدولة البيزنطية /١٦٩ ٠

٤ - ابن ابي دينار: المؤنس/١٢ ٠

٥ - العريني : الدولة البيزنطية /١٦٩ ٠

موسى بهذا القول ، وهّم ببناء دار الصناعة السفن ٠٠"(١)٠

والذي يهمنا من هذهِ الرواية هو إنجازات موسى بن نصير البحرية ، بغض النظر عن الحافز الذي جعلهُ يعزم على إتمام هذهِ المشاريع ، فقد كان لهذا القائد خبرة عسكرية في هذا المجال , وهذهِ الخبرة جاءت من خلال مشاركتهِ بعدة معارك بحرية قبل توليهِ قيادة المغرب (٢) ، لذلك لم يتردد موسى في تقديم النصائح العسكرية للقادة المسلمين في هذا المجال ، فعندما قدم عطاء بن ابي نافع في مراكب مصر قاصداً سردانية ، كتب إليه موسى : أن الوقت غير مناسب لركوب البحر ، ونصحهُ بالبقاء في سوسة ، وتأجيل حملتهِ لوقت مناسب (٣)٠

ولم تقتصر أعمال وإنجازات موسى البحرية عند هذا الحد , وإنما إستطاع من تذليل البحر لصالحهِ ، فعمل على تقوية أسطولهُ البحري في البحر المتوسط , وقام بصناعة السفن، من خلال تقطيع الأشجار ونقلها إلى دور الصناعة عند السواحل المغربية(٤) ، وبذلك شكل خطراً وتهديداً على القواعد البيزنطية في البحر المتوسط ، ويتضح هذا التهديد من خلال إرسالهِ الغزوات البحرية الواحدة تلو الآخرى ، والتي كان أولها غزوة الأشراف(٥) سنة ٨٥هـ/٧٠٤م

---

١ - المنسوب الإمامة والسياسة ٢/٨٠ ٠

٢ - قاد موسى بن نصير البحر أيام معاوية بن أبي سفيان , حيث كان للروم فيها ثغور وقواعد تهدد بلاد الشام , فغزا موسى قبرص وبنى حصوناً فيها , وأقام بها نائباً لمعاوية عليها , وفي سنة ٦٥هـ/٦٨٤م توجه مروان بن الحكم إلى مصر لإستخلاصها من آل الزبير ، وكان موسى يومئذ أبرز قادته ولما تم فتحها تم تعين ابنه عبد العزيز بن مروان والياً عليها ،وعين موسى وزيراً ومشيراً له ٠ ابن قتيبة (المنسوب الإمامة والسياسة) ٢/ ٦٩ ؛ الكندي : الولاة والقضاة / ٣٨ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١/٢٣٥ ٠

٣ - ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/٨٠ ٠

٤ - العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس /٤٦ ٠

٥ - كان من رغبات موسى بن نصير في هذهِ الحملة ، هو مشاركة أهل الجلد والنكاية وأشراف المسلمين (أشراف العرب) فيها ، وبالفعل شاركت هذهِ الصنوف بها ، لذلك سميت بهذا الاسم ٠ ابن قتيبة :(المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/٨١ ؛ خليفة : تاريخ /٣٠٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/٢١٦ ٠

، نحو جزيرة صقلية ، بقيادة إبنهِ عبد الله ، الذي تمكن من دخولها وجمع الغنائم منها(١) ، وعاود مرةً أخرى في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م ، بإرسال حملة بحرية الى الجزيرة نفسها ، وكانت هذهِ المرة بقيادة عياش بن أخيل ، وكان من نتائجها السيطرة على مدينة سرقوسة ، عاصمة صقلية ، فغنمها وجمع ما بها وقفل سالماً غانماً(٢) ، وفي سنة ٨٩هـ/٧٠٨م ، عقد موسى لعبد الله بن مرة ، وأمرهُ بالتوجه الى بحر إفريقية ، وإستطاع الأخير السيطرة على جزيرة سردانية(٣)٠

وبعد أن أتم موسى متطلبات الدفاع عن السواحل الإسلامية ، إنتهج سياسة مهاجمة القواعد البيزنطية القريبة من إفريقية(٤) ، فجهز حملة بقيادة عبد الملك بن قطن لفتح مدينة قوصرة سنة ٨٩هـ/٧٠٨م(٥) وأسباب فتحها تتجلى بموقعها ، وإتخاذها كقاعدة عسكرية ، لمراقبة تحركات الأسطول البيزنطي ، وصد أي هجمات مفاجئة للسواحل الإفريقية(٦) ، كما جهز حملة أخرى بقيادة إبنهِ عبدالله ، إستطاعت فتح جزيرة ميورقة(٧) وغنم مابها(٨) وسبب

١- ابن أبي دينار: المؤنس /١٣؛ سالم وآخرون: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس/ ٣١ ٠

٢- ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٨٢/٢ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٤٢/١ ٠

٣- ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٨٢/٢ ٠

٤- مصطفى : الأندلس في التاريخ /١٥ ٠

٥- ذكرها البكري بإسم (قوسرة) ، وهي جزيرة في بحر الروم ، بين صقلية وإفريقية ، ويسميها العرب بنطلارية٠المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ٤٥ ٠

٦- سالم وآخرون : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس/ ٣٥ ٠

٧- وتسمى منورقة ، تقع شرق الأندلس ، بين صقلية والأندلس، في البحر المتوسط ٠الحموي : معجم البلدان ٢٤٦/٥ ؛ البغدادي مراصد الإطلاع ١٣٤٦/٣ ٠

٨- خليفة : تاريخ / ٣٠٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ٢٣٩/٤ ٠

توجه المسلمين إليها ، كونها ذات موقع إستراتيجي (١) ، فقد كانت بمثابة السد المنيع لساحل الأندلس الشرقي ، وكقاعدة إنطلاق المسلمين للجهاد في سواحل غربي البحر المتوسط وجزره (٢)٠

ويبدو أن هذهِ الحملات البحرية التي شنها موسى بن نصير ، لم تكن إستعراضاً للقوى ، بل كانت كما يقول العريني(٣) : "وفقاً لخطة موضوعة ، وذلك أن موسى كان منصرفاً الى فتح شمال إفريقية الى المحيط الأطلنطي ٠٠٠" ، وإستخدم القوة البحرية لثلاث أسباب هي:

١- حماية مؤخرة الجيش الإسلامي ، من أي تهديد بيزنطي ينطلق من قواعد البحرية البيزنطية ، في صقلية وسردانية وجزر البليار ٠

٢- إخضاع الشاطئ الإفريقي ، من تونس الى سبتة٠

٣- حماية مواصلات الجيش ، ومراقبة تحركات الجيش البيزنطي ٠

١- تتميز هذه الجزر بموقع مهم , حيث تقع بين سواحل شرق أسبانيا وجنوب فرنسا وغرب ايطاليا وجزر سردانيا وسرقوسه وصقلية وسواحل بلاد المغرب الشمالية , لهذا فهي بمثابة حلقة اتصال بحري ومركز صراع دولي ونقطة التقاء حضاري منذ أقدم العصور, لذا كانت تلك الجزر بحكم موقعها على علاقة وثيقة بسواحل البحر المتوسط وجزره وخاصة الغربية منها , لهذا فيمكن القول أنها تمثل بحق حضارة البحر المتوسط , وبحكم موقعها وبفضل خصوبتها وثروتها , فقد جذبت اليها أنظار الغزاة , لذا صارت مركز للصراع البحري , حيث إستولى عليها الرومان والفاندال والبيزنطيين والعرب ٠ سيسالم : جزر الأندلس المنسية / ١٦ ٠

٢- سيسالم : جزر الأندلس المنسية / ١٧ ٠

٣- الدولة البيزنطية/١٧٠ ٠

ومن نتائج هذهِ الحملات البحرية ، أنها عزلت إفريقية عن المؤثرات الخارجية ، فتحقق الإستقرار والأمن في البلاد (١) ، كما كانت هذهِ الحملات بمثابة التدريب العملي للقوات البحرية الإسلامية ، والتي زادة من خبراتهم في هذا المجال ، حيث تمخضت عنها أكبر حملة بحرية لفتح بلاد الأندلس(٢)٠

وتابع ولاة المغرب بعد موسى بن نصير ، سياسة الغزو البحري ضد البيزنطيين ، ففي سنة ١٠٠هـ/٧١٨م ، غزا إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر(٣) بحر إفريقية (٤) وفي سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م ، غزا محمد بن يزيد القرشي (٥) صقلية (٦)٠

وإستمر تصاعد النشاط البحري للمسلمين وخاصة في عهد بشر بن صفوان(٧) ففي

١- العسلي : فن الحرب ١٩٨/٢ ٠

٢- السامرائي وآخرون : تاريخ المغرب العربي /٩٥ ٠

٣- تولى المغرب في عهد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠هـ/٧١٨م ، وقام بنشر تعاليم الإسلام بين البربر ، وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١هـ/٧١٩م ، الذي عزل إسماعيل وولى يزيد بن أبي مسلم على إفريقية ٠ابن عذاري : البيان المغرب ٤٨/١ ٠

٤- المالكي : رياض النفوس ١/ ١٤٢ ٠

٥- ولاهُ سليمان بن عبد الملك ، على إفريقية بعدما عزل عبد الله بن موسى ، وإستمر في ولايتهِ بعد وفاة سليمان ، بإقرار من عمر بن عبد العزيز . الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب/ ٥٨ ؛ ابن الاثير :الكامل في التاريخ ٨٢/٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ٢٤٠/٤ ٠

٦- السلاوي : الأستقصا ١٥٩/١ ٠

٧- بن تويل بن بشر بن حنظلة بن علقمة الكلبي ، ولي مصر وإفريقية في خلافة يزيد بن عبد الملك ، ثم لهشام بن عبد الملك ، وتوفي سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م ٠ الكندي : الولاة والقضاة / ٥٣؛ الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب / ٦٦ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١/ ٤٩ ٠

سنة١٠٣هـ/٧٢١م ، أرسل حملة بحرية بقيادة يزيد بن مسروق اليحصبي(١) إلى جزيرة سردانية ، تمكن المسلمون من خلالها دخول هذهِ الجزيرة (٢) ، وفي سنة ١٠٤ هـ/ ٧٢٢م ، أرسل عمرو بن فاتك الكلبي في البحر فغنم وسلم (٣) ، وفي سنة ١٠٦ هـ/٧٢٤م ، أرسل محمد بن أبي بكير الى سردانية (٤) ، وفي سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م غزا بشر آخر غزو في حياتهِ كانت بقيادتهِ الى جزيرة صقلية ، فأصاب بها سبياً كثيراً (٥) ، ولم تتوقف الحملات البحرية بعد وفاة بشر بن صفوان(٦)٠

ولم يقتصر عمل الولاة على إرسال الحملات العسكرية البحرية فقط , وإنما إهتموا بالأساطيل البحرية , فقد قام الوالي عبيد الله بن الحبحاب بزيادة عدد سفنهِ , ليتسنى له تنفيذ خطتهِ والإستمرار في سياستهِ البحرية الهادفة الى فتح جزيرتي صقلية وسردانية وغيرها

١- وهو القائد الذيأرسلهُ موسى بن نصير وكلفهُ للبحث عن ما تبقى من سفن واصل بن عطاء ، التي غرقت في البحر ٠ ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٢/ ٨١ ٠

٢- خليفة : تاريخ / ٣٢٨ ٠

٣- خليفة : تاريخ / ٣٣٠ ٠

٤- خليفة : تاريخ /٣٣٦ ٠

٥- ابن عذاري : البيان المغرب ٤٩/١ ٠

٦- فقد أرسل الوالي عبيدة بن عبد الرحمن عدة غزوات الى صقلية ، كان أولها سنة ١١٢هـ / ٧٨١م ، بقيادة ثابت بن خيثم٠ خليفة : تاريخ ١/ ٣٤٣ ، وفي سنة ١١٣هـ / ٧٨٢م ، بقيادة أبو عبيدة المستنير بن الحارث ، وقد تكونت هذهِ الحملة من مائة وثمانين مركب لكنها لم تحقق أهدافها٠ ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٩١؛ ابن ابي دينار : المؤنس/ ٣٧ ، وفي السنة نفسها أرسل عبد الملك بن قطن ، وفي سنة ١١٥هـ/ ٧٨٤م أرسل بكر بن سويد ، لكن الروم تصدوا لهُ ، ورموا مراكبه بالنار٠ خليفة : تاريخ ٣٤٥/١-٣٤٦ ٠إما في عهد الوالي ابن الحبحاب فقد برز النشاط البحري ، ففي سنة ١١٦هـ/٧٨٥م، أرسال عثمان بن عبيدة ، فأصاب الأخير ناحية من صقلية ، فلقته الروم في البحر فهزمهم الله ، وفي سنة ١١٨هـ/ ٧٨٧م، أرسل حبيب بن عبيدة إلى الروم فأصاب قرية من سردا نية وأثخن في القتل، وفي سنة ١١٩هـ/ ٧٨٨م، أرسل قثم بن عوانة الكلبي ، فأصاب صقلية٠ ينظر: خليفة : تاريخ ٣٤٧/١-٣٤٩ ٠

من جزر البحر المتوسط التي كانت خاضعة للبيزنطيين(١) كما أكمل بناء مدينة تونس باعتبارها قاعدة المسلمين البحرية في المغرب(٢)٠

ويبدو أن الغزوات البحرية التي قام بها القادة المسلمون في بلاد المغرب ، أثمرت في تذليل الصعوبات البحرية ، وسهلت عليهم العبور الى بلاد الأندلس ، فكما ذكرنا سابقاً أن الأندلس ذات موقع بحري مهم ، فقد يحدها من الشرق البحر المتوسط , ومن الغرب المحيط الأطلسي (٣) وهي شبه جزيرة ، لأن البحار تحيط بها من ثلاث جهات ، عدا حدودها مع فرنسا التي تفصل بينهما جبال البرت(٤)٠

وكانت الطرق البحرية هي الطرق الوحيدة للعبور الى المنطقة ، فبعدما إستكمل المسلمون فتح بلاد المغرب ، إتجهت أنظارهم الى الأندلس ، وأدركوا أهمية المدن الساحلية في بلاد المغرب لتحقيق أهدافهم ، لذلك سارعوا بالسيطرة على مدينة سبتة ، لكن حصانتها كانت سبباً في عدم دخول المسلمين إليها ، ولسوء العلاقة بين لذريق ملك أسبانيا ، وبين ليليان حاكم سبتة , سمح الأخير للمسلمين العبور من هذهِ المدينة للوصول الى الأندلس والقضاء على حاكمها لذريق(٥) , وقيل إن حاكم سبتة إتجه بنفسه إلى طنجة لمقابلة طارق , وعرض عليه المساعدة (٦)٠

١- مؤنس : فتح العرب للمغرب /٢٦٣ ٠

٢- البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك / ٣٩؛ مؤنس : فتح العرب للمغرب /٢٦٣ ٠

٣- ابن غالب : فرحة الأنفس /١٢ ٠

٤- البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا/ ٨٥ ٠

٥- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة /١٥ ؛ المقري : نفح الطيب ١/ ٢٢٩ ٠

٦- ابن القوطية : تاريخ إفتتاح الأندلس / ٣٤ ٠

وعلى الرغم من أن موسى بن نصير كان يتمتع بالخبرة البحرية ، والتي إكتسبها من خلال الغزوات التي خاضها في بلاد المغرب في هذا المجال ، إلا أن الخلفاء المسلمين كانوا حرصين على أرواح المسلمين ، فعندما كتب موسى بن نصير الى الوليد بن عبد الملك ،يستشيرهُ في فتح جزيرة أيبيريا ، كان رد الوليد إليهِ " أن خضها بالسرايا حتى تختبر , ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال " ، فأجابهُ موسى " أنهُ ليس ببحر, وإنما هو خليج يصف صفة ماخلفهِ للناظر"(١).

يتضح من خلال هذهِ المراسلات ، أن موسى بن نصير ميزّ بين البحار والخلجان ، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى معرفتهِ في هذا المجال ، لكنهُ في الوقت نفسهِ لم يخالف أوامر الخليفة ، وأرسل البعوث والسرايا لإستكشاف شبه جزيرة أيبيريا , فإستدعى ليليان وقال له " نحن لأنشك بقولك ولا نرتاب , غير أننا نخاف على المسلمين من بلاد لايعرفونها, وبيننا وبينها البحر, وبينك وبين ملكك حمية الجاهلية , وإتفاق الدين, ولكن إرجع إلى مكانك, واجمع جندك" ..(٢) فجهز يليان مركبين وعبر منها إلى جنوب الأندلس ، فغزا وسبي وغنم ، ويبدو أنه كان الغرض من تلك الحملة هو لمعرفة نوايا يليان وصدقهِ(٣) , بعدها أرسل موسى حملة إستطلاعية بقيادة طريف بن مالك ، وجازت هذهِ الحملة الزقاق ، وهو اسم يطلق على المضيق من سبتة ، بأربعة مراكب ، تعود ملكيتها الى يليان حاكم سبتة ، ونزل طريف بمراكبهِ على جزيرة الأندلس ، والتي سميت فيما بعد بإسمهِ(٤).

نستنتج مما تقدم أن هذهِ الحملات الإستكشافية ، كانت نقطة إنطلاق حقيقية ، وهي إحدى العوامل التي شجعت المسلمين لفتح شبه جزيرة أيبيريا ، فهي بمثابة إعلان للمسلمين

١- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة /١٦؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢/ ٥ .

٢- ابن الكردبوس : الإكتفاء ٢/ ١٠٠٣؛ مؤلف مجهول : فتح الأندلس /١٥ .

٣- مؤنس : فجر الأندلس /١٢٨ .

٤- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة /١٦؛ المقري : نفح الطيب ١/ ٢٢٩ .

بأن الطريق البحري سالك أمامهم ، لتحقيق هذا الغرض ٠

وفي سنة ٩٢هـ/٧١٠م ، إنطلقت الحملة البحرية الى شبه جزيرة أيبيريا ، بقيادة طارق بن زياد ، وإستطاع هذا القائد من خلال هذهِ الحملة ، فرض سيطرتهِ الكاملة على مضيق جبل طارق ، ولاشك أن لهذا المضيق دور مهم في تقدم المسلمين ، حيث ضمن لهم السيطرة على منافذ العبور بين الساحلين ، وسهل عملية الإتصال ووصول الإمدادات المادية والبشرية دون تعرضها لأي خطر ، وأمن مؤخرة القوات الموجودة على الجانب الأيبيري(١)٠

وقد إستخدم المسلمون في هذهِ الحملة السفن الأربعة التي وضعها ليليان في خدمتهم (٢) , ويبدو أن هذهِ الحملة لم تقتصر فقط على سفن ليليان ، بل إستعان المسلمون ببعض القطع من أسطولهم البحري الذي أنتجتهُ دار الصناعة في تونس(٣) , والدليل على ذلك ، أن موسى بن نصير بدأ منذ الوهلة الأولى للحملة ، بتجهيز السفن ، فأصبح عند المسلمين سفنٌ كثيرة ، أرسلها فيما بعد الى طارق، وهي محملة بخمسة ألآف جندي، عندما طلب المعونة(٤)٠

وصورت لنا بعض المصادر التاريخية أن ليليان نقل المسلمين بمراكب تجارية ، على شكل أفواج ، وكان طارق بن زياد في آخرها ، فظن أهل الأندلس أنهم تجار ، ولم يشعروا بهذا التدخل(٥)٠

وقد لانتفق مع هذهِ الرواية ، فالقوط كانوا على علم ودراية بهذهِ الحملة ، فقد كانت الحملة الإستطلاعية التي قادها طريف ، بمثابة تحذير لهم من خطر وتنامي قوة المسلمين ،

١- أحمد : الأهمية السياسية والعسكرية لمضيق جبل طارق / ٣٤٧ ٠

٢- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة /١٧ ٠

٣- سالم : المغرب الكبير ٢/٢٧٣ ٠

٤- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة /١٧ ٠

٥- ينظر : ابن عذارى : البيان المغرب ٢/٦ ٠

لذلك عهد لوذريق الى القائد تدمير ، مسؤولية الدفاع عن المضيق ، أضف الى ذلك أن طارق بن زياد واجهه مقاومة عنيفة أثناء نزولِه على الجبل ، فإذا لم يشعر أهل الأندلس بهذا التدخل ، كما تذكر الرواية ، لما واجهة المسلمون هذهِ المقاومة(١).

أما ماذُكر في الرواية بخصوص أن طارق كان آخر من عبر الى شبه جزيرة أيبيريا ، فهذا أيضاً يتعارض مع الإستيراتيجية العسكرية لدى المسلمين ، فقد كانوا يحرصون في معاركهم وحملاتهم ، أن يكون القائد أول المتقدمين ، وهذا ما حصل فعلاً في هذهِ الحملة ، فعندما وصل طارق الى نقطة العبور ، وقف يباشر عبور بقية المسلمين الى شاطئ أسبانيا الجنوبي ، وذكر المقري أبياتاً شعرية ، تنسب الى طارق ، قيل أنهُ رددها عندما جاز البحر:

ركبنا سفيناً بالمجاز مقيّرا ... عسى أن يكون الله منّا قد إشترى

نفوساً وأموالاً وأهلاً بجنّةٍ ... إذا ما إشتهينا الشيء فيها تيسّــرا

ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا ... إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرا (٢).

ولم تخلو كتب التاريخ من مغالطة آخرى تخص هذهِ الحملة ، فقيل بعدما تمكن المسلمون من النزول على الشؤاطئ الأسبانية ، أراد طارق بن زياد إثارة حماس المسلمين على القتال ، لذلك أمر بحرق السفن التي عبروا بها ، وقال خطبته المشهورة" أيها الناس أين المفر ؟ البحر ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ..." (٣).

١- ينظر : الفصل الثاني من الإطروحة : مبحث (الجبال).

٢- نفح الطيب ١/ ٢٦٥ .

٣- ينظر : ابن قتيبة : (المسوب) الإمامة والسياسة ٢/ ٨٧ ؛ ابن الكردبوس : الإكتفاء ٢/١٠٠٧؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/٥٤٠؛ المقري : نفح الطيب ١/٢٤٠ .

وهذا الفعل إن صح ، فهو يتنافى بطبيعة الحال مع الإسيراتيجية العسكرية ، التي حرص المسلمون على تأمينها في معاركهم ، فهل يعقل أن طارق أمر بإحراق السفن ، وهو بأمس الحاجة الى حماية ظهرهِ ، وإتصالهِ المباشر مع قيادتهِ في بلاد المغرب ؟ أضف الى ذلك أن المسلمون بذلوا الجهود في إنشاء دار صناعة السفن في تونس ، وإستعانوا بالصناعين من مصر ، لبناء هذا الإسطول ، فهل إستهان طارق بكل تلك الجهود ، ليأمر بإحراقها ؟ كما أن هذا الحدث قد تعرض لهُ قليلٌ من المؤرخين المتأخرين ، دون المتقدمين ، وهذا يشير الى عدم شيوعهِ ، وعدم معرفة المؤرخين بهِ ، وهذا الأمر يقلل أو يمحو الثقة من واقعيتهِ(١).

أما بالنسبة الى الخطبة ، فقد شكك بعض الباحثين في صحة نسبها الى طارق (٢) وإن سلمنا بصحتها ، فهذا لايعني إحراق السفن , فطارق بن زياد أراد من خلالها أن يبين أهمية الجهاد وحث المسلمين عليه ، وبعبارة آخرى أراد أن يبين لهم أما النصر أوالشهادة.

والذي يعزز هذا الإستنتاج ، هو حرص طارق بن زياد على إختيار المواقع المناسبة لتعسكر الجيش ، ففي معركة شذونة ، عسكر على الساحل ، لحماية ظهرهِ في حالة الإنسحاب ، ولتأمين الإيصال بمدينة سبتة ، وأقام قاعدة ثانية بمدينة طريف (٣) فكيف تتحقق أهدافهُ من غير السفن الحربية ؟

وقد أدرك قادة الفتح دور البحار ، ويتضح ذلك من خلال الإجراءات الاحترازية التي أتخذها طارق بن زياد ، فبعد أن أمن خطوط مواصلاتهُ ، زحف من طريف باتجاه الشمال ، حتى وصل الى بحيرة لاخاندا ، وجعل هذهِ البحيرة حاجزاً بينهُ وبين القوط ، وبذلك حمى الجهة اليمنى من الجيش من أي هجوم محتمل (٤), وهذا يدل على العقلية العسكرية ، وعلى الخطة

١- للمزيد ينظر : الحجي : التاريخ الأندلسي /٥٩-٦٢ .

٢- ينظر : الحجي: التاريخ الأندلسي /٥٩ .

٣- العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس/٢٩؛ السامرائي وآخرون : تاريخ العرب /٣١ .

٤- مؤنس : فجر الأندلس /١٣٢ .

التعبوية ، التي تضع في حساباتها إحتمال النصر أو الخسارة(١)٠

وبعدما حقق طارق بن زياد الإنتصارات في بلاد الأندلس ، أقلع موسى بن نصير سنة ٩٣هـ/ ٧١١م ، بجيش يقدر بنحو ثمانية عشر ألف مقاتل (٢) من مرسى موسى ، قرب قرية تدعى بليونش ، تقع على بعد ستة أميال من سبتة ، قاصداً الأندلس ، ونزل على ساحل الجزيرة الخضراء(٣) والسبب في إختيارِه لهذِه الجزيرة , كونها ساحلية ومرساها مشتئ مأمون , وميناءها أقرب للعبور من الساحل المغربي الى سبتة(٤)٠

وهنا ينبغي الوقوف عند هذِه الرواية ، فالمسلمون كما ذكرنا سابقاً في بدايتهم الأولى للحملة على الأندلس ٩١-٩٢هـ/ ٧٠٩-٧١٠م ، استعانوا بالسفن التي قدمها يليان ، وبعض القطع البحرية التي صُنعت في دار الصناعة في تونس ، بينما يتضح من خلال حملة موسى ، وكما قدرها المؤرخون بأنها تتألف ثمانية عشر ألف مقاتل ، مدى الإمكانيات البحرية, والتي بدأت تتطور شيئاً فشئ في هذا المجال ، إذ لابد من وجود أسطول بحري متكامل ، يسع هذِه الأعداد من المقاتلين ، وهذا الأمر يجعلنا أمام قناعة ، بأن المسلمين أدركوا أهمية البحار، وحاولوا تطوير قدراتهم في صناعة السفن الحربية خلال هاتين السنتين ، وهذا ما أشار إليه صاحب أخبار مجموعة بقولِه " وكان موسى مذ وجه طارق ، أخذ في عمل السفن ، حتى صارت معهُ سفنٌ كثيرة٠٠٠"(٥)٠

---

١ - طه : دراسات في التاريخ الأندلسي /٢٢ ٠

٢ - مؤلف مجهول :أخبار مجموعة /٤٢؛ المقري : نفح الطيب ١/ ٢٦٩ ٠

٣ - ابن القوطية : تاريخ إفتتاح الأندلس/٣٥؛ مؤلف مجهول : الإستبصار /١٣٨؛ المقري : نفح الطيب ١/ ٢٦٩؛ الغساني : رحلة الوزير في افتكاك الأسير /٣٠ ٠

٤ - ابن غالب : فرحة الأنفس / ٢٥؛ المقري : نفح الطيب ١/١٦٠ ٠

٥ - ينظر : مؤلف مجهول / ١٧ ٠

وقد حرص القادة المسلمون على تأمين وصول الإمدادات الى القطعات العسكرية ، وإتخذوا الطرق البحرية ، التي تمتاز بكونها آمنه وقصيرة ، فعلى سبيل المثال ، سلك موسى بن نصير الطريق البحري الذي يربط الشمال الإفريقي بأسبانيا ، عندما عبر الى شبه الجزيرة الأيبيرية لتقديم المدد الى طارق(١) لذلك كانت من أولوياتهم فتح المدن الساحلية ، ويتضح ذلك من جواب طارق الى موسى بن نصير " أيها الأمير , والله لاأرجع عن قصدي هذا , مالم أنتهي إلى البحر المحيط وأخوض فيه بفرسي "(٢)٠

فبعدما أكمل المسلمون فتح مدينة لاردة ٩٤هـ/٧١٢م ، توجهت أنظارهم نحو مدينة طركونة البحرية وتمكنوا من فتحها ، وأتخذوها قاعدة عسكرية لإستكمال الفتح ، كما أرسلوا في السنة نفسها حملات لفتح المدن الأخرى، كمدينة جيرونة (٣) في الشمال ، وطرطوشة في الجنوب(٤) ومدن أخرى ساحلية ، حتى وصل المسلمون إلى صخرة بلاي(٥) وكانوا يرغبون بفتح المزيد من المدن ، لكن هذِه الرغبة لم تتحقق ، بسبب إستدعاء الوليد لموسى بن نصير(٦)٠

١- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة / ١٧ -٢٤ ؛ العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس /٣٦؛ طه : الفتح والاستقرار /١٥٧ ٠

٢- المقري : نفح الطيب ٢٧٦/١؛ مؤنس : فجر الأندلس /١٤٨ ٠

٣- وتسمى ايضاً جيرنده , مشتقة من اسمها الروماني القديم , وتقع في أقصى الشمال الشرقي , قريبة من الحدود الفرنسية ٠ أرسلان : الحلل السندسية ١٠٤/٢ ٠

٤- المقري : نفح الطيب ٢٧٦/١ ٠

٥- ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٢٨/٥ ٠

٦- السامرائي : الثغر الأعلى / ١٠٢ ٠

وقد واجه المسلمون صعوبة في فتح المدن البحرية الواقعة في إقليم قطلونية (١) كمدينة طرطوشة الواقعة على الساحل ، كونها محصنة بالأسوار , ولها أربعة أبواب ، وهذهِ الحصانة آثارت قلق المسلمين ، ويتضح ذلك من خلال قول حنش الصنعاني(٢) لموسى بن نصير " أيها الأمير ، إني سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع ٠٠٠لقد غرر بنفسهِ ومن معهُ ، أما كان معهُ رجل رشيد ؟ وأنا رشيدك اليوم ، أين تذهب ؟ تريد أن تخرج من الدنيا ، أو تلتمس أكثر مما أتاك الله ٠٠" ، فأجابهُ موسى " أما والله ، لو إنقادوا لي ، لقدتهم إلى رومية٠٠"(٣) أي المسلمين ، ويتضح من هذهِ الإجابة إصرار وعزيمة موسى على فتح هذهِ المدن ، كما يتضح مدى معرفتة بمدن هذا الأقليم (٤) لذلك سارع في وضع خطة حربية ، إستطاع من خلالها فتح طرطوشة ، فقام بتوزيع الجيش على أبواب المدينة ، وتمكن من دخولها (٥)٠

وفي عهد الوالي السمح بن مالك الخولاني, إتخذ المسلمون من مدينة برشلونة قاعدة عسكرية لهم ، إثناء توجههم لفتح بلاد غالة ، كونها ذات موقع بحري مهم ، يصلح لرسو السفن(٦) ومنها توجه الى أربونة عاصمة سبتمانية(٧)٠

١- وتسمى كتلونية ، وهي بلاد مستقلة عن أسبانيا ، يحدها من الشمال جبال البرانس ، ومن الغرب بلاد أرغون ، ومن الجنوب ولاية بلنسية ، ومن الشرق البحر المتوسط٠أرسلان : الحلل السندسية ٢/ ١٩٩ ٠

٢-بن عبدالله بن عمر بن حنظلة ، يكنى أبا رشدين ، وقيل سمي بالصنعاني لأنهُ ولد في صنعاء، وهو من التابعين ، كان مع الإمام علي (ع) في الكوفة ، وقدم الى مصر بعد إستشهاد الإمام ، وشارك بعدة غزوات في بلاد المغرب والأندلس٠الحميدي : جذوة المقتبس ٢٠١/١ ؛ الدباغ : معالم الإيمان /١٨٧ ٠

٣- ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة٩٤/٢ ٠

٤- السامرائي : الثغر الأعلى/٨٠ ٠

٥- ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة٩٣/٢ ٠

٦- المزروع : جهاد المسلمين خلف جهاد ألبرت/٦٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم /٥٢ ٠

٧- السامرائي : الثغر الأعلى/١٢٦؛ سبتمانية : وهو الاسم الذي يطلق على بلاد اللانغدوق ، أي المدن السبعة ، وهي أربونة ونيم وواقد وبيزيه ولوديق وقرقشونة وماجلون ٠أرسلان: الحلل السندسية ٥٠/١ ٠

وقد إكتسبت مدينة أربونة أهمية عسكرية لدى المسلمين ، وبقيت قاعدتهم لفتح مناطق جنوب فرنسا , والسبب في ذلك قربها من البحر ، الذي يسهل على المسلمين تلقي الإمدادات عن طريق الأساطيل البحرية بدلاً من عبور جبال البرت المليئة بالمخاطر(١) , فبعدما إنهزم المسلمون وقتل السمح خلف جبال البرت ، حرص والي الأندلس عنبسة بن سحيم ، على إزالة الآثار السلبية التي أصابت المسلمين عقب هذه الخسارة ، ففي أواخر سنة ١٠٥هـ/٧٣٤م ، إستنفر هذا الوالي المجاهدين ، وإنطلق من القاعدة برشلونة ، وعبر ممر بارينيان ، وإستقر في القاعدة الثانية أربونة ، وعمل على تدعيم خطوطها الدفاعية ، فقام بتحصينها ، وشحنها بالرجال والسلاح ، وسار منها بمحاذاة البحر ، وهو بهذا المسير خالف مسير السمح الذي سار في وسط غالة ، وبذلك استطاع المسلمون ، إستعادة المدن التي خسروها في معاركهم ، كمدينة سبتمانيا ونيم(٢)٠

وإستمر الولاة المسلمين في حرصهم على تحصين مدينة أربونة كقاعدة بحرية ، والحفاظ عليها ، ودفع المخاطر عنها ، ففي سنة ١١٧هـ/٧٣٥م ، أرسل الوالي عقبة بن حجاج ، حملة بحرية لتقديم المساعدات إليها ، بعدما قطع عنها الإتصال بالأندلس ، بسبب المقاومة الإسبانية في جبال ألبرت ، إلا أن هذه الحملة لم تنجح في إنقاذ المدينة ، لأن شارل مارتل تمكن من دحرها بعد مدة وجيزة من نزولها على الشاطئ ، لكنهُ في الوقت نفسه لم يتمكن من دخول المدينة بسبب مقاومة أهلها, وبقيت قاعدة عسكرية حتى عهد الإمارة الأموية(٣)٠

ومن هنا جاءت أهمية الممرات الشرقية التي سارت فيها القوات الإسلامية إلى فرنسا ،

١-الحميري : الروض المعطار / ٨٦ ؛ ارسلان : تاريخ غزوات العرب /١٣١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس /٥١ ٠

٢- السامرائي : الثغر الأعلى /١٢٨؛ طه : دراسات أندلسية /٥٤ ؛ سالم : تاريخ المسلمين / ١٣٨-١٣٩

٣- طه : دراسات أندلسية/٦٩ ؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس /٦٣ ٠

وذلك لمجاورتها للبحر ، الذي يمكن إستخدامُه عند الحاجة , فمدن طركونة وبرشلونة البحرية قد ساهمتا في إرسال سفن النجدة لفك الحصار عن أربونة(١)٠

والجدير بالذكر أن أهمية الممرات البحرية لم تقتصر عند هذا الحد ، بل كان لها دور كبير في تحديد نتائج المعارك ، فمن أهم أسباب هزيمة عبدالرحمن الغافقي ، في معركة بلاط الشهداء ، أن هذا القائد لم يسلك الطريق البحري ، وإنما سلك الطريق الجبلي الوعر المليء بالمخاطر, مما أدى إلى إبتعادِه عن مراكز التموين , وبالتالي إنتهت المعركة التي خاضها مع الإفرنج بهزيمتهِ(٢)٠

---

١ -السامرائي : الثغر الأعلى / ١٤٥ ٠

٢ - طه : دراسات أندلسية / ٦١؛ السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس /٥٧ ٠

المبحث الثاني : الآبار والعيون

عرفت الآبار منذ القدم على أنها المصدر الرئيسي لإستخراج المياه الجوفية من داخل الطبقات الأرضية , وهي على شكل ثقب إسطواني الشكل يخترق الطبقات الحاملة للماء , وتتجمع فيه المياه (١)٠

أما العيون فهي نقطة تدفّق المياه الجوفّية خارج الأرض ، حيث يقابل سطح الطبقة الجوفية السطح الأرضي ، معتمد على مصدر مائي ثابت مثل تغلغل المطر ، أو ذوبان الجليد تحت الأرض(٢)٠

وكان للآبار والعيون تأثير على سير المعارك ، لذلك حرص المسلمون على تهيأتها أثناء المسير لملاقات العدو ، ويتضح ذلك من خلال النصائح العسكرية التي قدمها الهرثمي للقادة العسكرين ، حيث قال : " أجعل رجلاً من أهل الصرامة ٠٠٠لحفر الآبار وتنقيتها ، وما أشبه ذلك"(٣)٠

كما يتضح من خلال إقتران أسماء القادةبمواضع المياه ، مدى أهمية هذا العامل ودورهُ في سير المعارك، فهي من الضروريات التي يجب توفرها وخاصة في القواعد العسكرية ، ومن بين تلك التسميات (آبار حديج) ، التي إحتفرها معاوية بن حديج في مدينة القرن ، لتزويد المقاتلة والخيول بما يحتاجونهُ من المياه(٤) , كما أطلقت تسمية (عيون أبي المهاجر) على عيون المياه في مدينة تلمسان ، نسبة الى أبي المهاجر دينار ، الذي إتبع سياسة جديدة تجاه البربر تختلف عن سابقيه , حيث أحسن معاملتهم, مما أدى إلى جذب أعداد كبيرة إليه ،

---

١ - الزوكة : جغرافية المياه / ٢٨١ ٠

٢ - الزوكة : جغرافية المياه / ٢٧٤ ٠

٣ - مختصر سياسة الحروب /٢٩ ٠

٤ - المالكي : رياض النفوس ٣٠/١؛ الدباغ : معالم الإيمان /٤٥؛ لقبال : المغرب الإسلامي /٢٧ ٠

ومنهم كسيله البربري ، واتجه الى إفريقية ، ففتح كل مامر به حتى انتهى إلى هذهِ العيون(١) ، ومن التسميات الأخر ، التي مازالت الى وقتنا الحاضر هو (بئر الكاهنة) ، وهو الموضع الذي قتل فيه حسان بن النعمان الكاهنة في جبال الأوراس (٢)٠

وقد أشار ابن خلدون(٣) الى ضرورة توفر عدة عوامل في إختيار موضع المدن ، منها توفر المياه ، فقال " ٠٠ وأمّا جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها الماء ، بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ثّرة ، فإنّ وجود الماء قريباً من البلد يسّهل على السّاكن حاجة الماء وهي ضروريّة فيكون لهم في وجودهِ مرفقة عظيمة عامّة٠٠" ٠

ومن خلال هذا النص يتضح لنا أن عقبة بن نافع ، قد أغفل عن نقطة مهمة عند إختيارهِ موضع القيروان ، وهي مسألة توفير المياه العذبة ، إذ ليس بالمدينة نهر جار أو عيون وفيرة المياه , إنما تعتمد على مياه الأمطار التي تسقط في فصل الشتاء، وتتجمع في برك صغيرة تسمى المواجل , إضافة إلى الآبار, كما أن هناك وادي فيها يسمى بوادي السراويل يجري به ماء مالح ، غير صالح للشرب(٤)٠

لكن عقبة عالج هذهِ النقطة ، وقام بإختطاط المسجد الجامع ودارة الإمارة ، بالقرب من بئر(أم عياض) ، الذي يتصف بمياههِ العذبة ، فلا يعقل أن لا يكون بالقرب منهما بئر صالح للشرب والوضوء ، لذلك حرص الولاة الذين حكموا بعد عقبة بن نافع ، على إنشاء الصهاريج لخزن مياه الأمطار والسيول(٥)٠

---

١ - المالكي : رياض النفوس ٣٣/١ ؛ الدباغ : معالم الإيمان/٤٦ ٠

٢ - الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية / ٣٣ ؛ الدباغ : معالم الإيمان/٦٧ ٠

٣- تاريخ ٤٣٤/١ ٠

٤ - اليعقوبي : كتاب البلدان /١٨٦؛ الحميري : الروض المعطار / ٤٨٧ ٠

٥ - لقبال : المغرب الإسلامي /٣١ ٠

كما كان لمياه العيون دوراً كبيراً في إنقاذ المسلمين من الهلاك , فهنالك رواية مفادها ، أن عقبة بن نافع لما إنصرف إلى إفريقية ، وصل إلى مكان لم يكن فيه ماء , فأصاب المسلمون العطش ، وأشرفوا على الهلاك , فصلى عقبة ودعا الله عز وجل ,فجعل فرسهُ يبحث الأرض برجليهِ ، حتى إنكشفت عين ماء , فنادى عقبة أصحابهُ وأمرهم أن يحفروا في الموضع ، فحفروا سبعين حفرة ، إنفجر منها الماء ، وشربوا وسقوا وسمي الموضع ماء فرس(١).

ولم تخلو جبهة بلاد المغرب من حرب المياه ، فقد إستعمل العدو جميع الوسائل لإلحاق الهزيمة بالمسلمين ، فبعدما أخضع عقبة بن نافع السوس الأقصى , سار حتى بلغ مدينة طبنة , ورجع منها عائداً الى القيروان مع جندهِ , وأمرهم أن يتفرقوا على شكل أفواج , وسار هو مع عدد قليل من الجند قاصداً تهودا ، لمقاتلة ما بها من البربر , وفي هذهِ الأثناء عمد كسيلة وبالتعاون مع البربر ، الى إعاقة هذا المسير ، فقاموا بطمر الآبار التي كانت منتشرة على طول الطريق الذي يسلكهُ عقبة ، وبالفعل تحقق للعدو مايصبو إليه ، فقد أثر نقص المياه على معنويات المقاتلين المسلمين ، وأدى بالتالي إلى إعاقة تقدمهم ، ومقتل عقبة ومن معهُ من الجند(٢).

وتكرر المشهد نفسه في بلاد الأندلس ، فالمسلمون أدركوا أهمية مياه الآبار والعيون ، لذلك نسبوها لقادة الفتح ، فعلى سبيل المثال أطلقت تسمية (عيون طارق) على عيون المياه التي تبعد عن أستجة أربعة أميال ، والتي مرّ بها طارق أثناء توجهه لفتح هذهِ المدينة ، وشرب من مائها ، لذلك سميت بهذهِ التسمية(٣).

١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٦٤؛ النويري : نهاية الأرب ٢٩/٢٤ .

٢ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب / ٢٦٨؛ - النويري : نهاية الأرب ٢٩/٢٤؛ مؤنس : فتح العرب للمغرب /١٩٧ .

٣- مؤلف مجهول : فتح الأندلس /٢٠ .

وقد ذكرنا فيما سبق ، أن مصادر المياه من أهم مقومات المدن الحصينة ، لذلك توجه القوط الهاربين من قرطبة أثناء دخول المسلمين إليها ، الى كنيسة شنت أجلح ، كونها حصينة (١) يأتيها الماء من تحت الأرض ، من عين في سفح جبل (٢) مما جعل القوط صامدين أمام حصار دام ثلاثة أشهر ، لكن المسلمين إنتبهوا الى هذا الأمر ، فقاموا بقطع مصادر المياه عن الكنيسة ، وأدى هذا بالتالي الى إستسلام المحاصرين ، وفرار حاكمها(٣).

١- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة / ٢١ .

٢- المقري : نفح الطيب ١/ ٢٦٢ .

٣- ابن عذاري : البيان المغرب ٢/١٠ .

المبحث الثالث : الأنهـــــار

لعبت مياه الأنهار دوراً مهماً في فتح بلاد المغرب , فقد أُستخدمت كوسيلة للضغط الإقتصادي على العدو , فبعدما واجه حسان بن النعمان مقاومة عنيفة من سكان مدينة قرطاجنة , أثناء فرض الحصار عليها ، فكر المسلمون بوسيلة تنهي هذهِ المقاومة ، فقاموا بتدمير قنوات الأنهار ، التي كانت تنقل المياه من جبل زغوان الى داخل المدينة ، مما أدى الى نقصان كمية المياه على المحاصرين (١) فإضطر المقاومون الى الإستسلام وطلبوا إيقاف القتال ، فتمكن المسلمون من دخول المدينة بعد فرار أهلها(٢)٠

وشكلت عملية التحكم بالأنهار والسيطرة عليها الظاهرة الرئيسة في فتوحات بلاد المغرب ، من خلال محاولة كلاً من الفريقين الحصول عليها لقطع مصادر التموين عن الآخر ، للتأثير على قوة الخصم لكونها المنافذ التي يتزود من خلالها بالمؤن والإمدادات ، لذلك حرصت القيادات العسكرية على التعسكر قرب الأنهار وروافد المياه ، فعندما سمع كسيلة بقدوم جيش المسلمين الى إفريقية ، بقيادة زهير بن قيس البلوي، سارع بإختيار مدينة ممس ، لتكون معسكراً له(٣) , ويبدو أن إختيار كسيلة لهذهِ المدينة لم يكن من فراغ ، فإحدى الأسباب التي دفعتهُ لإختيارها ، كونها مدينة ذات أنهار ، ويتضح ذلك من خلال مخاطبتهِ للبربر " فيكون عسكرنا بممس ، لأن ماءها كثير٠٠"(٤)٠

كما حرص كلاً من حسان بن النعمان ، والكاهنة ، عندما إلتقيا في وادي مكسيانة ، على إختيار المكان المناسب للتعسكر في نهر نيني ، وإستطاع المسلمون النزول في أعلى النهر

---

١ -لقبال : المغرب الإسلامي / ٦٠ ٠

٢ - ابن عذاري : البيان المغرب ٣٥/١ ٠

٣ - الرقيق القيرواني :تاريخ إفريقية والمغرب / ١٩ ٠

٤ - المالكي : رياض النفوس ٤٧/١ ٠

بينما إستقرت الكاهنة في أسفلهِ ، وجرت بينهما معركة شديدة ، عظم فيها البلاء ، لذلك سمي هذا النهر بنهر البلاء(١)٠

ويمكننا القول أن الأنهار ، هي أحد العوامل الجغرافية التي تحدد مدى صلاحية مكان التعسكر ، وبعبارة أخرى ، أن من شروط التعسكر الجيد ، الذي حرص القادة على تأمينهِ ، هو وجود الأنهار أو قربها من المعسكر ، فمن غير المعقول أن تعسكر الجيوش الباحثة عن الإنتصار ، في أراضي جرداء(٢)٠

وفي الوقت نفسه ، قد تتعرض الأنهار الى بعض المتغيرات الطبيعية ، وهذهِ المتغيرات تكون سبب في فقدان أهمية المعسكرات ، والمثال على ذلك ، عندما توجه موسى بن نصير لمقاتلة قبائل سجومه ، وصل إلى نهر ملوية , فوجده ُفي حالة فيضان ، فكره المقام فيه ، خوفاً على حياة المقاتلين ، وسارع بإجراءات تكتيكية ، تحول دون خسارة المعركة ، فعمل مخاضه غير المخاضة التي عبر منها عقبة بن نافع إثناء توجه إلى تهودا(٣)٠

أما في جبهة بلاد الأندلس ، فقد أدرك المسلمون أهمية الأنهار ، من الناحية العسكرية بإعتبارها موانع طبيعية من الدرجة الأولى ، تقف في وجه القوات المهاجمة وتسهم في توفير حصانة للمدن المحيطة بها ، لذلك سارعوا بإحكام سيطرتهم على نهر برباط في وادي لكة ، كونهُ يخترق بحيرة لاخندا ، ويصب في المحيط الأطلسي ، ولا شك أن هذا النهر ، أحد العوامل الجغرافية التي ساعدت العرب على الإنتصار ، فهو بمثابة حاجز طبيعي يحول بينهم

١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب /٢٧٠؛ الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب / ٢٥؛ الدباغ :معالم الإيمان /٦٢٢ ٠

٢- تزو : فن الحرب / ٥٠ ٠

٣- ابن قتيبة : (المنسوب) الإمامة والسياسة ٧٨/٢ ؛ خطاب : قاد فتح المغرب العربي ٢٣٣/١؛ قطب : ابطال الفتح الإسلامي / ٣١١ ٠

وبين القوط (١) فهنالك رواية مفادها ، أن لوذريق حاول الهرب بعدما هزم في هذهِ المعركة ، فعبر نهر برباط ، وواجهه أثناء العبور عدة معوقات ، حتى إلتصق نعلهُ بالطين ، فتركهُ ومضى ، فلما عثر عليه المسلمون ظنوا أنهُ قد قُتل(٢).

كما قاموا بإنشاء مدن هامة على وديان الأنهار ، كانت بمثابة قواعد عسكرية وخطوط دفاعية ، كمدينة سرقسطة ، التي إتخذت مركزاً للخط الدفاعي الأول في الشمال ، وهو نهر الأبرو ، لذلك سميت هذهِ المدينة بالثغر الأعلى ، كما إتخذت مدينة طليطلة ، مركزاً للخط الدفاعي الثاني ، وهو نهر التاجة ، لذلك سميت هذهِ المدينة بالثغر الأدنى(٣).

وقد واجه المسلمون بعض المعوقات أثناء فتحهم المدن الأندلسية ، لكن هذهِ المعوقات لم تصمد كثيراً أمام حنكة وذكاء قادة الفتح ، فعندما عزم مغيث الرومي على إقتحام قرطبة ، كانت القنطرة التي توصل لهذهِ المدينة مهدمة ، لذلك فكر مغيث بطريقة أخرى ، يستطيع من خلالها عبور النهر ، فأمر الجيش بالسباحة ، والعبور الى ضفة النهر ، وبالفعل إستطاع المسلمون العبور الى الضفة اليمنى من النهر ، ودخول المدينة عنوة (٤) , وذكر إبن عذاري أن أسباب هدم القنطرة كانت أسباب طبيعية ، نتيجة حالة المد التي تعرض لها النهر (٥).

١- ابن عذارى : البيان المغرب ٢/٨ ؛ الفقي : تاريخ المغرب والأندلس / ٣٨ ؛ مؤنس : فجر الأندلس /١٣٢ .

٢- مؤلف مجهول : فتح الأندلس /١٩ .

٣- العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس / ١٩ .

٤- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة /٢٠-٢٢؛ المقري: نفح الطيب ١/ ٢٦١ .

٥- البيان المغرب ٢/٢٦ .

ونظراً لأهمية قنطرة قرطبة (١) التي وصفها الإدريسي(٢) بقولهِ " إن إرتفاعها في أيام جفوف الماء وقلتهِ ثلاثون ذراعاً ، وإذا كان السيل بلغ الماء منها الى نحو حلوقها ٠٠" ، لذلك شهدت هذهِ القنطرة محاولات عديدة لإدامتها في عصر الولاة ، فقد قام السمح بن مالك الخولاني بإعادة بناءها بعد أن تهدمت ، وكتب الى عمر بن عبد العزيز يعلمُه " أن مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها , وكان لها جسر يعبر عليها نهرها ٠٠ فإن أمرني الأمير ببنيان سور المدينة فعلت" ، فكان جواب الأمير بأن تبني قنطرة من صخور السور(٣)٠

كما واجه موسى بن نصير صعوبات في فتح مدينة إشبيلية ، والسبب في ذلك وجود نهر الوادي الكبير ، الواقع على ضفتها اليمنى(٤) , مما جعلها أكثر حصانة وثباتاً أمام هجمات المسلمين (٥) , لذلك فرض موسى الحصار عليها عدة أشهر ، مما أدى الى هلاك أهلها ، الذين سمحوا للمسلمين دخول المدينة دون مقاومة (٦) , ويتضح من خلال الإجراءات التي إتخذها هذا القائد ، مدى وعيهِ العسكري في الحفاظ على المدن المحررة ، فقد إسغل الحصانة

---

١ - تمثل الجسور والقناطر عوامل مساعدة في عبور النهر ، بإعتبارها وسيلة للربط بين ضفتيه ، مما يسهل حركة وإنتقال القوات العسكرية من ضفة لأخرى، لذلك فهي تصبح أهدافا رئيسة تجذب القوات المهاجمة في طريق تقدمها نحو مركز الحدث، فتكون عملية السيطرة على هذه المنشآت من قبل أحد الطرفين المتنازعين حرمان الخصم من هذه الفوائد من خلال تدميرها لأجل فصل المناطق البرية بعضها عن البعض، ولأن إقامة الجسور والقناطر على النهر مثلما يصل بين طرفيه، فإنه يقطع النهر كذلك بصورة عرضية قد يـَحُول دون مرور السفن بانسيابية فيه. الشمري : الملاحة النهرية وإستخداماتها العسكرية / ١٤٧ ٠

٢ - نزهة المشتاق ٢/٥٧٩ ٠

٣ - مؤلف مجهول : اخبار مجموعة / ٣١؛ أرسلان : تاريخ غزوات العرب /٩٩ ؛ المزروع: جهاد المسلمين خلف جبال البرت/ ١٠٨ ٠

٤ - العذري : نصوص عن الأندلس / ٩٥ ٠

٥ - دنيا : موسى بن نصير / ١٥٢ ٠

٦ - المقري : نفح الطيب ١/ ٢٦٩ ٠

الطبيعية لمدينة إشبيلية ، وإتخذها قاعدة عسكرية تحمي المسلمين من أي هجمات (١)٠

ولم يقف الوعي العسكري للقادة المسلمين عند هذا الحد ، فقد حرصوا على إختيار المواقع المناسبة ، القريبة من الأنهار ، لتكون مكاناً لتعسكر جيوشهم ، فعندما سار موسى بن نصير من ماردة الى طليطلة ، وقع إختيارهُ على مكان بين هاتين المدينتين ، يطلق عليه اسم المعرض ، ليكون نقطة إلتقائهِ بطارق بن زياد ، ولاشك أن إختيار موسى لهذا الموضع ، لايخلو من بعد عسكري ، فالمعسكر يقع بين نهري تاجة والتيتار(٢)٠

وأعتقد لوذريق أن موسى بن نصير أخطأ في إختيارهِ لهذا الموقع ، كونهُ بعيد عن مركز الخلافة ، وأن الفرصة سانحة لهُ للقضاء على المسلمين ، لكن هذا الإعتقاد لم يكن في محلهِ ، فلم يلتفت لوذريق الى أهم مقومات المعسكر الجيد ، وهو مصادر المياه ، التي إستغلها المسلمون لصالحهم لتكون أحدى عوامل إنتصارهم على القوط في المعركة التي دارت بينهما سنة ٩٢هـ/٧١٠م ، وإطلق عليها معركة السواقي (٣) أو كما يسميها صاحب أخبار مجموعة (السواني)(٤)٠

١- سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ١/ ٢٩ ٠

٢- إختلفت المصادر العربية في تحديد مكان إلتقاء موسى بن نصير بطارق بن زياد ، فإبن عذاري يقول " إتفق الأكثرون على أن التقاءهما كان على طليطلة ، وذكر الطبري أنه كان على قرطبة، وذكر الرازي أن طارقاً خرج من طليطلة لما بلغه مسيره إليه، فلقيه بمقربة من طلبيرة٠٠" ينظر : البيان المغرب ٢/ ١٦ ٠أما صاحب كتاب أخبار مجموعة ، فيذكر أن اللقاء كان على كورة طلبيرة ، في موضع يقال له (بابد) ، ينظر : مؤلف مجهول /٢٦ ٠ بينما يذكر بعض الباحثين الأجانب ، ومنهم سافدرا ، أن اللقاء كان في ناحية تدعى (Almaraz) ، وهذا الأصح ، فلفظ المعرض الواردة في المصادر الأجنبية ، هي ذات أصل عربي ، وهو مكان على مقربة من طلبيرة على نهر التيتار٠

ينظر : Saavedra:Estudio Sobre La Invasion De Los Arabes En Espana, p.p٩٨

٣- سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس /٩٩؛ مؤنس : فجر الأندلس/١٥٨ ٠

٤- مؤلف مجهول / ١٩ ٠

وتعد مياه الأنهار من المستلزمات الواجب توفرها للجيوش أثناء المسير ، وهذا ما أكد عليه الهرثمي(١) بقولِه " تحر أن تسند ظهور أصحابك الى الأنهار٠٠" ، لذلك كان من الأولويات التي إتخذها القادة المسلمون خلال عمليات الفتح ، هو المسير بمحاذاة الأنهار ، فبعدما تمكنوا من فتح مدينة سرقسطة ٩٤هـ/٧١٢م ، توجهت أنظارهم الى الشمال الأسباني(٢) وسار الجيش الإسلامي بإتجاهين ، الأول كان بقيادة طارق بن زياد ، الذي سار محاذياً للضفة اليسرى لنهر إبرة ، والثاني بقيادة موسى بن نصير ، وكان محاذياً للضفة اليمنى لهذا النهر(٣) وإستطاع المسلمون من خلال هذا المسير إخضاع المدن الأندلسية ومنها ، طركونة ، وبرشلونة ، ووشقة (٤) ولاردة (٥)٠

ويمكننا القول ، إن إختيار القادة لهذِه الطرق لم يكن عفوياً ، بل كان عن تخطيط مسبق ، فلا شك أن المقاتلين بحاجة الى المياه الصالحة للشرب وهذا مانلمسهُ من خلال إستعذاب موسى بن نصير لمياه رافد جلق ، الذي يصب في نهر إبرة ، لذلك لم يتردد هذا القائد من الإستفادة من مياهِ العذبة والشرب منها(٦)٠

١- مختصر سياسة الحروب / ٣١ ٠

٢- لقد كانت كل من سرقسطة وطليطلة وقرطبة من أهم المدن في أسبانيا عبر عصورها الرومانية والقوطية والإسلامية ، لأن كلاً منها كان بمثابة جسر لمن يريد عبور نهر الأبرو والتاجه والوادي الكبير , وهذا الوضع الجغرافي والعسكري جعلها موضع صراع بين المسيحين والمسلمين , فاصبحت بنظر العرب أرض جهاد, وموطن رباط ٠ العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد /١٧ ٠

٣- الحجي : التاريخ الأندلسي / ١٠١؛ سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس/ ١٠٢ ٠

٤- وهي مدينة قديمة ، واقعة شرق سرقسطة ، قريبة من نهر بانشة ، عامرة بالسكان والزروع٠العذري : نصوص عن الأندلس/٥٥ ٠

٥- طه : الفتح والإستقرار / ١٦٦ ٠

٦- المقري : نفح الطيب ١/ ١٥٠؛ السامرائي : الثغر الأعلى الأندلسي / ٧٥ ٠

كما إتخذ الوالي عبد الرحمن الغافقي في ولايتهِ الثانية ١١٤هـ/ ٧٣٢م ، من مدينة أرل ، الواقعة على مصب نهر ردونة ، قاعدة له ، وأرسل منها الجيوش لفتح مدن أقليم أكتانيا(١) ، وإستطاع نشر قواتهِ على الضفة اليسرى لنهر اللوار , فحشد الدوق أودو جيشاً ، والتقى مع المسلمين على ضفاف نهر دوردني ، أحد روافد نهر الجارون ، وكان النصر حليف المسلمين(٢) ويروي المقري أن المسلمين في عهد الوالي عقبة بن حجاج السلولي ، كان رباطهم ومعسكرهم على نهر ردونة(٣).

وهنالك عوامل أخر دفعت المسلمين السير بمحاذاة الأنهار أثناء عمليات الفتح ، فعندما عزم عنبسة بن سحيم على إستكمال فتح بلاد غالة ، سار من مدينة نيم(٤) متبعاً مجرى نهر الرون , كونهُ طريق آمن خالي من أي مقاومة ، فصعد النهر حتى أدرك نهر الساؤون ، وبذلك تمكن هذا الوالي من التوغل في إقليم برجندية (٥).

ويبدو أن مياه الأنهار لم تكن ذات تأثير إيجابي في كل الأوقات ، بل كانت سبباً في خسارة المسلمين في بعض معاركهم ، فعلى سبيل المثال ، إن من أهم أسباب هزيمة

١- من مدن بلاد الغال (فرنسة) ، وتسمى أكوتين ، وهي دوقية مستقلة بذاتها .الفقي : تاريخ المغرب والأندلس /٤٧ .

٢- سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس/ ١٤٢ ؛ الغنيمي : معركة بلاط الشهداء/ ٦٣؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس ١/ ٩٠ .

٣- نفح الطيب ١٩/٣ .

٤- مدينة مشهورة تقع في جنوب فرنسة , وهي ذات اثار رومانية عظيمة . أرسلان : تاريخ غزوات العرب / ١٠٧ .

٥- سالم وآخرون : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس/١٣٨ .وبرجندية من مدن بلاد غالة ، أسسها القبائل الجرمانية التي كانت تعتنق المسيحية .الدوري : بلاد الغال (فرنسا) في مؤلفات العرب المسلمين / ٣٤٠ .

المسلمين ، ومقتل السمح بن مالك ، أثناء محاولتهِ فتح مدينة طولوشة (١) ، سنة ١٠٢هـ/٧٢١م ، هي أسباب طبيعية ، فالمدينة واقعة على هضبة ، تطلّ على نهر الجارون من ضفتهِ اليمنى ، حيث يجري النهر في وادي عميق لايسهل عبورة ، مما فسح المجال أمام سكانها بالدفاع عنها (٢).

١ - وتسمى طولوشة , عاصمة مملكة إقطانية , وتقع على بعد ٦٨١كم جنوب باريس , نشأت على ضفاف نهر الجارون , وتعتبر من المدن المهمة ذات آثار تاريخية . المزروع :جهاد المسلمين خلف جبال البرت /٣٣٧

٢ - السامرائي : معركة بلاط الشهداء /٧ .

إن الدراسة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السامع ، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الإستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس، والعوامل الجغرافية كان لها دور في الفتوحات الإسلامية ، لاسيما في فتوحات المغرب والأندلس ، وقد توصلنا في هذهِ الدراسة الى مجموعة من النتائج ، نجملها بالنقاط التالية :

١ - إن الطبيعة التضاريسية لبلاد المغرب ، شكلت عائقاً أمام تقدم المسلمين ، وجعلتهم يصطدمون بحواجز طبيعية لا تتجانس مع طبيعة أراضيهم ، مما جعل الفتح في بلاد المغرب ، يستغرق وقتاً طويلاً يقدر بسبعين سنة ، قياساً بفتح شبه الجزيرةِ الأيبيرية ، الذي إستغرق أربع سنوات تقريباً٠

٢ - إن تاريخ الفتوحات الإسلامية في المغرب والأندلس ، كان حافلاً بدروس وافية عن إدارة الجيوش والتخطيط للحروب وتنفيذها ، فقد حرص القادة المسلمون على جمع المعلومات عن طبيعة المنطقة وتضاريسها قبل الدخول إليها ، وهذا يدل على تطور الفكر الإستراتيجي العربي الإسلامي ، فعلى سبيل المثال الحملة الإستكشافية التي قادها عبد الله بن الزبير ، سنة ٤٥هـ /٦٦٥م الى منطقة سوسة ، والتي على أثرها تمكن المسلمون دخول المدينة ، كما أرسل طارق بن زياد ، حملة إستكشافية سنة ٩١هـ/٧٠٩م ، قبل الدخول للأندلس ، بقيادة طريف بن مالك ، وأستطاع هذا القائد من خلال هذهِ الحملة جمع المعلومات الكافية ، وصدرت الأوامر للمسلمين لعبور المنطقة٠

٣ - للجبال دور وتأثير في سير المعارك ، لذلك تسعى الجيوش للسيطرة على قممها المرتفعة ، من أجل توفير قوة تكتيكية كبيرة للمدافع ، وسيطرة ميدانية على مسرح العمليات ، كما أن السيطرة على القمم الجبلية تمنح المقاتل القوة ، في حين ينتاب المهاجم للمناطق الجبلية شعوراً بالضعف والإنكشاف لوقوعهِ أسفل المرتفعات ، ولم يغفل المسلمون عن هذا الدور ، فعلى سبيل المثال ، أرسل عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ/٦٤٣م ، قوة عسكرية للسيطرة على جبل نفوسة ، كونهِ ذو موقع جغرافي مهم ، فهو إمتداد لسلاسل جبال أطلس٠

٤ - يبدو واضحاً دور السهول في حسم المعارك لصالح المسلمين ، فهم أكثر معرفة ومراساً بالقتال في هذهِ المناطق من غيرهم ، فعلى سبيل المثال إن التعسكر في المناطق السهلية كان

سبباً في إنتصارهم في عدة معارك ، كمعركة سبيطلة ، ووادي لكة ، كما جعل المسلمون السهول ضرورة في إختيار وبناء المدن ، كمدينة القيروان ، وترشيش التي تحيط بها السهول ، فضلاً عن ذلك أن المسلمين إتخذوا الطرق السهلية أثناء تحركاتهم ، كما فعل طارق بن زياد ، أثناء تحركهِ من جزيرة طريف ، بإتجاه الشمال لملاقات لذريق .

٥- كانت الصحاري أحد العوامل التي ساعدت على حماية بلاد المغرب من الأخطار الخارجية مدة من الزمن ، لذلك حرص القادة المسلمون ، على تأمين المدن الصحراوية ، فعلى سبيل المثال ، أرسل عمرو بن العاص حملة بقيادة عقبة بن نافع لفتح مدينة زويلة وغدامس الصحراوية ، ويبدو أن المسلمين توغلوا في الصحراء أثناء فتحهم بلاد المغرب ، حتى يلجؤا إليها إذا ما فلح عدوهم في قتالهم ، وحتى يحموا ظهورهم بها ، ويتخذوها طريقاً للعودة ، لكنهم في الوقت نفسهِ ، تركوا التوغل بها لضرورة حربية ، وإتخذوا طرقاً أخرى ، فهي قليلة المياه ، كما فعل عقبة بن نافع ، وهذا يدل على معرفة المسلمين بالصحراء وطرقها وأساليب القتال بها .

٦- إتخذت الصخور للتستر ونصب الكمائن ، فعندما توجه موسى بن نصير لفتح مدينة مارد ، قام بإخفاء جزء من قواتهِ خلف الصخور ، وإستطاعت هذهِ القوة مباغتة العدو والإنتصار عليهم ، وعندما هرب بلاي الى مدينة جليقية ، إحتمى بصخرة ، وهذا الأمر صعب على المسلمين تحقيق أهدافهم .

٧- أدرك القادة أهمية ودور المناخ في سير المعارك ، لذلك إتخذوا العديد من الإجراءات الوقائية للحماية من سوء الأحوال المناخية التي تؤثر عليهم سلباً ، فحرصوا على إيقاف القتال في وقت الظهيرة وتحت أشعة الشمس ، كما حصل في معركة سبيطلة التي دارت بين المسلمين والروم ، فكان القتال يبدأ منذ الصباح حتى الظهيرة ، ويرجع كلاً من الطرفين الى معسكراتهم للراحة ، ويستأنف القتال في اليوم التالي .

كما كان للبرد دور سلبي على تحركات المسلمين ، لذلك أجل القادة حملاتهم العسكرية في فصل الشتاء ، فقد أجل بشر بن أرطأة ، حملتهُ العسكرية الى مدينة مغداش ، بسبب أن هذهِ

الحملة كانت في فصل الشتاء ، كما أجل موسى بن نصير حملاتُه العسكرية الى الشمال الشرقي للأندلس ، حتى نهاية فصل الشتاء٠

وحرصوا كذلك على سلامة معداتهم الحربية من هبوب الرياح العالية ، فعلى سبيل المثال أن دار صناعة السفن التي أمر ببنائها موسى بن نصير في تونس ، كانت بمثابة مشتى للمراكب والسفن الإسلامية تقيها من هبوب الرياح العاصفة ٠

٨- كان للمياه دور سلبي أو إيجابي على سير المعارك ، وقد أدرك المسلمون مدى الخطر الذي يشكلُه الأسطول البيزنطي على السواحل الإسلامية ، لذلك إنتهجوا سياسة بحرية دفاعية لمواجهة هذا الخطر ، فقد عمد الخليفة عمر بن الخطاب الى تحصين السواحل وترتيب المقاتلة فيها وأقام الحرس على مناظرها ، وقاموا بفتح المدن الساحلية كمدينتي طرابلس وسبرت٠

ولم تقتصر أهمية المياه عند هذا الحد ، بل إتخذ المسلمون الطرق الساحلية ، أثناء فتح بلاد الأندلس ، كونها طرق آمنة وعامرة ، وقاموا بإنشاء دار صناعة السفن ، وهذا الإنجاز كان رداً على بعض الآراء القائلة ، أن المسلمون يخافون ركوب البحار ٠

وشكلت عملية التحكم بالأنهار والسيطرة عليها الظاهرة الرئيسة في فتوحات بلاد المغرب والأندلس ، من خلال محاولة كلاً من الفريقين الحصول عليها لقطع مصادر التموين عن الآخر ، للتأثير على قوة الخصم لكونها المنافذ التي يتزود من خلالها بالمؤن والإمدادات ، لذلك حرصت القيادات العسكرية على التعسكر قرب الأنهار وروافد المياه ٠

* القرآن الكريم

* المصادر

* ابن الآبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٦م)

١- الحلة السيراء , تح : حسين مؤنس , ط٢ ، دار المعارف , القاهرة , ١٩٨٥م٠

* ابن الأثير , عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

٢- الكامل في التاريخ , تح : عمر عبد السلام تدمري , ط١ , دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م٠

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة , تح : علي محمد معوض ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م٠

٤- اللباب في تهذيب الانساب ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د٠ت٠

* الإدريسي , محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (ت٥٦٠هـ/ ١٢٦٤م)

٥- نزهة المشتاق في إختراق الآفاق , ط١، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ ٠

* الإصطخري , ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)

٦- المسالك والممالك , دار صادر بيروت , طبع بمطبعة ليدن , ١٩٣٧م ٠

* ابن بطوطة , أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطنجي (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

٧- رحلة بن بطوطة , دار صادر ، بيروت , ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م٠

* البغدادي ,عبد المؤمن بن عبد الحق(ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)

٨- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع , ط١ , دار الجيل ، بيروت , ١٤١٢ هـ٠

* البكري , أبو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

٩- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك , دار الكتاب المصري , القاهرة ، د٠ت٠

١٠- جغرافية الأندلس وأوروبا , تح : عبد الرحمن علي الحجي , دار الإرشاد للطباعة والنشر , ط١ , بيروت, ١٩٦٨م ٠

* البلاذري , أحمد بن يحي بن جابر بن داوود (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

١١- فتوح البلدان , مكتبة الهلال , بيروت , ١٩٨٨م٠

* تزو , سون (ت ٤٩٦ق٠م)

١٢- فن الحرب , إعداد وترجمة : رؤوف شبايك ، د٠م ، ٢٠٠٧م٠

* بن تغري بردي , جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)

١٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب المصرية ، د٠ت٠

* الجوهري ، إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ/ ١٠٠٧م)

١٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور العطار ، دار الملايين ، بيروت ، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م٠

* ابن حبيب , عبد الملك بن حبيب السلمي (ت٢٣٨هـ /٨٥٢م)

١٥- التاريخ , تح: عبد الغني مستو , ط١ , المكتبة العصرية , لبنان , ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م٠

* ابن حزم , أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)

١٦- جمهرة أنساب العرب, تح: لجنة من العلماء , دار الكتب العلمية , بيروت , ط١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م٠

* الحموي, شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)

١٧- معجم البلدان , ط٢، دار صادر، بيروت , ١٩٩٥ م

* الحميدي , أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الازدي (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)

١٨- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس , الدار المصرية للتأليف والترجمة , ١٩٦٦م٠

* الحميري , محمد بن عبد المنعم (حوالي ٧١٠هـ/ ١٣١٠م)

١٩- الروض المعطار في خبر الأقطار , تح : إحسان عباس , ط٢ , مكتبة لبنان , ١٩٨٤م٠

* ابن حنبل , أبو عبد الله أحمد بن محمد البغدادي (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)

٢٠- مسند أحمد ، دار صادر ، بيروت ، د٠ت ٠

* ابن حوقل , أبو القاسم محمد بن علي النصيبي(ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)

٢١- صورة الأرض , منشورات دار مكتبة الحياة , بيروت , ١٩٩٢م ٠

* ابن خاقان ، ابو نصر الفتح ابن محمد (ت٥٢٩هـ/١١٣٥م)

٢٢- مطمح الأنفس ومسرح التأنس ملح أهل الأندلس ، تح: محمد علي شوابكة ، دار عمار ، مؤسسة الرسالة ، ط١، بيروت ، ١٩٨٣م٠

* ابن الخطيب , أبو عبد الله محمد بن سعيد بن علي السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)

٢٣ - الإحاطة في أخبار غرناطة , تح : محمد عبد الله عنان , ط٢ , مكتبة الخانجي ، القاهرة , ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م٠

* ابن خرداذبة , عبيدة الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)

٢٤ - المسالك والممالك , طبع بمطبعة دي غويه , ليدن , ١٨٨٩م٠

* ابن خلدون , عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)

٢٥ - تاريخ ، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في أيام تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر, تح: خليل شحادة , ط٢ ، دار الفكر، بيروت , ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م٠

* ابن خلكان , أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن ابي بكر(ت ٦٠٨هـ/ ٦٨١هـ)

٢٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , تح : إحسان عباس , دار صادر , بيروت ,١٣٩٧هـ ١٩٧٧م٠

* خليفة بن خياط , أبو عمرو خليفة بن خياط الشيبان (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٩م)

٢٧ - تاريخ خليفة , تح: أكرم ضياء العمري , ط٢ ، دار القلم , مؤسسة الرسالة ، دمشق , بيروت, ١٣٩٧هـ٠

* الدباغ , أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي (ت ٦٠٥هـ -٦٩٦هـ)

٢٨ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان , تعليق : أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي , د٠م ، ٨٣٩هـ ٠

* ابن أبي دينار , محمد بن أبي القاسم (ت١١١٠هـ/ ١٨٩٨م)

٢٩ - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس , ط١, د٠م، ١٢٨٦هـ٠

* الدينوري , أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)

٣٠- الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء , تح : علي شيري , ط١ , ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م٠

* الذهبي , شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤م)

٣١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام , تح : الدكتور بشار عوّاد معروف , ط١ ، دار الغرب الإسلامي , ٢٠٠٣ م٠

٣٢- سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ط٩، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م٠

* الرشاطي , ابو محمد (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)

٣٣- الأندلس في إقتباس الأنوار وفي إختصار إقتباس الأنوار, تح : ايميليو مولينا, وخاثينتو بوسك بيلا, المجلس الأعلى للأبحاث العلمية , معهد التعاون مع العالم العربي , مدريد /١٩٩٠م٠

* الرقيق القيرواني , أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت ٤٢٥هـ/١٠٢٦م)

٣٤- تاريخ إفريقية والمغرب , تح : عبد الله الزيدان , عز الدين عمر موسى , ط١ , دار الغرب الإسلامي , بيروت , ١٩٩٠م٠

* الزبيدي , محب الدين ابو الفيض (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)

٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م٠

* الزهري ، أبو عبد الله محمد ابن ابي بكر (ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

٣٦- الجغرافية ، تح : محمد حاج صادق ، مكتبتة الثقلفة الدينية ، القاهرة ، د٠ت٠

* ابن سباهي , محمد بن علي البروسوي (ت٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م)

٣٧- أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك , تح : المهدي عبد الرواضية , ط١ , دار الغرب الإسلامي , بيروت , ١٣٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

* ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م)

٣٨- الطبقات الكبرى ، تح: محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٠م.

* ابن سعيد , علي بن موسى المغربي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

٣٩- الجغرافيا , تح : إسماعيل العربي , ط١ , المكتب التجاري للطباعة والنشر , بيروت ،١٩٧٠م.

* السلاوي , شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري(ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)

٤٠- الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى , تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري , دار الكتاب و الدار البيضاء، د.ت.

* ابن سيده , أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٤م)

٤١- المخصص , تح : خليل إبراهيم جفال , ط١ , دار إحياء التراث العربي , بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

* السيوطي , جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

٤٢- تاريخ الخلفاء , تح: حمدي الدمرداش , ط١ , مكتبة نزار مصطفى ألباز , د.م ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

* الشريف الرضي ، محمد بن الحسن بن موسى (ت٤٠٦هـ/١٠١٣م)

٤٣- نهج البلاغة ، شرح : محمد عبدة ، دار الذخائر ، ط١، قم ، ١٤١٢هـ.

* شيخ الربوة , شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب(ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)

٤٤- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر , مطبعة دار إحياء التراث العربي , بيروت ,١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

* ابن صاعد , أبي القاسم صاعد ابن أحمد الأندلسي (ت ٤٦٢هـ/١٠٧٠م)

٤٥- طبقات الأمم , نشره وهذبه : الأب لويس شيخو اليسوعي , المجلة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين , بيروت , ١٩١٢م.

* الضبي , أحمد بن حيان(ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)

٤٦- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس , تح : إبراهيم الإبياري , ط١ , دار الكتاب اللبناني , بيروت , ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

* الطبري , أبو جعفر محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

٤٧- تاريخ الرسل والملوك , ط٢ , دار التراث , بيروت , ١٣٨٧ هـ.

* الطريحي ، فخر الدين محمد بن علي (ت١٠٨٥هـ)

٤٨- مجمع البحرين ، تح: أحمد الحسيني ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، د.م، ط٢، ١٤٠٨هـ.

* ابن عبد البر , أبو عمر بن يوسف (ت٤٦٣هـ)

٤٩- الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، تح : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، ط١، بيروت ، ١٤١٢هـ.

* ابن عبد الحكم , أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/ ٨٧١م)

٥٠- فتوح مصر والمغرب , تح : عبد المنعم عامر, شركة الأمل للطباعة والنشر , القاهرة، د.ت.

٥١- فتوح مصر وأخبارها , تح: محمد الحجيري ، ط١، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

* ابن عبد ربه , شهاب الدين أحمد بن محمد ابن حبيب (ت٣٢٨هـ /٩٤٩م)

٥٢- العقد الفريد , ط١ ، دار الكتب العلمية , بيروت, ١٤٠٤ هـ.

* ابن عذارى , أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)

٥٣- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب , تح: ج . س . كولان، إِ. ليفي بروفنسال , ط٣ ، دار الثقافة , بيروت , ١٩٨٣م.

* العذري , أبو العباس أحمد بن عمر (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)

٥٤- نصوص عن الأندلس وهي جزء من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان المسالك إلى جميع الممالك , تح : عبد العزيز الأهواني , معهد الدراسات الإسلامية بمدريد , ١٩٦٥م.

* ابن عساكر , أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت٥٧١هـ/١١١٥م)

٥٥- تاريخ مدينة دمشق ، تح : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ.

* ابن عقيل , الهمداني (ت٧٦٩هـ/ ١٣٦٨م)

٥٦- شرح ابن عقيل ، ط١٤، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

* العمري , شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)

٥٧- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار , تح : عبد الله بن بن يحي السريحي , المجمع الثقافي , أبو ظبي , ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م٠

* ابن غالب , أبو عبد الله محمد(ت ٥٧١هـ/١١١٥م)

٥٨- نص أندلسي جديد , قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس , تح : لطفي عبد البديع , مجلة معهد المخطوطات , القاهرة , ١٩٥٦م ٠

* الغساني , محمد بن عبد الوهاب الأندلسي(ت١٦٩٠هـ-١٦٩١هـ)

٥٩- رحلة الوزير في إفتكاك الأسير, تقديم : نوري الجراح , ط١ , دار السويدي للنشر والتوزيع , لبنان , ٢٠٠٢م ٠

* ابو الفدا, عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)

٦٠- تقويم البلدان , صححه وطبعه : رينود والبارون مان كوكين وديسلان , دار الطباعة السلطانية , باريس , ١٥٨٠م ٠

* الفراهيدي ، عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ/٧٩٠م)

٦١- كتاب العين ، تح : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة ، ط٢، ١٤٠٩هـ٠

* قدامة بن جعفر, أبو الفرج قدامه بن زياد البغدادي (ت ٣٣٧هـ/ ٩٥٨م)

٦٢- الخراج وصناعة الكتابة , ط١ ، دار الرشيد للنشر ، بغداد , ١٩٨١ م٠

* القزويني , زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)

٦٣- آثار البلاد وأخبار العباد , دار صادر ،بيروت، ١٩٨٠م٠

* القلقشندى, أبو العباس أحمد(ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)

٦٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشا , دار الكتب المصرية ، ١٣٤٠هـ٠

٦٥- نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب , تح: إبراهيم الإبياري , ط٢ ، دار الكتاب اللبناني، بيروت , ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م٠

* ابن القوطية , أبو بكر محمد بن عمر (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)

٦٦- تاريخ إفتتاح الأندلس , ط٢ , دار الكتاب اللبناني , بيروت , ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م٠

* ابن الكردبوس، عبد الملك بن محمد (منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

٦٧- الإكتفاء في أخبار الخلفاء , تح : صالح بن عبد الله الغامدي , الطبعة الأولى , الجامعة الإسلامية , المدينة المنورة , ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ٠

* الكندي , أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)

٦٨- كتاب الولاة والقضاة , تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي , ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت , ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣ م٠

* المالكي , ابو بكر عبد الله بن محمد(ت٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)

٦٩- رياض النفوس , تح : بشير البكوش و محمد العروسي المطوي , ط٢ , دار الغرب الإسلامي , ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م٠

* المراكشي , عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ /١٢٥٠م)

٧٠- المعجب في تلخيص أخبار المغرب , تح : محمد سعيد العريان , لجنة إحياء التراث العربي , القاهرة , ١٩٦٣م٠

* المسعودي , أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)

٧١- التنبيه والإشراف , تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي , دار الصاوي , القاهرة ، د٠ت٠

٧٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر, تح: أسعد داغر, دار الهجرة , قم ,١٤٠٩ هـ/١٩٨٩م٠

٧٣- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م٠

* المقدسي , شمس الدين أبو عبد الله محمد بن المفلح (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

٧٤- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم , ط٣, مكتبة مدبولي , ١٤١١هـ/١٩٩١م٠

* المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

٧٥- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس, ط٢ , دار صادر ، بيروت - لبنان , ١٩٩٧م٠

* مؤلف مجهول (ت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)

٧٦- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها , تح : إبراهيم الإبياري , ط٢ , دار الكتاب اللبناني , بيروت , ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ٠

* مؤلف مجهول (ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

٧٧- الإستبصار في عجائب الأمصار, تعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد , ١٩٨٦ م٠

*مؤلف مجهول (ت ٨٩٥هـ/١٤٨٩م)

٧٨- تاريخ الأندلس , تح : عبد القادر بوباية , ط١ , دار الكتب العلمية , بيروت , ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م. وتحقيق : لويس مولينا , المعهد الأعلى للأبحاث العلمية , مدريد , ١٩٨٣م.

*مؤلف مجهول (ت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

٧٩- فتح الأندلس , تح : لويس مولينا, المعهد الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد , ١٩٨٣م.

* ابن منظور, محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ /١٣١١م)

٨٠- لسان العرب , ط٣ , دار صادر ، بيروت , ١٤١٤ هـ.

* النويري , شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٢م)

٨١- نهاية الأرب في فنون الأدب , ط١ , دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ.

* الهرثمي , أبو سعيد الشعراني (عاش مابعد ٢٣٤هـ)

٨٢- مختصر سياسة الحروب , تح : عبد الرؤوف عون , محمد مصطفى زيادة, المؤسسة المصرية العامة , ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

* الهروي , علي بن أبي بكر (٦١١هـ/١٢١٥م)

٨٣- التذكرة الهروية في الحيل الحربية , مكتبة الثقافة الدينية , بورسعيد، د.ت.

* الواقدي , أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)

٨٤- المغازي , تح : مارسدن جونس , ط٣, دار الأعلمي , بيروت, , ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م.

٨٥- فتوح الشام , تحقيق : هاني الحاج , المكتبة التوفيقية , مصر ، د.ت.

* ابن الوردي ، سراج الدين عمر بن المظفر (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٣٨م)

٨٦- خريدة العجائب وفريدة الغرائب , تح : أنور محمود زناتي , ط١ ، جامعة عين شمس , مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م ٠

* اليعقوبي , أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)

٨٧- البلدان , دار الكتب العلمية ، بيروت , ط١ ، ١٤٢٢ هـ٠

٨٨- تاريخ اليعقوبي : دار صادر ، بيروت ، د٠ت٠

* المراجع

* أحمد , نهلة شهاب

٨٩- المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع , دار الكتاب الثقافي للنشر , الأردن , ٢٠٠٢م٠

* أرسلان , شكيب

٩٠- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية , منشورات دار مكتبة الحياة , بيروت , ١٣٥٨ هـ٠

٩١- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط , دار النهضة العلمية , بيروت , ١٣٥٢هـ٠

* إسماعيل , أحمد علي

٩٢- الجغرافية العامة , دار الثقافة للنشر والتوزيع , القاهرة , ١٩٩٥م٠

* بيريس , هنري

٩٣- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف , ترجمة : الطاهر أحمد مكي , ط١، دار المعارف ، , مصر ١٤١٠هـ/ ١٩٨٨م٠

* بيضون , إبراهيم

٩٤- الدولة العربية في أسبانيا , دار النهضة العربية , بيروت ، ١٩٨٠م٠

* جاد الرب , حسام الدين

٩٥- جغرافية العالم العربي , جامعة أسيوط , ٢٠٠٥م٠

* جباوي , علي

٩٦- الجغرافية التاريخية , مطبعة طربين , دمشق , ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م٠

* جوليان , شارل اندري

٩٧- تاريخ شمال إفريقيا تونس , الجزائر , المغرب الأقصى (من البدء الى الفتح /٦٤٧م) , مؤسسة تاوالت الثقافية ، د٠م ,٢٠١١م٠

* الجوهري , يسري

٩٨- شمال إفريقيا, , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ط٦, ١٩٨٠ م٠

* حارش , محمد الهادي

٩٩- التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري(منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي) , المؤسسة الجزائرية للطباعة , ١٩٩٢م٠

* حتاملة , محمد عبده

١٠٠- إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين , الأردن , ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م٠

* حتي , فيليب

١٠١- العرب تاريخ موجز, ط٦ , دار العلم للملايين , بيروت , ١٩٩١م٠

* ابو حجر , آمنة

١٠٢- المعجم الجغرافي , دار أسامة للطباعة والنشر, ط١ , ٢٠١١م٠

* الحجي , عبد الرحمن علي

١٠٣- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢هـ -٨٩٧هـ/ ٧١١م - ١٤٩٢م , دار القلم , ط٢ , بيروت , ١٤٠٢هـ-١٩٨١م ٠

* حسن , حسن علي

١٠٤- المغرب الإسلامي (الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، نقلاً عن موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي) ، د٠م ، د٠ت٠

* حسونة , محمد أحمد

١٠٥- أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية , مكتبة نهضة مصر, القاهرة ,١٩٦٠م٠

* حقي , محمد

١٠٦- البربر في الأندلس ، دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢هـ/ ٧١١م – ٤٢٢هـ / ١٠٣١م , شركة النشر والتوزيع المدارس , ط١ , الدار البيضاء , ١٤٢٢هـ-, ٢٠٠١ م٠

* الخشاب , وفيق حسين

١٠٧- النمط الجغرافي للعالم القديم , جامعة بغداد , ١٩٧٨م٠

* خطاب , محمود شيت

١٠٨- قادة فتح المغرب العربي , ط٦، دار الفكر ، بيروت , ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م٠

١٠٩- قادة فتح الأندلس , ط١، مؤسسة علوم القرآن - منار للنشر والتوزيع , ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣ م٠

* أبو خليل , شوقي

١١٠- فتح صقلية , ط١، دار الفكر , دمشق , ١٤١٨هـ/ ١٩٨٠ م٠

* دبوز , محمد علي

١١١- تاريخ المغرب الكبير , مؤسسة تاوالت الثقافية , د٠م، ٢٠١٠هـ٠

* دنيا , عبد العزيز حافظ

١١٢- موسى بن نصير حياته وعصره وفتوحاته , الدار القومية للطباعة والنشر، د٠م، د٠ت٠

* دوزي , رينهرت

١١٣- المسلمون في الأندلس , ترجمة : حسن حبشي , الهيئة المصرية العلمية للكتاب , ١٩٩٥م٠

* رينوفان , بيير , دوروزيل , جان باتيست

١١٤- مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية , ترجمة : فايزكم نقش , قدم له : نور الدين حاطوم , ط٣، منشورات عويدان , بيروت ,١٩٨٩م٠

* الزاهد , أحمد

١١٥ الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة , أعده للنشر مؤسسة تاوالت الثقافية ، د٠م ، د٠ت٠

* زبيب ، أحمد ابن سوده

١١٦- الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس , تقديم : أحمد أبو سودة , ط ١، دار الأمير , بيروت , ١٤١٥هـ/ ١٩٩٠م٠

* الزوكة , محمد خميس

١١٧- جغرافية الوطن العربي , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية , ٢٠٠٠م٠

١١٨- جغرافية المياه ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٨م ٠

* زيتون , محمد محمد

١١٩- المسلمون في المغرب والأندلس , د٠م، ١٤١١هـ/١٩٩٠م٠

* سالم , عبد العزيز

١٢٠- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي , مؤسسة شباب الجامعة , الإسكندرية ,٢٠٠٦ م٠

١٢١- المغرب الكبير (العصر الإسلامي), دار النهضة العربية , بيروت ,١٩٨١م٠

١٢٢- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس , مؤسسة شباب الجامعة , القاهرة , ١٩٩٧م٠

١٢٣- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس , دار النهضة العربية , بيروت , ١٩٨١م٠

* سالم , عبد العزيز ، والعبادي ، أحمد مختار

١٢٤- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس , دار النهضة العربية , لبنان , ١٩٦٩م٠

* السامرائي , خليل إبراهيم

١٢٥ - الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية (٩٥- ٣١٦هـ / ٧١٤- ٩٢٨م) , مطبعة أسعد , بغداد , ١٩٧٦م٠

* السامرائي , خليل إبراهيم ، وآخرون

١٢٦ - تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ,ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ,٢٠٠٠ م٠

١٢٧ - تاريخ المغرب العربي , الموصل ,١٩٨٨م٠

* ستانلي لين بول

١٢٨ - قصة العرب في أسبانيا, ترجمة :علي الجارم , ط١، مطبعة هنداوي، مصر ، ٢٠١٤م٠

* السرجاني , راغب

١٢٩ - قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط ,ط١، مؤسسة أقر , القاهرة , ٢٠١٠م٠

* سعيد , إبراهيم أحمد

١٣٠ - أسس الجغرافية البشرية والإقتصادية , مطبعة الروضة , مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية , حلب , ١٤١٨هـ/١٩٩٧ م ٠

* الشامي , صلاح الدين

١٣١ - إستخدام الأرض دراسة جغرافية , دار المعارف , الإسكندرية , ١٩٩٩٠م

* شرف , عبد العزيز طريح

١٣٢ - المقدمات في الجغرافيا الطبيعية , مركز الإسكندرية للكتاب

* الشرقاوي , عوض

١٣٣- التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجري , مؤسسة تاوالت الثقافية , ٢٠١١م

* شفيق , منير

١٣٤- الإستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب , مطابع الدار العربية للعلوم , ط١ , بيروت ,١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م

* الصلابي , علي محمد

١٣٥- الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي , مؤسسة اقرأ , ط١ , القاهرة , ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

* الطنطاوي , علي

١٣٦- رجال من التاريخ , ط١, مصر , ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨

* طه , عبد الواحد ذنون

١٣٧- الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس , دار المدار الإسلامي , دار الكتب الوطنية , ط١ , بنغازي , , ٢٠٠٤م

١٣٨- دراسات أندلسية , دار الكتب الوطنية , ط١, بنغازي , ٢٠٠٤م

١٣٩- دراسات في التاريخ الأندلسي , دار المدار الإسلامي , بنغازي , ٢٠٠٤ م

* عاشور , سعيد عبد الفتاح

١٤٠- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , دار النهضة العربية , بيروت ,١٩٧٦ م

* العبادي , أحمد مختار

١٤١- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس , مؤسسة شباب الجامعة , الإسكندرية ، د٠ت٠

١٤٢- صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس, ط١ ، منشأة المعارف, ٢٠٠٠م٠

١٤٣- في تاريخ المغرب والأندلس , مؤسسة الثقافة الإجتماعية , الإسكندرية، د٠ت٠

* عبد الرؤوف , قصي فالح

١٤٤- الهندسة العسكرية في الفتوحات الإسلامية (١١هـ/٦٣٢م ـ ١٣٢هـ/٧٤٩م) , ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد, ١٩٩٧م٠

* عبد العليم , أنور

١٤٥- الملاحة وعلوم البحار عند العرب , عالم المعرفة ,١٩٧٩ م٠

* ابو عبية , طه عبد المقصود عبد الحميد

١٤٦- موجز عن الفتوحات الإسلامية , دار النشر للجامعات – القاهرة، د٠ت٠

* العروي ، عبدالله

١٤٧- مجمل تاريخ المغرب ، ط٥، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٦م٠

* العريني , الباز

١٤٨- الدولة البيزنطية (٣٢٣هـ/١٠٨١م) , دار النهضة , بيروت ,١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م٠

* عسل , محمد سامي

١٤٩- أوروبا ، دراسة في جغرافية القارة الطبيعية والبشرية , مكتبة الانجلو المصرية , ١٩٧٥م٠

* العسلي , بسام

١٥٠- فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين , دار الفكر , بيروت , ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م٠

* عصفور , محمد ابو المحاسن

١٥١- المدن الفينيقية , دار النهضة العربية , بيروت ,١٩٨١م٠

* عطوان , حسين

١٥٢- وصف البحر والنهر في الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي الثاني , ط٢ ، دار الجيل , بيروت , ١٩٨٢م٠

* ابو العلا , محمود طه

١٥٣- جغرافية العالم العربي ، دراسة عامة وإقليمية ، ط١، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٧٣م٠

* علوش , ناجي

١٥٤- الوطن العربي الجغرافية الطبيعية والبشرية , ط١، مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ١٩٨٦م٠

*- عنان , محمد عبد الله عنان

١٥٥- الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال , ط٢، مكتبة الخانجي ، القاهرة , ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م٠

١٥٦- دولة الإسلام في الأندلس , ط٤، مكتبة الخانجي ، القاهرة , ١٤١٧هـ/١٩٩٧م٠

* أبو العينين , حسن سيد أحمد

١٥٧- أصول الجغرافية المناخية , ط١، الدار الجامعية , بيروت , ١٩٨١م٠

* غانم , محمد الصغير

١٥٨- التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط , ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, , لبنان ,١٩٨٢م٠

١٥٩- مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب , ط١، دار الهدى , ميلة ,٢٠٠٣م٠

* الغنيمي , عبد الفتاح مقلد

١٦٠- معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوربي (رمضان ١١٤هـ – أكتوبر ٧٣٢م بواتيه) , ط١، عالم الكتب , القاهرة , ١٤١٦هـ /١٩٩٦م٠

* غوتيه , أ٠ف

١٦١- ماضي شمال إفريقيا , ترجمة : هاشم الحسيني , مؤسسة تاوالت الثقافية , ٢٠١٠م٠

* غوردو , عبد العزيز

١٦٢- الفتح الإسلامي لبلاد المغرب (جدلية التمدن والسلطة) , ط٢ , دار ناشري , الكويت ,٢٠١١م٠

* الفاسي ، محمد

١٦٣- التعريف بالمغرب ، وهي مقدمة لتاريخ الأدب العربي بالمغرب الأقصى ، معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٦١م٠

* فايد , يوسف عبد المجيد

١٦٤- جغرافية المناخ والنبات , دار النهضة العربية , ٢٠١٠م٠

* الفقي , عصام الدين عبد الرووف

١٦٥ - تاريخ المغرب والأندلس , مكتبة نهضة الشرق , القاهرة , ١٩٩٠م٠

* بن قربة ، صالح

١٦٦ - تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر , سلسلة المشاريع الوطنية للبحث , دار القصبة للنشر , الجزائر , ٢٠٠٧م٠

* قطب , محمد علي

١٦٧ - أبطال الفتح الإسلامي , ط١، دار الدعوة , ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦م٠

* كحيلة , عبد الرحمن رضا

١٦٨ - الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية , ط١ , عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , ١٩٩٥م٠

* كولان , س ٠ج

١٦٩ - الأندلس (دائرة المعارف الإسلامية) , ترجمة , إبراهيم خورشيد وآخرون , ط١، دار الكتاب اللبناني , دار الكتاب المصري , ١٩٨٠م٠

* لقبال , موسى

١٧٠ - المغرب الإسلامي , ط٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر ،١٩٨١ م٠

* مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار)

١٧١ - المعجم الوسيط ، ط١، دار الدعوة ، د٠ت٠

* محسوب , محمد صبري

١٧٢- الجغرافية الطبيعية أسس ومفاهيم حديثة , دار الفكر العربي , القاهرة ,١٤١٦هـ/ ١٩٩٦ م ٠

* المدني , أحمد توفيق

١٧٣- قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر ,١٩٨٦ م٠

* المزروع , وفاء عبد الله بن سليمان

١٧٤- جهاد المسلمين خلف جبل البرت , من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري , ط١، مكتبة دار , القاهرة , ٢٠٠٣م٠

* مصطفى , شاكر

١٧٥- الأندلس في التاريخ , منشورات وزارة الثقافة , دمشق ,١٩٩٠ م٠

* موسى , عز الدين عمر

١٧٦- النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري , ط٢، دار الغرب الإسلامي , بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ٠

* الموسوي , مصطفى عباس

١٧٧- العوامل التاريخية لنشأة المدن العربية الإسلامية , دار الرشيد للنشر, العراق , ١٩٨٢م٠

* مؤنس , حسين

١٧٨- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس , ط٢، مطبعة مدبولي , ١٩٨٦م٠

١٧٩- فتح العرب للمغرب , مكتبة الثقافة الدينية , الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، د٠ت٠

١٨٠ - فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الى قيام الدولة الأموية (٧١١هـ - ٧٥٦هـ) , ط١، دار المناهل , القاهرة ،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م٠

١٨١ - معالم تاريخ المغرب والأندلس , مكتبة الأسرة ، د٠م , ١٩٩٢م٠

١٨٢ - موسوعة تاريخ الأندلس , ط٢ , مكتبة الثقافة الدينية , د٠م ، ٢٠٠٩ م٠

* مهران , محمد بيومي

١٨٣ - المغرب القديم , دار المعرفة الجامعية , د٠م، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م٠

* الندوي , أبو الحسن علي الحسيني

١٨٤ - أسبوعان في المغرب الأقصى , مطبعة الرسالة , ١٤٠١هـ/١٩٨١م٠

* نصر الله , سعدون

١٨٥ - تاريخ العرب السياسي في الأندلس , ط١، دار النهضة العربية , بيروت, ١٩٩٨م٠

* نعني , عبد المجيد

١٨٦ - تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي , دار النهضة العربية , بيروت , ١٩٨٦م٠

* هيكل , أحمد

١٨٧ - الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة , دار المعارف , القاهرة , ١٩٨٥م٠

* الوزان , الحسن بن محمد

١٨٨ - وصف إفريقيا , ط٢، ترجمة محمد ألحجي , محمد الأخضر, دار الغرب الإسلامي , بيروت , ١٩٨٣م٠

* الدوريات

* أحمد ، نهلة شهاب

١٨٩ - الأهمية السياسية والعسكرية لمضيق جبل طارق في تاريخ المغرب العربي والأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢- ٤٢٢هـ/ ٧١٠- ١٠٣٠م , بحث منشور في مجلة الأحمدية , العدد ١١, جمادى الأولى١٤٢٣هـ , تموز ٢٠٠٢م ٠

* الدوري , قيس عبد العزيز

١٩٠ - بلاد الغال (فرنسا) في مؤلفات العرب والمسلمين , بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم ، المجلد ١٩، العدد ٨، آب ٢٠١٢٠

* السامرائي , عبد الحميد حسين أحمد

١٩١ - معركة بلاط الشهداء بوابة الحضارة العربية الإسلامية لأوروبا ١١٤هـ- ٧٣٢م , بحث منشور في مجلة التربية والعلم ، المجلد ١٥، العدد٤، , ٢٠٠٨م٠

* عبيد , طه خضر

١٩٢ - التعبئة العسكرية الإسلامية في كتاب (The Tactica) للإمبراطور البيزنطي ليو السادس ٨٨٦م ــ ٩١٢م، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد٤٧، جامعة الموصل ، لسنة ٢٠٠٠م٠

* العتبي , محمد سعيد رضا

١٩٣ - إستراتيجية قادة العرب المسلمين في تحرير بلاد المغرب العربي من الإستعمار البيزنطي , مجلة المورد ، المجلد ٢٩، العدد٢، ١٤٢٢هـ٠

* العزيزي , هاني عبد الرحيم

١٩٤ - صور من الجغرافية العسكرية في التراث العربي , مقال ضمن مجلة جند عمان العمانية , العدد ٢٥٠, ١٩٩٦م٠

* مطلوب , ناطق صالح

١٩٥ - حسان بن النعمان ودوره في تحرير المغرب العربي , بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي , المجلد٤٧, بغداد , ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

* الرسائل والأطاريح الجامعية

* الخالدي ، خالد يونس

١٩٦ - اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (٩٢هـ- ٨٩٧هـ / ٧١١م-١٤٩٢م) ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الأداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩م ٠

* الدوري , وائل كليب مطلك

١٩٧ - أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي , رسالة ماجستير , غير منشورة ، كلية التربية , جامعة تكريت ,٢٠٠٢م٠

* رحماني , موسى

١٩٨ - الأوراس في العصر الوسيط (من الفتح الإسلامي إلى إنتقال الخلافة الفاطمية الى مصر ٢٧هـ-٣٦٢هـ / ٦٣٧م -٩٧٢م) دراسة إجتماعية , رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية , جامعة منتوري قسطينة , الجزائر , ٢٠٠٧ م ٠

* السعيد , قعر المثرد

١٩٩ - الزراعة في بلاد المغرب القديم (ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجنة سنة ١٤٦ق٠م) , رسالة ماجستير , غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية , جامعة منتوري قسطينة , الجزائر , ٢٠٠٧م٠

* السلمي , إبراهيم بن عطية الله بن هلال

٢٠٠- تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي (دراسة تاريخية حضارية٩٢هـ/٤٧٨م) , رسالة ماجستير, غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية , جامعة أم القرى , ١٤٢٤هـ/١٢٤٥هـ٠

* الشمري , دنيا عبد علي

٢٠١- الملاحة النهرية وإستخداماتها العسكرية في العراق في العصر العباسي حتى عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٩م٠

* العلياوي , حسين جبار

٢٠٢- البشكنس ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس حتى سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م , أطروحة دكتوراه ،غير منشورة , كلية التربية للعلوم الإنسانية , جامعة البصرة ,٢٠٠٥م٠

* الكتب الأجنبية

* Saavedra , Eduardo

-٢٠٣Estudio Sobre La Invasion De Los Arabes En Espana, Madrid,١٨٩٢.